

شرف الأمة المحمدية

لسليل بيت العلم والتقى

الدكتور محمد علوى المالكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر : دار جوامع الكلم - القاهرة - الدراسة

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - ت : ٢٥٨٩٨٠٢٩

شــرف الأمَّة المحمَّديَّة

تأليف

السيد محمد ابن السيد علوي المالكي
الحِسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر: دار جوامع الكلم
١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى- الدراسة
القاهرة - تليفون: ٢٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد .. فإن الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة بخصائص وشرفها بمزايا ، منها ما انفردت به عن الأمم السابقة ـ فلم يشاركها فيه مشارك ولم ينافسها منافس ، ومنها ما شاركها فيه غيرها ، ولكنها متميزة عنهم بالكمال والتمام ، وعلى هاتين القاعدتين تنبنى كل المزايا والفضائل ، وقد جمعنا هذا الموضوع فى هذا السِّفْر المبارك الذى نرجو به القرب من الله سبحانه وتعالى والزلفى لديه والمشاركة فى الدعوة إلى الخير وتقريبه إلى العاملين وحثهم عليه. وأول مزية بل هى أم المزايا والفضائل رصيد هذه الأمة من الإيمان وكمال يقينها بالله تعالى.

« تنبيه مهم »

اعلم أنه قد جاء في هذا الكتاب جملة كبيرة من الأحاديث الشريفة منها الصحيح والحسن ومنها غير ذلك من الضعيف وأنواعه . وقد ذكرناها جرياً على قاعدة العلماء في العمل بالحديث الضعيف ـ بشروطه التي ذكرها العلماء في كتب الأصول . وقد بينّاه مفصلاً في كتاب المنهل اللطيف وهو أن الحديث الضعيف لا يعمل به في العقائد والأحكام ، ويجوز العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب وذكر المناقب ، وهذا هو المعتمد عند الأئمة وإلا فإن في المسألة خلافاً مع أن الذين أجازوا العمل به جعلوا لذلك شروطاً ـ ذكرها الحافظ ابن حجر وهي :

١) أن يكون في الفضائل العملية كما تقدم .

٢) أن لا يشتدّ ضعفه فلا يعمل بما انفرد به الكذاب والمتهم بالكذب ومن فحش غلطه .

٣) أن يندرج تحت أصل معمول به .

٤) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط.

هذا وقد نص على قبول الضعيف في الفضائل الإمام النووي في التقريب. والعراقي في شرحه على ألفيته ، وابن حجر العسقلاني في شرح النخبة ، والشيخ زكريا الأنصاري في شرح ألفية العراقي ، والحافظ السيوطي في التدريب ، وابن حجر المكي في شرحه على الأربعين ، وللعلامة اللكنوي رسالة تسمى الأجوبة الفاصلة ، له فيها بحث مستفيض في ذلك ، ولسيدي الإمام الوالد السيد علوي المالكي ـ رحمه الله ـ رسالة خاصة في أحكام الحديث الضعيف .

رصيد الأمة المحمدية من الإيمان

أما رصيد هذه الأمة من الإيمان فعظيم ونصيبها منه كبير وذلك لأنها تؤمن بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله وبكل ملك خلقه الله بلا تفريق بين أحد . وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وقد أُمرنا بالإقرار بهذه الحقيقة الإيمانية الاعتقادية قولا واعتقادا فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

فرصيدنا من الإيمان أكبر من غيرنا من الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولهذا المعنى كانت قيمة المسلم فى الموازنة أعلى من قيمة غيره لأن التفاضل إنما هو بالإيمان ، ومن هنا جاز للمسلم أن يتزوج بالكتابية ولم يجز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم لأنها أفضل منه بإيمانها ، أما إيمانه فأنقص منها . وهناك معنى آخر فى هذا الباب وهو أن المسلم إذا تزوج بالنصرانية أو باليهودية وذكرت نبيها فإنها يصلى ويسلم عليه مع الاحترام والتعظيم والتكريم ، بخلاف ما إذا تزوجت المسلمة بيهودى أو نصرانى فإنها إذا ذكرت نبيها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يبعد أن يسبه أو يشتمه زوجها أو على الأقل أن لا يرضى بذلك ولا يقع منه موقع الرضا والقبول .

كمال يقين هذه الأمـــة

ومن شرف هذه الأمة أن الله تعالى وفر حظها من اليقين بشهادة المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : « مـا أُعطيَتْ أُمّـةٌ من اليـقين أفضلَ مما أُعطيتْ أُمَّتِي » [١].

أي ما ملأ الله قلوب أمة نورا شرح به صدورها لمعرفته تعالى ومجاهدة أنفسهم على سبيل الاستقامة عليها بحيث تصير الآخرة لهم كالمعاينة أفضل مما أعطيت أمتى ولا مساويا لها فإن الأولين لم ينالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد وقد حبا الله سبحانه هذه الأمة بمزيد التأدب وقرب منازلهم غاية التقرب وسماهم فى التوراة صفوة الرحمن وفى الإنجيل حلماء علماء أبراراً أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء فالفضل الذى أُعطته هذه الأمة النور الذى به انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ قالوا: واليقين يتفاوت على ثلاث مراتب : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان وحق اليقين هو المشاهدة مع شدة الالتصاق والامتزاج .

قال السرى السقطى: واليقين سكونك عند جولان الموارد فى صدرك لتيقنك أن حزنك منها لا ينفعك ولا يرد عنك مقضيا.

وسنذكر فى أول هذا الكتاب الخصائص العامة التى منّ الله بها على هذه الأمة ، ثم نذكر بعد ذلك الخصائص التفصيلية للأعمال التعبدية وغيرها.

---

(١) رواه الحكيم عن سعيد بن مسعود الكندى .

خصائص عامة للأمـة المحمدية

وأول تلك الخصائـص :

رفـع الإصـــر

وذلك بنص القرآن قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ .

والإصر أصله الثقل الذى يأصر صاحبه فلا يقدر على التحرك ومعنى ذلك أن الله تعالى لم يوجب على هذه الأمـة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فوق طاقتهم ولم يجعله من شرعهم كما كان ذلك على من قبلهم من الأمم ..

وذلك كبنى إسرائيل مثلا الذين كلفوا بجملة من الأعمال الصعبة والتكاليف الشاقة هى أشبه ما يكون بأطواق الحديد التى تحيط بالأعناق (وهى الأغلال) .

تلك الأغلال والأثقال كثيرة فمنها :

١ـ قطع موضع النجاسة :

فإذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم فإن عليه أن يقطعه ليطهره ولا يكفى غسله كما أخرجه البخارى فى صحيحه (باب البول عند سباطة قوم كتاب الوضوء) وقد زعم بعضهم أنه كان يجب قطع ما أصابته النجاسة ولو كان من الجسم اعتمادا على ظاهر رواية أبى داود وفيها :

« كانوا إذا أصابَ البَوْلُ جسدَ أحدِهم قَطَعوا ما أصبه البولُ منهم » .

(باب الاستبراء من البول) .

ورواية مسلم وفيها : جلدَ أحدِهم ، وأول القرطبى هذا بأن المراد بالجلد واحد الجلود التى كانوا يلبسونها (قال الحافظ) ورواية البخارى صريحة فى الثياب فلعل بعضهم رواه بالمعنى (كذا فى الفتح ١/ ٣٣٠) أما هذه الأمة فإنه يكفى فى شرعها فى مثل ذلك إراقة الماء وغسل المحل فقط سواء كان ذلك مسجدا أو ثوبا أو بدنا ـ كما فصلته كتب السنة .

٢ ـ عدم مؤاكلة الحائض :

وذلك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يخالطوها ولم يساكنوها فى بيت واحد بل يتركوها فى البيت منفردة .

كما ثبت فى الحديث الصحيح (الذى رواه مسلم وأحمد) ابن كثير ٢٦٨ أما هذه الأمة فقد أبيح لها فى دينها معاشرة الحائض فى المأكل والمشرب والمضاجعة ونهى عن النكاح والاستمتاع بما بين السرة والركبة احتياطا.
(اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ النِّكَاحَ رواه مسلم) .

وهكذا راعَى الإسلام بهذا الحكم ميول الإنسان وبشريته بجانب نورانيته وروحانيته فيربط بين نزوة الجسد العارضة وغاية الروح . وهذا المنهج الراقى فى معاملة الإنسان هو الذى يتلاءم مع الفطرة كلها لأنه من صنع خالق هذه الفطرة .

٣ـ تعيين القصاص في العمد والخطأ:

فقد كان متحتما على بنى إسرائيل القصاص حتى فى الخطأ ولم تكنٍ فيهم الدية فى نفس أو جرح . كما جاء فى الصحيح (بخارى الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ١٢/ ٢٠٥) .

وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ .

فخفف على هذه الأمة بمشروعية الدية بدلا عن القتل لمن عفا من الأولياء بقوله تعالى لهذه الأمة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾.

٤ـ قتل النفس بالتوبة :

وذلك أنهم لما عبدوا العجل بين لهم موسى عليه السلام طريق التوبة بعد العزم عليها وهو أن يقتل البرىء منهم المجرم ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾.

وذلك أيضا هو طريق التوبة فى جملة من المعاصى يكون بقطع الأعضاء الخاطئة كاللسا ن فى الكذب والذَّكَر فى الزنا وفقأ العين فى النظر للأجنبية (المواهب اللدنية ٥/٣٨١) .

أما الأمة المحمدية فإن الله سبحانه سهل لها طريق التوبة واخبر أنه يقبلها ويعفو عن السيئات وأنه يفرح بها أشد من فرح الأم بولدها الرضيع الغائب عنها ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

٥ ـ افتضاح أصحاب المعاصي منهم

فقد كان بنو إسرائيل إذ أذنب أحدهم ذنبا أو فعل معصية فإنه إذا أصبح يجد مكتوبا على باب داره فلان فعل كذا وكذا ، وكفارتها كذا وكذا ويرى ذلك الخاص والعام (الخصائص ٣/٢٠٤) .

أما الأمة المحمدية : فإنّ الله تفضل عليها بالستر ؛ كما ثبت عن

رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « كُلُّ أُمَّتى مُعَافًى إلاَّ المُجَاهِرِينَ أَنْ يعْمَلَ الرَّجُل باللَّيْل عَمَلاً ثُمَّ يُصبِحِ وقَدْ سَتَرَه الله تعالى فَيقُول يا فلانُ عملْت البَارِحةَ كذَا وكذا وقد بات يستُره ربُّه ويُصبِح يكْشِفُ سِتْر الله عنْهُ » متفق عليه .

٦ـ المؤاخذة بحديث النفس مما لم تعمله الجوارح :

وذلك أن الله تعالى ما بعث من نبى ولا أرسل من رسول أنزل عليه الكتاب إلا أخبره أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه فى صدورهم ـ فكانت الأمة تأتى على أنبيائها ورسلها ويقولون نؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا فيكفرون ويقولون سمعنا وعصينا ولما قال المؤمنون من هذه الأمة سمعنا وأطعنا وأسلمنا وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ـ طمأنهم الله تعالى بأنه تجاوز عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ـ من خير ـ ﴿ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ـ من شر .

٧ ـ المؤاخذة علي الخطأ والنسيان :

وذلك بتعجيل عقوبته من تحريم شىء من مطعم أو مشرب عقوبة على حسب ذلك الذنب من كبر وصغر (مواهب ٣٨٤) .

أما الأمة المحمدية فإن الله وضَعَ عنها الخطَأَ والنِّسْيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه كما ثبت فى الحديث الذى رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه والطبرانى والدارقطنى بأسانيد جيدة وحسنه النووى (مواهب ٣٨٤)(الخصائص ٣/٢٩٢) .

٨ ـ تحريم اشتغالهم يوم عيدهم :

وهو يوم السبت ـ إذ أخذ عليهم العهد والميثاق بتعظيم يوم السبت والقيام بأمره وعدم اشتغالهم وعملهم فيه ولذلك لما خالفوا وتحيلوا على اصطياد الحيتان فيه قال الله لهم عقابا: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة ٦٥ والأعراف ١٦٣) .

---

(١) المعجم الوجيز ص ٣٢٠ .

أما الأمة المحمدية : فإن الله تعالى رفع عنهم هذا الإصر : فهم يتعاملون حتى فى يوم عيدهم يوم الجمعة قبل الصلاة وبعدها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

٩ ـ الطاعون عذاب على الأمم السابقة :

وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان رجسا وعذابا ـ أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وغيرهم أما هذه الأمة فإن الله جعله رحمة بهم وشهادة لهم (كذا فى الصحيح مواهب ٥/٣٩١) (والخصائص ٣/٢ ٢٢١) .

١٠ ـ تحريم بعض الطيبات من الأطعمة :

وهذا كان من العقوبات التى عاقب بها الله بنى إسرائيل بسبب بغيهم وظلمهم وتلاعبهم بشرائع الله وأشرتهم التي جعلتهم يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ـ قال الله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ « النساء ١٦٠ » .

وقد بين الله تعالى أنواع ما حرمه عليهم . وهو :

١) كل ذى ظفر أى ما ليس بمنفرج الأصابع من البهائم والطير كالإبل والنعام والأوز والبط فهى عليهم حرام.

٢) الشحم أى المادة الدهنية التى تكون فى الحيوان فهو عليهم حرام فى البقر والغنم وأباح لهم منها الشحوم المختلطة بالعظم وكذا ما تحويه البطن وكذا ما على الظهر من الشحوم كما فى آية الأنعام (ابن كثير ٢/ ٢٠٠) .

أما الأمة المحمدية فإن الله تعالى أباح لها كل طيب : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (يُحِلُّ لَهُمُ الطيباتِ) وحرم عليها كل خبيث ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾.

١١ ـ تحريم الغنائم عليهم :

فكانوا إذا اغتنموا شيئا من أعدائهم لم يحل لهم أن يأخذوه ويتصرفوا فيه بل يجمعونها وتنزل نار من السماء فتحرقه فيكون ذلك علامة قبول غزوتهم (مواهب ٣٦٤) كما قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾.

أما الأمة المحمدية فإن الله لشرف نبيها عنده أحل لهم الغنائم كما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه وجعلها حلالا مباركا : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا ﴾ .

١٢ ـ تحريم الصلاة عليهم إلا في مواضع مخصوصة :

وذلك أن من مضى من الأمم كانوا لا يصلون إلا فى أماكن مخصوصة كالبِيَع والصوامع والكنائس فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له أن يصلى فى غيره من بقاع الأرض حتى يعود إليه ثم يقضى كل ما فاته (فتح ٤٣٦/١) .

وعند البزار من حديث ابن عباس : ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه (فتح ٤٣٨/١).

أما الأمة المحمدية: فإن الله جعل لها الأرض مسجدا أى موضع صلاة لا تختص الصلاة منها بموضع دون غيره كما ثبت فى الصحيح (البخارى التيمّم أوله) .

١٣ ـ تخصيص الطهارة بالماء :

وذلك أن من مضى من الأمم كان فى شرائعهم وجوب الاقتصار على الماء فى الطهارة وعدم جواز الاكتفاء بغيره فإذا عدم أحدهم الماء لم يصل حتى يجده ثم يقضى ما فاته .

أما الأمة المحمدية : فإن الله تعالى جعل لها الأرض طهورا فأيما رجل أتى الصلاة ولم يجد ماء وجد الأرض طهورا كما ثبت فى الصحيح (فتح ١/٤٣٨) (ومواهب ٥/٢٦٤) .

ثانيا ـ الإكرام بالرحمة الخاصة

ومن خصائص هذه الأمة : إكرامهم فى الآخرة بالرحمة الخاصة وذلك بنص القرآن الكريم .

فقد وصف القرآن الكريم هذه الأمة المحمدية بأنه جعل السابق منهم سابقا والمقتصد لاحقا والظالم لنفسه مغفورا له .. قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.

ومعنى هذا أن الحق سبحانه وتعالى قسم هذه الأمة إلى ثلاثة أنواع:

الأول : أشار إليه بقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط فى فعل بعض

الواجبات المرتكب لبعض المنهيات وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا .

الثاني : أشار إليه بقوله ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

الثالث : أشار إليه بقوله ومنهم سابق بالخيرات وهو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنه « السَّابِقُ بِالخَيْرات يدخُلُ الجنَّةَ بغيرِ حساب والمقتصد يدخل الجنَّة برحمةَ الله والظَّالمُ لنفسه يدخلُ الجنَّة بشفاعةِ سيِّدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم » وكذا روى عن غير واحد من السلف وجاء ما يؤيده فى السنة بطرق جيدة ثابتة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون فى طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون بعد ذلك ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ صدق الله العظيم .

قلت هو المناسب لسياق الآية الشريفة ولحال الظالم لنفسه . فإنه إذا حبس فى المحشر لنقصان حاله عن السابق والمقتصد أصابه حينئذ الهم والحزن والغم فإذا تداركه الله برحمته ودخل الجنة تذكر ما كان فيه فقال الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن لأن الله تعالى بعد أن ذكر الأصناف الثلاثة وذكر أنهم يدخلون الجنة ذكر بعد ذلك أنهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، ولا يتصور أن يصيب السابق أو المقتصد حزن لأنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر فبقى الصنف

الثالث وهو الظالم لنفسه ، ولهذا كانت هذه الأمة أمة مرحومة ، كما قال محمد ابن الحنفية رضى الله عنه إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنات والسابق فى الدرجات . رواه الثورى وغيره وهذا كله من محض فضل الله سبحانه وتعالى الذى شمل الأنواع الثلاثة إذ كلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم على تفاوت فى الدرجات وهو يشهد بكرامة هذه الأمة على الله وهذه الكرامة ليست رخيصة أو سهلة لأن الله سبحانه أخبر قبل ذلك أنه اصطفى هذه الأمة لوراثة الكتاب والقيام به فقال : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ؛ فجعل فى مقابلة هذه الكرامة الاخروية العظمى التبعة الكبرى والمسئولية الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة وهى تبعة ضخمة ذات تكاليف وإلزامات .

فهو إذن إكرام بالفضل فى الجزاء حتى لمن أساء وتقليد بأمانة الوراثة للكتاب والاصطفاء .

ثالثا - جعلهم أمة وسطا

ومن خصائص هذه الأمة : انهم هم الأمة الوسط ، أنهم هم الشهداء على الناس : بنص القرآن ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

وقد جاء ذكر هذه المنقبة والخصوصية فى أثناء الكلام عن القبلة كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

وحاصل الأمر أنه قد كان صلى الله عليه وآله وسلم يستقبل فى المدينة المنورة بيت المقدس وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هى

قبلة إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ولما وقع هذا التحويل حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبط وشك وقالوا : ﴿ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

ثم بين لهم أنه كما أنعم عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم كذلك أنعم عليهم بأن جعلهم أمة وسطا والوسط أيضا هوالخطّ المستقيم والطريق المستوى وهذا ما تقضيه الحكمة من كونه سبحانه هداهم إلى الصراط المستقيم وجعلهم أمة (وسطا) أى على صراط مستقيم أى عدولا خيارا لأن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفى الإفراط والتفريط رديئان فالمتوسط فى الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاصلا .

وهكذا يحدثنا القرآن من حقيقة هذه الأمة فى الكون وعن وظيفتها فى هذه الأرض وعن مكانها العظيم فى هذه البشرية وعن دورها الأساسى فى حياة الناس مما يقتضى أن تكون لها قبلتها الخاصة وشخصيتها الخاصة وذاتيتها المستقلة . إنها الأمة الوسط التى تشهد على الناس جميعا فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا فإنها سمعت أخبار كل الأمم السابقة فى كتابها الأكبر الذى هو القرآن أو عن نبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء عنه فتسمع من أخبار العصاة والمطيعين والمصدقين والمكذبين وجزاء كل وتسمع أخبار الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وأعمالهم وجهادهم وتضحيتهم وما لاقوا من عنت وتعب ومشقة ثم تبدى رأيها فيهم وتزن قيمتهم وتصرفاتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل فى أمرها وتقول : هذا حق منها وهذا باطل.

وأما فى الآخرة فإنه إذا كان يوم القيامة ووقف الناس للسؤال يقال لكل أمة هل بلغكم رسولكم فيقولون لا فيقال للرسول الذى أرسل اليهم : هل بلغت قومك؟ فيقول : نعم فيقال من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيدعى محمد وأمته فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال لهم وما أدراكم؟ فيقلون: جاءنا نبيّنا فاخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

رابعا - يسر الشريعة المحمدية

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعتها أيسر الشرائع - وذلك بنص القرآن..

فما من فريضة من الفرائض إلا ويسرها الله سبحانه وتعالى بفتح باب الرخصة والعذر فيها فخذ مثلا الصلاة وهى أهم وأعظم الفرائض بل هى عماد الدّين وأساسه المتين .. فإنها مع ذلك ، جعل الله تعالى لها أحكاما خاصة تختلف عن الحكم الأصلى لها . مراعاة لظروف خاصة فى أحوال خاصة كالمرض والسفر والحرب وفى حالة عدم وجود اللباس الساتر أو عدم معرفة القبلة أو نسيانها أو النوم عنها .

وهذا التيسير هو الصفة العامة لهذه الشريعة المطهرة قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ اللهَ رَضِىَ لِهذِهِ الأُمةِ اليُسْرَ وكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ (رواه الطبرانى برجال الصحيح) .

وروى أحمد فى مسنده عن حذيفة قال : سجد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرفع رأسه حتى ظننا أن نفسه قبضت فلما فرغ قال: ربِّى استَشَارَنى (الحديث)

وفِيه : وأحلَّ لنَا كثيراً ممّا شدِّدَ على منْ قبلنَا ولمْ يجْعلْ علَيْنا فِي الدُّنْيا مِنْ حرجٍ فلَمْ أجِدْ شكْراً إلا هذِهِ السَّجْدَة (مواهب ٣٨٢) .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر بهذه النعمة تحدثا بنعمة الله ويقول : إنِّى بُعِثْتُ بِالْحنِيفِيَّةِ السَّمْحةِ (رواه أحمد بسند حسن) (كشف الخفاء ٢١٧) .

ويوصى بذلك بعوثه ورسله فيقول لهم : بَشِّروا ولاَ تُنفِّروا ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا . رواه أحمد والشيخان .

وهذه هى القاعدة الكبرى فى تكاليف هذه العقيدة كلها فهى ميسرة ولا عسر فيها وهى توحى للقلب الذى يتذوقها بالسهولة واليسر فى أخذ الحياة كلها وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التى لا تكلف فيها ولا تعقيد مما كان على من قبلهم من الأمم .

خامسا ـ كمال الشريعة المحمدية

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعتها أكمل الشرائع ـ وذلك بنص القرآن..

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

وهذا إعلان صريح من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة وإكمال الشريعة فلا نقص يستدعى الكمال ولا قصور يستدعى الإضافة ولا محلية أو زمانية تستدعى التطوير أو التحوير وهذا الكمال هو من حتميات العمومية المكانية والزمانية فى هذه الرسالة وذلك لأن كل رسول قبل خاتم النبيين إنما أرسل لقومه فى عصره فهى رسالة خاصة لمجموعة خاصة فى بيئة خاصة فى زمن

حالة الْجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان.

لكن لما كـان (النبى صلى الله عليه وآله وسلم) سيدنامـحمد أرسل لكافة الناس فهى رسالة الإنسان فى كل زمان وفى كلّ مكان التـى تخاطب فطرته التى لا تتبدل ولا تتحور ولا ينالها التغيير ، فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فصّل فى هذه الرسالة شريعة تتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها وفى كل جوانب نشاطها وتضع لـها المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وجعلها محتوية على كل ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات لكى تستمرّ وتنمو وتتطور وتتجدّد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار ..

سادسا ـ نورهم يسعي بين أيديهم

ومن خصائص هذه الأمة

أن نورهم يسعى بين أيديهم يوم القيامة بنص القرآن ..

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ أى إلى الجنة .

وقد وضحت السنة المشرفة هذه الخصوصية كما ثبت فى الحديث أن النبى صلي الله عليه وآله وسلم قال : إنّى لأَعْرِفُ أُمَّتى يومَ الْقيامَة منْ بيْنِ الأُمَمِ أَعْرِفُهم يؤْتوْن كتبهمْ بأَيْمانهمْ وأَعْرِفُهمْ بسيْماهمْ فى وجوهِهمْ منْ أَثَرِ السُّجوْدِ وأَعْرِفُهم بِنورِهِمْ يسعى بيْن أيْدِيهِمْ (رواه أحمد بإسناد صحيح) .

سابعا ـ كونهم خير أمة

ومن خصائص هذه الأمة

الخيرية بنص القرآن .. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ وبنص السنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : أَنْتُمْ تُوفُونَ سبْعِينْ أُمَّةً خَيْرُهَا وأكْرَمُها على الله عزَّ وجلَّ . رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا أُعطيْتُ ما لمْ يُعْطَ أحَدٌ من الأَنْبِيَاء فقلنا يا رَسُولَ الله ما هُوَ؟ قال نُصِرْتُ بالرُّعْب وأُعْطِيْتُ مفاتيح الأَرْضِ وسُمِّيْتُ أَحْمَدَ وجعل التُّرَابُ لِي طَهُوْراً وجُعِلَتْ أُمَّتى خَيْرَ الأُمَمِ . رواه أحمد وإسناده حسن ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى من أوصافهم المحمودة إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين الخاص والعام فقال تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا أيضا بمثابة الشرط الذى يؤهل للاتصاف بتلك الخيرية كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خطبة له في الحج وقد قرأ هذه الآية كنتم خير أمة أُخرجت للناس ـ قال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ الله فِيْهَا .

وهذه المنقبة الجليلة أشار إليها صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المشهور : لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتى ظَاهِرِيْنَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتى يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ـ فهو بيان إبقاء هذه الشعيرة فى الأمة المحمدية ولو على صورة ضيقة .

وهذه بخلاف أهل الكتاب فإنهم أهملوا هذه الشعيرة وتناسوها مجاملة ورياء أو نفاقا واستبدالا للذى هو أدنى بالذى هو خير ولذلك ذمهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

فظهر أنهم بتركهم لهذه الشعيرة استحقوا اللعنة من النبى داود وعيسى عليهما السلام وسمى فعلهم معصية وعدوانا وهو بئس الفعل والعياذ بالله.

وتتضح صورة هذه الخيرة الإلهية فى الأمة المحمدية فى جلالة أكثر وعظمة أكبر عند ذكر ما يقابلها بالنّسبة لغير هذه الأمة كاليهودية مثلا . فإن الله تعالى لما امتدح الأمة المحمدية بأنها خير أمة أُخرجت للناس ووصفها بأوصاف كريمة هيأتهم لهذه الخيرية ذم اليهود بأقبح الصفات وتوعدهم سوء المصير وضرب الذلة عليهم والمسكنة لكفرهم بآياته سبحانه وقتلهم لأنبيائه وتعديهم حدوده فقال كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وبجانب هذه الخصوصية الجليلة التى دلت عليها هذه الآيات المباركات فإنها تحمل هذه الأمة بشارة صادقة ـ صدق القرآن ـ بأن هذه الكثرة من أعدادهم لن يضروهم ضررا بليغا ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى ﴾ أى لا يضروكم إلا ضررا يسيرا كأن يؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضعف إيمانه عن الحق وهو الأذى من قوله ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى ﴾ وهذا الضرر فى الواقع لا يؤدى إلى هدم كيان الأمة ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها فهو ضمان حق ووعد صدق من الحق سبحانه وتعالى أكده بعده بوعد ثان وهو أن أهل الكتاب لو قاتلوا المؤمنين الصادقين فإن المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم فقال: ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ﴾.

ثم ختم هذا بوعد ثالث وهو أنهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود قوة أو شوكة للأخذ بثأرهم بعد ذلك ﴿ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ ﴾ إلا أن هذه الضمانات العظيمة التى هى بشارات كريمة مشروطة بمحافظة الأمة الإسلامية على أصلين عظيمين أشارت إليهما الآية..

الأول : الإيمان بالله ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الثانى : الدعوة إلى الخير ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ فإذا أرادت الأمة المحمدية أن لا تصاب من جهة اليهود بما يأتى على كيانها فعليها بإخلاص العبادة لربها والعمل بسنة نبيها والتقيد بأحكام كتابها وإعداد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها فإذا لم تلتزم بذلك أصابها الضرر من جهة أعدائها وأثر فى كيانها ومكن عدوها منها .

إن وعد الله تعالى ما تخلف ولن يتخلف وقد حققه سبحانه لأسلافنا الصالحين الذين آمنوا بالله حقا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولكن المسلمين هم الذين تغيرت أحوالهم فقد فرطوا فى دينهم وأضاعوا الصلاة وأكلوا الربا وانغمسوا فى الشهوات واتبعوا خطوات الشيطان وتفرقوا شيعا وأحزابا وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولم يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ولم يعدوا ما استطاعوا من قوة لقتال عدوهم كما كان أسلافهم من قبل ولم يحسوا الشعور بالمسئولية كما تريدها تعاليم الإسلام..

بعض حكامهم يحكمون بغير ما أنزل الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأكثر علمائهم غلب عليهم الحرص على الدنيا فنافقوا وجاملوا أو سكتوا فتسلط عليهم الحكام فلا كلمة حق تقال ولا حدود تقام ولا ضرب على أيدى الفساد والمخربين ولا غيرة على الحرمات أو المقدسات..

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم لأنه سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ ولئن عادوا إلى منهج الحق يعود إليهم كل ما فقدوه ولئن صدقوا الله يصدقهم ـ ولئن نصروه ينصرهم ولئن وفوا بعهد امانة ما ورثهم يحقق لهم ما وعدهم ـ ومن أصدق من الله قيلا ..

وإنّ العرب فى حربهم اليوم مع أعداء أنبيائه وملائكته وكتبه لما تذكر

معظمهم ربهم فرجعوا إليه ذاكرين داعين مصلين خائفين راجين معترفين بأن النصر منه ثبتهم الله بقدر رجعتهم تلك مع ما هم عليه فى مجتمعاتهم من مخالفة لله ومحاربة لأحكامه ومجاهرة بمعاصيه ..

أقول إنّ العرب ـ مع ماهم عليه ـ لما تذكروا الله سبحانه وتعالى ولمجرد تذكرهم فقد تحقق لهم خير كبير ونصر كثير واندفع عنهم عار خطير ووقفت معهم الدنيا محاربة ومناصرة ومؤيدة إما بالفعل أو بالقول..

وإنّ الأمل يملأ القلوب فى أن يتم البعث الإيمانى الإسلامى فيربط الحاضر بالماضى ويروى حديث المجد العزيز المشهود متصلا مسندا مرفوعا.

ثامنا ـ كون المسيح عيسي من أفراد هذه الأمة

إن من أفراد هذه الأمة نبيا عظيما من أولى العزم وهو المسيح عيسى عليه السلام فإنه حين ينزل يكون من هذه الأمة اتفاقا مع بقائه على نبوته بل ذهب جمع من العلماء إلى أنه صحابى لاجتماعه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو حى مؤمنا به ومصدقا .

وإذا نزل فإنما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو تابع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك فإنه يصلى مأموما مع جماعة المسلمين كما جاء فى الحديث فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ . وفى صحيح مسلم : كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيُقَالُ صَلِّ بِنَا فيقول لاَ إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ وفى مسند أحمد : فإذا بِعِيسى فَيُقَالُ تَقَدَّمْ فيقولُ لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ .

وفى سنن ابن ماجه : أنّ عيسى يقول للإمام صَلِّ فَإِنَّهَا أُقِيمَتْ لَكَ.

والحاصل أن الأخبار تواترت بأن عيسى يصلى مأموما يوم ينزل خليفة فى الأمة المحمدية وهو وإن كان واحدا من أفرادها ومن أتباع نبيّها محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنه رسول ونبى كريم لا كما يظن بعض الناس أنه يأتى واحداً من هذه الأمة بدون نبوة ورسالة ويجهل أنهما لا يزولان بالموت فكيف بمن هو حي وقد جاء في الصحيحين : لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، ويزيد هذا المعنى وضوحا حديث عبد الله ابن مغفل : يَنْزِلُ عيسى ابن مريم مُصَدِّقاً بِمُحَمَّدٍ على مِلَّتِهِ (رواه الطبرانى) (ونقله الزرقانى ٥/٣٤٩) .

وليس فى الرسل من يتبعه رسول عاملا بشريعته تاركا للشرع الذى أوحى إليه به إلا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لأنه نبى الأنبياء .

تاسعا ـ ثبوت البشارة بالجنة لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

جاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : طُوْبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وَطُوْبَى سَبْعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي . أخرجه أحمد والبخارى في التاريخ وابن حبان والحاكم بلفظ : طُوْبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وَطُوْبَى لِمَنْ لَمْ يَرَانِي وَآمَنَ بِي سَبْعَ مَرَّاتٍ وصححه الحاكم وتعقبه لكن له شاهد من حديث أنس عند أحمد وروى الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر قال سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل أرأيتَ مَنْ آمَنَ بك ولم يَرَكَ وصَدَّقَكَ ولم يرَكَ قال أولئكَ إخْوَانِي أُولئكَ مَعِي طُوْبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وطُوْبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي ثلاث مرات .

وروى الطبرانى برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن بسر مرفوعا طُوْبَى

لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ .

وجاء فى حديث أخرجه أحمد وابن حبان زيادة وهى أنه سُئل صلى الله عليه وآله وسلم وما طوبى فقال شَجَرَةٌ فى الجنَّةِ.

وبهذا ثبت فضل الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم أولا وآخرا لهذه الأمة.

عاشرا ـ ثبوت الفضل لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

تثبت بالاتفاق أفضلية عصره صلي الله عليه وآله وسلم ويدل علي ذلك ما جاء فى الصحيحين وغيرهما : خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ .

قال العلماء المقصود بذلك عصر الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة أو دونها بقليل أو فوقها بقليل على الخلاف فى وفاة آخر الصحابة موتا أبى الطفيل .

وقوله ثم الذين يلونهم أى القرن الذين بعدهم وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة إن اعتبر من سنة مائة وقوله ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين نحوا من خمسين إلى حدود عشرين ومائتين وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل من كل ما يأتى بعده وذهب أبو عمر بن عبد البر أنه قد يكون فيمن يأتى بعد الصحابة أفضل ممن كان فى جملة الصحابة .

جاء عن عمر بن الخطاب قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم فقال : أَتَدْرُوْنَ أَيُّ الخَلْقِ أَفْضَلُ إِيْمَاناً قلنا الملائكةُ قال وحُقَّ لهم بل غيرهم قلنا الأنبياءُ قال وحُقَّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم أَفْضَلُ الخَلْقِ إِيْمَاناً قَوْمٌ فى أَصْلابِ الرِّجَالِ يُوْمِنُوْنَ بِى ولَمْ يرونِى فَهُمْ أَفْضَلُ الخَلْقِ إِيْمَاناً .

رواه الطبرانى بإسناد حسن وأبو داود الطيالسى وحسنه ابن عبد البر .

وأيضا جاء في الحديث عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال يا رسول الله : هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ منَّا أسلمْنَا معك وجاهدْنَا معك قال قومٌ يَكُوْنُوْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُوْنَ بِى ولَمْ يَرَوْنِى رواه أحمد والطبرانى وصححه الحاكم .

ونحن لا نحب أن نتعرض إلى الخلاف الجارى بين العلماء فى قضية التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها فى فضل الأعمال غير أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورؤيته لا يعدلها شىء .

الحادي عشر

وجود قبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالتعيين

ومن فضل الله الذى شرّف به هذه الأمة فامتازت به على من سواها من الأمم هو أن قبر نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم معلوم عندنا بيقين وتواتر لا شك فى ذلك ولا ريب فترد الناس فى كل وقت وحين وتتكبد مشاق السفر وعناءه إلى قبره الشريف مع امتلاء قلوبهم بالعلم التام واليقين الكامل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المكان المشهود وهذه حجراته المعروفة ومساكن زوجاته وهذه روضته المطهرة .

هذا الشرف والفضل لم يثبت لنبى غيره صلى الله عليه وآله وسلم ولا لأمة

غير الأمة المحمدية وفى هذا يقول ابن حجر :

ولم تعلم مقابرهـم بأرض يقينا غير ما سكـن الرسول

وقال الإمام مالك رضى الله عنه للمهدى يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين فسلم عليهم فإنه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة فقال له ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله قال لأنه لا يعرف قبر نبى اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن قبر محمد عندهم فينبغى أن يعلم فضلهم على غيرهم .. (كذا فى المدارك) .

فالقبر الشريف موضعِ تَنَزُّل الرحمة الإلهية كما جاء في الحديث عن كعب رضى الله تعالى عنه : « ما منْ فجرْ يطْلُعُ إلاَّ وينْزِلُ سبْعُونَ ألْفاً من المَلائكَةِ حتَّى يَحُفُّوا بالْقَبر يضْرِبُونَ بأَجْنحتهمْ ويصلُّونَ على النَّبِىِّ حتَّى إذَا أَمْسَوْا عرجوا وهبطَ سبْعُونَ ألْفاً حتَّى يحفُّوا بالْقَبْرِ يضرِبُونَ بأجْنحَتِهِمْ فيصلُّونَ على النَّبِىِّ سبعونَ ألفاً باللّيْلِ وسبعون ألْفاً بالنَّهارِ » رواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني عشر

ذكر الأمة المحمدية في الكتب السابقة

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ الآية ..

وأخـرج الدارمى فى مسنده وابن عساكر عن كعب قال فى السطر الأول محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخابٍ فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام . وفى الثانى محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة(١) ويأتزرون (٢) على أوساطهم ويوضئون أطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل.

وفى رواية أخرى عند الدارمى وابن سعد وابن عساكر زيادة وهى:

يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم، كدويّ النحل يسمع مناديهم فى جو السماء .

وفى رواية عند الزبير بن بكار وأبى نعيم زيادة : أناجيلهم فى صدورهم قربانهم الذى يتقربون به إلىّ دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار .

وفى رواية عن أبى هريرة عند أبى نعيم جاء فى أوصاف هذه الأمة فى التوارة أنهم الآخرون السابقون المستجيبون المستجاب لهم، أناجيلهم فى صدورهم يقرؤونه ظاهرا ، يأكلون الفيء يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات واذا همّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة يؤتون العلم الأول والآخر فيقتلون قرون الضلالة والمسيح الدجال .

وفى رواية عن كعب الأحْبار عند أبى نعيم أيضا جاء فى وصف هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون

---

(١) مزبلة .
(٢) يشدون الأزر .

بالكتاب الأول والآخر ، إذا أردوا أمرا قالوا نفعله إن شاء الله ، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد غرٌ محجلون من آثار الوضوء أمة مرحومة ضعفاء يؤتون الكتاب اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات لا يدخل النار منهم إلا من برئ من الحسنات مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر ، وفى رواية عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما عن كعب أخرجها أبو نعيم أيضا وفيها إذا غزوا فى سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد وإن حضروا الصف فى سبيل الله كان الله عليهم مظللا .

وفى رواية عن أنس مرفوعة أخرجها أبو نعيم فى الحلية وفيها : إن الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها (أى محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وأمته صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله .

وفى رواية عن وهب بن منبه أخرجها ابن أبى حاتم وأبو نعيم جاء فى وصف الأمة المحمدية ما يأتى أن الله جل جلاله قال ألهمهم التسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم هم أوليائى وأنصارى أنتقم بهم من اعدائى عباد الأوثان يصلون لى قياما وقعودا وركعا وسجودا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى الوفا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ثم قال أجعلهم أفضل الأمم وأجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس إذا غضبوا هللونى وإذا قبضوا كبرونى وإذا تنازعوا سبحونى يطهرون الوجوه والآطراف ويشدون الثياب إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأشراف.

وروى البيهقى عن وهب بن منبه وفيه أن الله سبحانه وتعالى قال : أمته (يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم) مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء .

الثالث عشر

إن هذه الأمة لا تجتمع علي ضلالة

اختص الله هذه الأمة بأن لا تجتمع على ضلالة ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة وبأن اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا.

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بصرة الغفارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سألتُ اللهَ أَنْ لا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلى الضَّلالةِ فأَعْطَانِيْهَا وسألته أنْ لا يُظْهِرَ عليهم عدوّاً فأَعْطَانِيْهَا . الحديث .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: لاَ يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلى الضَّلالَةِ أبداً .

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة قال.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اختلافُ أُمَّتِي رحْمَةٌ .

وهذا الحديث رواه أيضا الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا

وروى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : انَّ الله لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي أو قال أمةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلاَلَةٍ ويَدُ اللهِ على الجمَاعَةِ ومن شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ .

وروى أبو داود عن أبى مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قَدْ أجَارَكُم الله مِنْ ثَلاثِ خِلالٍ ذكر منها وَأَنْ لاَ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلالَةٍ .

الرابع عشر

ان الله لا يهلك هذه الأمة بجوع ولا غرق

اختص الله هذه الأمة بأن لا يهلكها بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب عذاب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدوا غيرهم يستبيح بيضتهم .

أخرج مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : إنَّ اللهَ زوَى لِي الأَرْضَ فرَأَيْتُ مشَارقَهَا ومغَاربهَا وإنَّ ملْكَ أُمتِي سيبلُغُ ما زوى لِي منْهَا وأُعْطيْتُ الْكَنْزيْنِ الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ وإنِّي سألْتُ ربِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يهْلِكَهَا بسنَةٍ عامَّةٍ ولا يسلِّطَ عليْهِمْ عدُوّاً منْ سوى أَنْفُسِهِمْ فيَسْتَبِيحَ بيْضتَهمْ فأَعْطَانِي .

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد أن النبي صلي الله عليه وآله وسلم قال : سأَلْتُ ربِّي أَنْ لا يهْلِكَ أُمتِي بالسَّنَة فأَعْطَانيْهَا وسأَلْتُه أَنْ لا يهْلِكَ أُمَّتِي بالْغَرقِ فأَعْطَانيْهَا وسأَلْتُ أَنْ لا يجعَلَ بأْسهمْ بيْنَهمْ فردَّتْ علَيَّ .

وأخرج الدارمي وابن عساكر عن عمرو بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ اللهَ أَدْرَكَ بِي الأَجَلَ الْمَرْحُومَ واخْتَارَنِي اخْتِيَارا فنحن الآخِرُونَ السابقُونَ يومَ القيامَةَ وإنِّي قائلٌ قوْلاً غيْرَ فخْرٍ إبْرَاهيمُ خليْلُ اللهِ وموسى صفِي اللهِ وأَنَا حبيْبُ اللهِ ومعِي لواءُ الحمْدِ يوْمَ القيامَةَ .

وإنَّ اللهَ وعدَنِي في أُمَّتِي وأَجَارهُمْ منْ ثَلَاثٍ لاَ يعمُّهُمْ بسَنَةٍ ولاَ يسْتأْصلُهُمْ عدُوٌّ ولاَ يجْمعُهمْ على ضلالةٍ .

وعند أبي داود من حديث أبي مالك الأشعري قَدْ أجَارَكُمُ اللهُ منْ ثَلَاثَ خلالٍ أنْ لاَ يدْعوعلَيْكُمْ نبيُّكُمْ فتَهلَكُوا جميْعاً وأَنْ لاَ يظْهرَ أَهْلُ الْبَاطلِ علَى أَهْلَ الحَقِّ وأَنْ لاَ تجتَمعُوا علَى ضلَالَةٍ .

شرف الوضوء وفضله

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما أعده الله من الثواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء .

فمن ذلك :

أن الوضوء يطهر الإنسان من الخطايا وينظف جوارحه واحدة واحدة فكلما غسل جارحة خرجت منها الخطايا التى اقترفتها . قال صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ توضَّأَ وأَحْسنَ الْوُضوء خرجتْ خطاياه من جسدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحْتِ أَظْفارِهِ[1] .

عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا توضَّأَ العبْدُ المسلْمُ أو المؤمنُ فغسل وجْهَهُ خرجَ مِنْ وجْهِهِ كل خطيئةٍ نظرَ إليها بعيْنِه مع الماءِ أو مع آخرِ قطْرِ الماء ، فاذا غسل يديْهِ خرجَ مِنْ يديه كل خطيئةٍ كانَ بطشتْها يداهُ مع الماءِ أو مع آخرِ قطْرِ الماء ، فإذا غسل رجْلَيْهِ خرجتْ كلُّ خطيئة مشتْها رِجْلاهُ مع الماءِ أو مع آخرِ قطْرِ الماءِ حتَّى يخْرُجَ نقيّاً مِنَ الذُّنوبِ[2] .

وفى رواية عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه ، عنِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما مِنكُم رجلٌ يقرِّبُ وضوءه فيمضْمِض ويسْتَنْشِقُ فينْتَثِرُ إلاَّ جرَتْ خطايا وجْهِه وفيهِ وخياشيمِه ثم إذا غسلَ وجْهَهُ كما أمرَهُ اللهُ إلاَّ جرتْ خطايا وجْهِهِ من أطرافِ لحْيَتِهِ مع الماء . ثم يغْسِلُ يديه إلى المرْفَقَيْنِ إلا جرتْ خطايا يديهِ منْ أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا جرتْ خطايا رأسِه منْ أطْرافِ شعرِهِ مع الماء ، ثم يغْسِلُ قدميْهِ إلى الكعْبيْنِ إلاَّ جرتْ خطايا رجْلَيْهِ مِنْ أناملِهِ مع الماءِ ، فإنْ هو قام فصلَّى فحمدَ الله وأثْنى عليهِ ومجَّدَه بالّذى هو

(١ ، ٢) رواه مسلم .

لَهُ أَهْلٌ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ للهِ إلاّ انْصرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[١].

ومن ذلك :

أن الوضوء على المكاره يرفع الدرجات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألا أدُلُّكُمْ علىٰ ما يمْحو الله به الخَطَايا ويرفعُ الدَّرجاتِ قالوا : بلىٰ يا رسول الله قال: إسْباغ الوضوءِ على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجِدِ وانْتِظار الصلاةِ بعد الصَّلاةِ فذلِكُم الرِّباطُ فذلكم الرِّبَاطُ [٢].

ومن ذلك :

أن الشهادة بعد الوضوء سبب دخول الجنة .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : مَنْ توضَّأَ فأَحْسَنَ وضوءه ثم قال : أشهَدُ أنْ لا إله الاّ الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله اللّهم اجْعلْني من التَّوابيْنَ واجْعلْني مِنَ المتطهِّرين ، فتِحتْ لهُ أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانيةُ يدْخلُها مِنْ أيِّها شاء [٣] .

(١ ، ٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم والترمذي بمعناه ولم يذكر مسلم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين

فضل الأذان وشرف المؤذنين

ومن شرف الأمة المحمدية أن الله اختصها بالأذان وقد جاء فى فضله وفضل المؤذنين أحاديث كثيرة تبين شرفهم وما اختصهم الله تعالى به من مناقب ومزايا .

فمنها : أن المؤذن يشهد له كل من يسمع صوته بالأذان كما جاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يَسْمعَ مَدى صوت المؤذِّن جنٌّ ولا إنسٌ ولا شىءٌ إلاَّ يَشهدُ له يوم القيامة [١] .
وفى رواية : أنه يشهدُ له كلُّ رَطْبٍ ويابسٍ [٢] .

ومنها : ان للأذان فضلا خفيا لا يعلمه إلا الله ، فقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما فى النداء والصفِّ الأوَّلِ ثم لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أن يَسْتَهِمُوا لاسْتَهَمُوا عليه [٣] .
والمراد بالنداء الأذان . وقوله استهموا أى اقترعوا . ومعناه : أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقا يحصّلونه لضيق الوقت عن أذان بعد أذان ، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا فى تحصيله .

ومنها أن رفع الصوت بالأذان لتحصيل ثواب الله وشهادة كل شىء بالتوحيد للمؤذن أمر محبوب يستحق أن يتقاتل عليه الناس بالسيوف.

فعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما فى التَّأْذِين لتَضَارَبُوا عليه بالسُّيُوفِ [٤] . أى لحصل نزاع شريف

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه البخارى.
(٤) رواه أحمد وفى إسناده ابن لهيعة.

وتقاتل بسيط على النصر والفوز فى المنافسة الخيرية ، وهذا من باب الترغيب وإلا فإن المقاتلة لا تجوز . بل الخلاف على ذلك لا يجوز.

ومنها: أن المؤذن معه رحمة الله وعونه ومساعدته وإحسانه وفى أى مكان سار ووصل تحيط به رحمة الله تعالى. روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يَدُ الرَّحْمنِ فوق رأسِ المؤذِّنِ وإنَّه ليُغْفَرُ له مدى صوتِه أين بلَغَ[١] .

ومنها: أن المؤذن أمين وهو محل ثقة الناس يعتمدون عليه فى معرفة وقت إفطارهم إن صاموا ، أو يقبلون على الصلاة المكتوبة ، فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الإمامُ ضامِنٌ والمؤذِّنُ مؤْتَمَنٌ ، اللهم أَرْشِدِ الأئمَّة واغْفِرْ لِلْمُؤذِّنِين[٢] .

وهذا دعاء عظيم من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للمؤذنين فهنيئا لهم بهذه الدعوة النبوية المجابة .

ومنها: أن المؤذن يطرد بأذانه الشيطان . فعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الشيطان إذا سمِعَ النِّداء بالصلاةِ ذهبَ حتى يكونَ مكانَ الرَّوحاءِ . قال الراوى : والروحاء من المدينة على ستةَ وثلاثين ميلا[٣] . وهى التى تعرف اليوم ببير الراحة بعد المسيجيد.

قال النووي : إنما يدبر الشيطان لعظيم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الإسلام وإعلانه . وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد . اهـ

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما إلا أنهما قالا ـ فارشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين ولابن خزيمه رواية كرواية أبى داود .

(٣) رواه مسلم .

والمؤذنون هم من أحب العباد إلى الله تعالى .

روى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ ، إن أَحَبَّ عباد الله إلى الله لَرُعاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ يعنى المؤذنين ، وإنَّهم لَيُعْرَفُون يوم القيامَةِ بِطُولِ أَعْناقِهم(١) .

ومن مزايا المؤذنين ـ أن إتمام غفران الله للمؤذن ودرك رحمته تعالى له بقدر الفراغ الذى يملؤه صوته . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يُغْفَرُ للمؤذِّنِ مُنْتَهى أذانِه ويَسْتَغْفِرُ له كلُّ رَطْبٍ ويابِس سمِعَه(٢) .

ومنها : أن المؤذن سبع سنين احتسابا لله تعالى تكتب له براءة من النار كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ أَذَّن سبعَ سِنين مُحْتَسِباً كُتِبَ له بَراءةٌ من النار(٣) .

ومنها : أن المؤذن محفوظ من أهوال القيامة فى مكان بارز متميز عن غيره من أهل الموقف ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: المُؤَذِّنون أطْوَلُ الناسِ أَعْناقاً يومَ القيامةِ (٤) .

ومنها : أن من أذن اثنتى عشرة سنة وجبت له الجنة.

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ أَذَّن اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سنةً وجَبَتْ له الجَنَّةُ وكُتِبَ له بتأذِينه فى كلِّ

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط . وقوله رعاة الشمس والقمر أى الذين يترقبون حركات الكواكب لترشهدم إلى أوقات عبادة الله عز وجل من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء. كما أن الراعى يراقب حركات الماشية

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه الترمذى وقال حديث غريب.

(٤) رواه مسلم .

يومٍ ستُّون حسنةً ، ولكلِّ إقامةٍ ثلاثونَ حسنةً[١] .

والمؤذنون هم من خِيار عباد الله . جاءِ فيِ الحديث أنِ النبيِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ خِيارَ عبادِ الله المؤذنون يُراعون الشّمْسَ والقمرَ والنُّجومَ لذِكْرِ الله[٢] .

والمؤذنون يحشرون يوم القيامة على حالِهم الذى ماتوا عليه ، فالناس فى هلع وخوف وجزع وهم مشتغلون بالأذانِ . روِيَ عنِ جابرِ رضِى الله عنه أن رسولِ الله صلي الله عليه وآله وسلم قال: إن المؤذِّنيْنَ والملَبين يخْرجون من قُبورِهِمْ يؤذِّن المؤذِن ويلبِّى الملبِّى[٣] .

والمؤذنون يوم القيامة على كثبان من مسك يراهم الناس فيتمنى كل واحد مقامه ، لا يهولهم الفزع الأكبر ولا يفزعون يوم يفزع الناس .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ثلاثةٌ علي كُثْبَانِ المسْك وأراه قال : يومَ القيامة . زاد فى رواية : يَغْبِطهم الاوَّلون والآخِرون: عبدٌ أدَّى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ أَمَّ قوماً وهمْ به راضون ورجلٌ ينادى بالصَّلواتِ الخمْسِ فى كلِّ يومٍ وليلة[٤] .

وفي روايِة عند الطبرانى فى الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به « لا يهُولُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ولا ينالُهم الحساب ، هُمْ على كُثُبٍ مِنْ مِسْكٍ حتّى يُفْرَغَ من حسابِ الخلائِق .

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .

(٢) رواه الطبرانى واللفظ له . والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد . ثم رواه موقوفا وقال : هذا لا يفسد الأول لان ابن عيينة حافظ وكذلك ابن المبارك اهـ. ورواه أبو حفص بن شاهين وقال : تفرد به ابن عيينة عن مسعر وحدث به غيره وهو حديث غريب صحيح.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) رواه أحمد والترمذى من رواية سفيان عن أبى اليقظان عن زاذان عنه وقال حديث حسن غريب .

وفى رواية أخرى عند الطبرانى فى الكبير : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة ومرة ومرة حتى عدّ سبع مراتٍ لما حدَّثْتُ به : سمعت رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولِ : ثلاثةٌ على كُثْبانِ المِسْكِ يومَ القيامةِ لا يهولُهم الفزع ولا يفْزَعون حين يفزع الناس .

والمؤذن المحتسب كالشهيد، جاء فى الحديث عن ابنِ عمرِ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المؤذِّنُ المحْتسب كالشهيدِ المُتَشَحِّطِ فى دمِه يتمنَّى على اللهِ ما يَشْتهى بين الأذانِ والإقامةِ[١] .

والمؤذن المحتسب إذا مات فإن جسمه محفوظ لا يأكله الدود، فعن عبد الله ابنِ عمرِ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المؤذِّنُ المحْتَسبُ كالشَّهيدِ المُتَشَحِّطِ فى دمِه إذا مات لم يُدَوَّدْ فى قبْرِه[٢] .

وهذه مكافأة من الله تعالى للمؤذن الذى يحافظ على إيقاظ الناس أن يحيا فى قبره ويشعر بنعيم ربه وينقى ويطهر جسمه ولا ينتن ولا يقذر ويسلم من الدود الذى ينشأ من عفونة الجسم لكن الشرط أن يكون محتسبا أما إذا كان مؤذنا فاسقا وطمّاعا ومختالا فيطلق الله عليه الحشرات فى قبره تنهشه نهشا ويبلى جسمه ويعذبُ عذابا أليما .

ومن فضائل الأذان أنه أمان لأهله ..

روى عن أنسٍ بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أُذِّنَ فى قريةٍ أَمَّنَهَا الله عزَّ وجلَّ من عذابه ذلكَ اليومَ[٣] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط. ومعنى المحتسب : هو الذى يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثوابا من المؤجر ومعنى المتشحط : أى المتخبط فيه يعنى المضطرب المتمرغ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وقال الهيثمى : وفيه محمد بن الفضل القطانى ولم اجد من ذكره .

(٣) رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاث .

وفى رواية : قَالَ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم : أَيُّما قومٍ نُودِىَ فيهِمْ بالأذانِ صباحا إلا كانوا فى أمانِ الله حتَّى يُمْسُوا وأيُّما قومٍ نودِىَ فيهِمْ بالأذانِ مساء إلا كانوا فى أمان الله حتى يُصبِحُوا [١] .

ومن فضائل الأذان ما جاء فى الحديث عن هلال بن يساف رضى الله عنه أنه سمع معاوية يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنْ سَمِعَ المؤذِّن فَقَالَ مِثْلَ مَا يقُولُ فله مِثْلُ أَجْرِه [٢] .

ومن فضائل الأذان أن من أجابه فله بكل حرف ألف ألف درجة وهذا روى فى الحديث عن السيدة ميمونة رضى الله عنها مرفوعا وهو وان كان ضعيفا إلا أنه تثبت بمثله الفضائل [٣] .

ومن خصائص الأذان أن من خرج من المسجد بعد سماعه الأذان من غير عذر أو إرادة الرجوع إليه مرة أخرى ـ فهو منافق .

روى عن عثمان بن عفانِ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ أَدْرَكَهُ الأذانُ فِى المسجدِ ثم خرجَ لم يَخْرُجْ لحاجةٍ وهو لا يرِيْدُ الرَّجْعَةَ فهو منافِقٌ [٤] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث معقل بن يسار.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين لكن متنه حسن وشواهده كثيرة .

(٣) وقد رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) رواه ابن ماجه.

فضل إجابة المؤذن

ومن شرف الأمة المحمدية ما جاء فى فضل إجابة المؤذن من الفضل العظيم والأجر الكريم .

فمن ذلك ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بشّره بالجنة : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : إذا قال المُؤَذِّنُ الله أكْبر فقال أحدُكم الله أكبر ثم قال أشْهَدُ أن لا إله إلا الله قال أشْهَدُ أن لا إله إلا الله ثم قال أشْهَدُ أن محمدا رسولُ الله قال أشْهَدُ أن محمدا رسولُ الله ثم قال حيٍّ على الصلاة قال لا حولَ ولا قُوَّة إلا بالله ثم قال حى على الفلاحِ قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال لله أكبر قال لله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله مِنْ قلبِه دخَلَ الجنة [١] .

وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام بلال ينادى فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال مثلَ ما قال هذا يقيناً دخلَ الجنة[٢] .

وفى رِواية : أن النبِى صلى الله عليه وآلِه وسلم لما سمع بلالا يُؤَذِّنُ قال : من قال مِثْل مقالتِه وشهِد مثل شهادته فلهُ الجنَّه .

ومن ذلك أنِ النبى صلى الله عليه واله وسلم بشَّرَ مَنْ أجاب المؤذِن بالمغفرة إذا قال : وأنا اشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له وأنْ محمداً عبده ورسوله رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلامِ ديْناً وبمحمدٍ رسولاً[٣] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو عبد الرحمن النسائى فى سننه .

(٣) رواه مسلم والترمذى واللفظ له .

ومن ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بشره بالشفاعة يوم القيامة ، وينال هذه الشفاعة إذا أجاب المؤذن وصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويسأل له الوسيلة . وبهذا تعلم أن الفوز بشفاعته الخاصة مشروط بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له . فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىَّ فإنَّه مَنْ صلّى علىَّ صلاةً صلّى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلاَّ لعبدٍ لله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلَّتْ له الشفاعة[١] .

وينال هذه الشفاعة أيضا إذا قال اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوَة التَّامَّة والصَّلاةِ القائمةِ آتِ محمَّداً الْوَسِيْلَةَ والفضيلةَ وابْعَثْه مقاماً محموداً الذى وعَدْتَه .

فقد جاء فى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قال حين يسْمع النداء ـ الحديث ـ ثم قال « حلَّتْ له شفاعتى »[٢] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول إذا سمع المؤذن : اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامّة والصلاة القائمة صلِّ على محمدٍ وأَعْطه سؤاله يوم القيامة وكان يسْمعها مَنْ حوله ويحبُّ أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن قال : ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبتْ له شفاعة محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة[٣] .

وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع النداء قال : اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ صلِّ على عبدِك ورسولك واجْعلْنا

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

(٢) رواه البخارى ورواه البيهقى وزاد فى آخره : إنك لا تخلف الميعاد.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

فى شفاعتِه يَوم القيامةِ .

ويقول : مَنْ قالَ هذا عِنْدَ النّداءِ جعلَه اللهُ فى شفاعتى يومَ القيامة (١) .

وفى رواية : من سمِع النداءَ فقالَ : أَشهَدُ ان لا إله إلا الله وَحدَهُ لا شرِيكَ له وأن محمداً عبده ورسوله : اللهمِ صلِّ على محمدِ وبَلِّغْهُ درجةَ الوسيلةِ عنْدَكَ واجعلْنا فى شفاعتِه يومَ القيامةِ ، وجبتْ له الشفاعةُ(٢) .

وقد بشر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ أجاب المؤذِّنَ بأن دعوته مستجابة .

عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ قالَ حينَ يُنادى المنادى : اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة صلِّ على محمدٍ وارْضَ عنىٍّ رضاً لا سَخَطَ بعدَه ـ اسْتَجابَ اللهُ له دَعْوَتَه (٣) .

وعن عبدِ الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله إن المؤذِّنين يفْضُلونَنَا « أي يزيدون علينا فى الثواب » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قُلْ كما يقولون فإذا انْتَهَيْتَ فسَلْ تُعْطَهُ (٤) .

ومن فضائل الأذان ـ ان بينه وبين الإقامة دعوة مستجابةٌ .

فعن سهل بنِ سعد رضى الله عنه قال : قالِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ساعتان لا تُرَدُّ على داعٍ دعوته : حين تُقامُ الصلاةُ، وفى الصفِّ فى سبيلِ الله (٥) .

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفى إسنادهما صدقة بن عبد الله السمين .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٣) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وفيه ابن لهيعة.
(٤) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه.
(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه.

وفى رواية: عن أبى أُمـامـة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قال : إذا نادى المنادى فُتحتْ ابواب السَّماء واسْتُجيْبَ الدُّعاء فمن نزل به كَرْبٌ أو شدَّةٌ فلْيَتَحيَّنْ المُنادى فإذا كبَّر كبَّر وإذا تشهَّد تشهَّد وإذا قال حىَّ على الصلاة ، قال : حىّ على الصلاة وإذا قال حىَّ على الفلاح قال حىَّ على الفلاح ، ثم يقول اللهم رب هذه الدَّعْوة التامَّة الصادقة المسْتجابة ، المستجاب لها دعوة الحقِّ وكلمةُ التَّقْوى أَحْيِنا عليْهَا وأَمتْنَا عليها وابْعَثْنا عليها واجعلْنا منْ خيار أهلها أحياءً وأمواتاً ، ثم يَسْأَلُ الله حاجتَه [١].

---

(١) رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واه وقال صحيح الأسناد . وقوله : فليتحين المنادى أى ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيبه ثم يسأل الله حاجته .

فضل بناء المساجد والمشي إليها والجلوس فيها

ومن شرف الأمة المحمدية ، اختصاصها بالمساجد وقد جاء فى فضل بنائها وفضل السعى إليها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة .

فمنها ما يدل على فضل بناء المسجد وأنه مضمون له بيت مثله فى الجنة.

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَنْ بنى مسجداً يبْتَغى به وجْهَ اللهِ ، بنَى اللهُ له مِثْلَه فى الجنّة[١] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من بنى مسجدا يُذْكَرُ فيه اسم الله ، بنى الله له بيتاً فى الجنَّة[٢] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ بنى مسجِداً كَمَفْحَصِ قَطاةٍ أو أَصْغَرَ بنى اللهُ له بيتاً فى الجنَّه[٣] . وقوله كمفحص قطاة : القطاة طائر معروف أى مقدار عشها ومأواها.

وفى رواية : بَنَي اللهُ له بيتاً أَوْسَعَ منه[٤] . وفى رواية: أَفْضَلَ منه[٥] . وفي رواية: من بنى بيتاً يعْبَدُ الله فيه من مالٍ حلالٍ بنى الله له بيتاً فى الجنةِ مِنْ درٍّ وياقوتٍ[٦] .

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم.

(٢، ٣) رواه ابن ماجه

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه أحمد والطبرانى.

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار دون قوله من در وياقوت.

وفى رواية مَنْ بَنَى مسجداً لا يُرِيْدُ به رياءً ولا سُمْعَةً بَنَى اللهُ له بيْتاً فى الجنَّة(١) .

وثواب بناء المسجد باق وأجره جار لصاحبه حتى بعد وفاته فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ مِمّا يَلْحَق المؤمنَ مِنْ عملِه وحسناته بعْدَ موْته علْماً علَّمهُ ونشَره ، أو ولداً صالحا تركه أو مُصْحَفاً ورَّثَه أَو مسجداً بناه أو بيَّاً لابْنِ السَّبيلِ بناه أو نَهراً أَجْراه أَو صدقَةً أَخْرَجَها مِنْ مالهِ فى صِحَتِه وحيَاتِه تلْحقُه مِنْ بعد موْته(٢) .

ومنها ما يدل على فضل من كنس المسجد ونظفه.

عنِ أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : عرِضتْ عليَّ أُجورُ أُمَّتي حتى القَذَاة يُخْرِجها الرَّجلُ من المَسْجد . وعُرِضتْ عليَّ ذُنوب أُمّتى فلمْ أَرَ ذنْباً أعْظمَ مِنْ سورةٍ منْ القُرآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتَيها الرَّجل فنسِيها . والقذاة مفرد قذى ، وهى ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك والمعنى يخرج الرجل كل قذر وإن قلَّ.

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنَ المَسْجِدِ بَنَى اللهُ له بيتاً فى الجنَّة(٣) .

ومنها ما يدل على فضل المشى إلى المساجد وفضل الجلوس فيها.

فعن أبِى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلاةُ الرَّجلِ فى جماعة تُضْعفُ على صلاته فى بيته وسوقه خمساً وعشرين ضِعْفاً وذلكَ أنَّه إذا توَضَّأَ فأَحْسَنَ الوُضوء ثم خَرجَ إلى المسجدِ

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى وإسناد ابن ماجه حسن.

(٣) رواه ابن ماجه وفى إسناده احتمال للتحسين .

لا يُخْرِجُه الا الصَّلاةُ لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفِعَتْ له بها درجَةٌ وحُطَّ عنْهُ بها خَطيْئَةٌ . فاذا صلَّى لم تزَلْ الملائكةُ تُصلِّى عليه مادام فى مُصلاه ، تقُوْلُ اللّهمَّ صلِّ عليهِ ، اللّهمَّ ارْحمْهُ ولا يَزالُ فى صلاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلاةَ[١] .

وعن أبى بن كعب رضى اللهعنه ، قال : كانَ رجُلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعَدَ من المسجدِ منْهُ وكان لا تُخْطئه صلاةٌ، قال فقيلَ له أوْ قُلْتُ له : لو اشْترَيْتَ حماراً ترْكَبُه في الظَّلْماءِ وفي الرَّمْضاءِ ، قالَ ما يسُرُّنى أنَّ منْزِلى إلى المسجدِ إنِّى أُريدُ أنْ يُكْتَبَ لى ممْشَاى إلى المسْجدِ ورجوعى إذا رجعْتُ إلى أهْلى . فقَال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد جمَعَ الله لكَ ذلكَ كلَّه[٢] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كانتْ ديارنا نَائيَةً من المسجدَ فأرَدْنا أن نَبيعَ بيوتنا فنقْرُبَ من المسجد ، فنهانا رسولُ الله صلى اللهعليه وآله وسلم فقال : إنَّ لكُمْ بكُلِّ خَطْوَةٍ درجةً[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : منْ تطَهَّرَ فى بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليَقْضِيَ لله فريضةً منْ فرائضِ الله كانتْ خطْوَتاه إحْداهما تحطُّ خطيئةً والاخْرَى ترْفَعُ درجةً[٤] .

وعنه عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم قال منْ غدا إلى المسجدِ أو راحَ ، أعَدَّ اللهُ له فى الجنَّةِ نزُلاً كلَّما غدا أو راحَ[٥] .

وعن أبى أُمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالَ : من خرج من بيته متطهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فأَجْرُه كأَجْرِ الحاجِّ المحْرِمِ ، ومن خرَجَ إلى تسْبيحِ الضُّحى لا ينْصِبُهُ إلا إياه فأجْرُه كأَجْرِ المعْتمرِ ، وصلاةٌ على

---

(١) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٢، ٣، ٤) رواه مسلم

(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

أَثَرِ صلاةِ لاَ لْغو بينهما كِتابٌ فى عِلِّيِّيْنَ(١).

وعن بُريدةِ بن الحصيبِ الأسلمِى رضى الله عنه. عن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال : بَشِّرِ المشّائِيْنَ فى الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنُّورِ يومَ القيامةِ(٢).

وعنِ أبِى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولِ الله صلى الله عليه وآله وَسلم : المَشَّاؤُوْنَ إلى المسَاجِدِ فى الظُّلَمِ ، أولئك الخَواضُون فى رحمةِ اللهِ .

وعِن سهلِ بنِ سعد رضى الله عنه قال : قال رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لِيُبَشَّرِ المشَّاؤون فى الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بنورٍ تامٍّ يوم القيامةِ(٣).

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه أبو داود والترمذى

وقال حديث غريب ، وعن أنس بن مالك مثله رواه ابن ماجه .

(٣) رواهما ابن ماجه .

فضائل الصــــلاة

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضائل على أداء الصلوات والمحافظة عليها .

فمن ذلك :

أن الصلاة تكفر الخطايا . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾.

روى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرا بِبَاب أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كلَّ يومٍ خَمْسَ مراتٍ هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا : لا يبقى من درنه - أى وسخه - شىء ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فكذلك الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ يَمْحُو اللهُ بهنَّ الخطايا - أى الصغائر - أما الكبائر فلابد لها من توبة كما دل على ذلك حديث مسلم والترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، والجمعةُ إلى الجمعةِ - وفى رواية - : ورمضانُ إلى رمضانَ كفَّارةٌ لما بَيْنَهما ما لم تُغْشَ الكبائرُ . وفى رواية - : إذا اجْتُنِبَتِ الكبائر .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبىِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ للهِ ملَكاً يُنادى عندَ كلِّ صلاةٍ : يا بَنى آدمَ قوموا إلى نيرانِكم الَّتى أَوْقَدْتُموها فأطْفِئوها . والمراد بالنيران هنا الذنوب[١] .

وعن أبى مسلم الثعلبى قال : دخلت على أبى أمامة رضى الله عنه وهو فى

---

(١) رواه الطبرانى وقال المنذرى : رجاله كلهم محتج بهم - فى الصحيح .

المسجد فقلتُ : يا أبا أُمامة إن رجلا حدّثني عنك أنك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من توضأ فأسبغ الوضوء فغسل يديه ووجهه ومسح على رأسه وأُذنيه ثم قام إلى صلاةٍ مفروضةٍ غفر الله له فى ذلك اليوم ما مشت إليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت أُذناه ونظرت إليه عيناه وحدث به نفسه من سوءٍ .

فقال أبو أمامة : والله قد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرار(١) .

وعن أبى أَيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : إنَّ كُلَّ صلاةٍ تحطُّ ما بين يديها من خطيئةٍ(٢) .

ومن ذلك :

أن الصلاة ترفع الدرجات. روى مسلم عن معدان بن أبى طلحة رضى الله تعالى عنه قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : أخبرنى بعمل أعمل يدخلنى الله به الجنة - أو قال : أخبرنى بأحب الاعمال إلى الله تعالى فسكت . ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال ثوبان : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : عليك بكثرة السُّجود فإنك لا تسجد لله سجدةً إلاّ رفعك الله بها درجةً وحطَّ بها عنك خطيئة .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من عبدٍ يسجد لله سجدة إلا كتب الله له بها حسنةً ومحا عنه بها سيئة ورفع له بها درجةً فاستكثروا من السجود(٣) .

---

(١) رواه أحمد وله شواهد

(٢) قال الهيثمى رواه أحمد وسنده حسن.

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

ومن ذلك :

أن الصلاة خير موضوع شرعه الله تعالى . روى الطبرانى عن أبى هريرةِ رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الصلاة خير مَوْضوعٍ فمن استْطاعَ أن يستَكْثِرَ فَلَيَسْتَكْثِرْ .

ومن ذلك :

أن الصلاة خير الأعمال : عن ثوبان رَضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : استقيموا ولن تحْصُوا ــ وفى رواية : استقيموا تُفْلحوا ــ واعلموا أنَّ خير أَعمالِكُمْ الصلاةُ ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤْمنٌ [١] .

ومن ذلك :

أن الصلاة شفاء للأرواح والأشباح . فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنّ الصلاة شفاءً »[٢] .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها اتخاذ عهد عند الله تعالى بدخول الجنة ، عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : خمسُ صلواتٍ كتبهنّ اللهُ على العباد فمن جاء بهنْ ولم يُضيّعْ منهنّ شيئاً استخْفَافاً بحقِّهن كانَ له عند الله عهدٌ أن يدْخله الجنّةَ ، ومن لم يأْتِ بهن فليس له عندَ الله عهدٌ إن شاءَ عذَّبَه وانَ شاءَ أدْخَلَهُ الجنَّةَ[٣] .

وعن كعب بن عُجْرة رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه .. ومعنى لن تحصوا : اى لن تحصوا ثناء عليه سبحانه ، أو لن تحصوا مراتب الاستقامة ،

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مالك وأبو داود والنسائى

صلي الله عليه وآله وسلم ونحن سبعة نفر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما أجْلَسَكُمْ ؟ قلنا : جلَسْنا ننتظرُ الصلاة . قال : فأَرَمَّ - أى سكت - قليلا ، ثم أقبل علينا فقال : هل تدْرُونَ ما يقولُ ربُّكم ؟ قلنا لا ، قال : فانَّ ربَّكم يقول : منْ صلَّي الصلاةَ لوقْتها وحَافَظَ عليها ولم يضيِّعْها استْخْفافاً بحقِّها فله علَيَّ عهدٌ أنْ أُدْخلَه الجنةَ، ومن لم يصلِّها ولم يحافظْ عليها وضيَّعها استِخْفَافاً بحقِّها فلا عهدَ له علَيَّ، إنْ شئْتُ عذَّبْته وان شئتُ عفَرْتُ له [١].

ومنها : أن الصلاة تمنح المصلى عفو الله تعالى ورحمته ورضوانه - فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الوقتُ الأَوَّلُ من الصلاةِ رضْوانُ الله والآخرِ عفوُ الله [٢].

وجاء أن النبى صلي الله عليه واله وسلم قال : أوَّلُ الوقتِ رضوانُ اللهِ ووسَطُ الوقتِ رحمةُ اللهِ وآخرِ الوقتِ عفْوُ الله عزَّ وجلَّ [٣].

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها مباهاة رب العزة ملائكته بالمصلي فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم قال : يتعاقبون فيكمْ - وفي رواية أحمد : إن الملائكة يتعاقبون فيكم : أى يتناوبون - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويَجْتَمِعُون فى صلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العَصْرِ ثم يعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألُهم ربُّهم - وهو أعلم بهم - فيقول : كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلُّون وأَتَيْنَاهمْ وهم يصلُّون [٤].

---

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى وأحمد بنحوه.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه الدارقطنى .

(٤) رواه الشيخان.

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها صلة العبد بربه ، ترفع الحجب بين المصلى وبين ربه عز وجل . عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن العبد إذا قام فى الصلاة فتحت له الجنان ، وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبلته الحور العين ما لم يمتخط أو يتنخع[١] .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها الاقتراب من حضرة رب الأرباب ، قال تعالى ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[٢] .

وإنما كان فى السجود قرب خاص لما فيه من محض ذل العبودية لمقام عزة الربوبية .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها مناجاة رب العزة . عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :« إنّ المؤمن إذا كان فى الصلاة فإنما يناجى ربه ، فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدميه »[٣] .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلا فيأخذه بيده اليسرى كما نص عليه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى وغيره.

إذا قامَ أحدُكم إلى الصَّلاةِ فلا يَبْصُقْ أمامَه فإنَّما يُناجى الله ما دامَ في مُصَلَّاه ولا عن يمينه فإنَّ عن يمينِه مَلَكاً وليَبْصُقْ عن يسارِه أو تحتَ قدَميه فيَدْفِنْها[١].

ومن ذلك

أن الصلاة فيها التوجه والإقبال على الله تعالى - عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا كانَ أحدُكم يُصلِّى فلا يَبْصُقْ قَبَلَ وجْهِه فإنَّ الله قِبَلَ وجْهِهِ إذا صلَّى[٢].

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها ذكر العبد ربه تعالى وذكره تعالى لعبده ـ قال تعالـــى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ أى لذكرك لى وذكرى لك ، فإن كل نوع من الذكر يتقرب به العبد لربه مقابل بذكر منه سبحانه.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال تعالىِ : (قَسَمْتُ الصلاة بينى وبينَ عبْدى نصفَين ولِعبْدى ما سَأَلَ، فإذا قال العبد : « الحمدُ لله ربِّ العالمين » قال الله تعالى : « حَمِدَنى عَبْدى » وإذا قال: « الرحمن الرحيمِ » قال الله تعالى « أَثْنى علىَّ عبْدِى » وإذا قال: « مالكِ يوم الدِّيْنِ » قال تعالى « مجدنى عبْدى » وقال مرة : فوَّضَ إلىَّ عبْدِى ـ فإذا قَالَ « إيَّاكَ نَعْبُد وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ » قال: هذا بينِي وبينَ عبْدى ولعبْدى ما سأَلَ ، فإذا قال: « اهْدِنَا الصِّراطَ المستقِيمَ ، صراط الذين أنْعمْتَ عليهمْ غيرِ المَغْضوبِ عليهم ولا الضَّالِّيْنَ » قال تعالى : « هذا لعبدى ولعبدى ما سأَلَ » [٣].

وجاء فى رواية أخرى زيادة فى أوله : فإذا قال العبد : « بسم الله الرحمن

(١، ٢) رواه البخارى.

(٣) رواه مسلم

الرحيم » يقول الله تعالى : « ذَكَرَنى عبْدى »[١].

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها تأمين الملائكة أى : تقول لقراءة الفاتحة آمين . فمن وافق تأمينهم غفر له ماتقدم من ذنبه ، كماجاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وافَقَ تأْمِينُه تأْمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا قال أحدُكم آمين وقالتِ الملائكةُ فى السماءِ آمينَ فوافقَتْ إِحداهما الأُخْرَى غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه[٣].

ومن ذلك :

أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر قال الله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾.

فقد أمر سبحانه بإقامة الصلاة وبين أثر الصلاة فيمن أقامها أنها تنهاه عن الفحشاء ـ أى المحرمات الفعلية ـ والمنكر القولى ، والفواحش الفعلية والمنكرات القولية هما مجمع الآثام والذنوب .

ومن ذلك :

أن الصلاة تهذب العبد من الصفات الذميمة ـ قال الله تعالى ﴿ إِنَّ

---

(١) قال النووى فى المجموع ولكن اسنادها ضعيف. وهى عند الدارقطنى والبيهقى .

(٢، ٣) فى الصحيحين .

الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾.. الآيات. يعنى الإنسان إذا مسه الشر اشتد جزعه وضجره وإذا مسه الخير من الله تعالى شح ومنع حق الله تعالى فى ذلك، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : شَرُّ ما فى الرَّجُل شُحٌّ هَالِعٌ وجُبْنٌ خَالِعٌ [١].

ولم يبرأ من تلك الصفات الذميمة إلا المصلون الدائمون على صلاتهم فى أوقاتها الملازمون لها فإنها حولتهم من الطباع السيئة إلى الطباع الحسنة وطورتهم فى أطور الكمالات والفضائل.

ومن خصائص الصلاة أن البر الإلهى يتناثر فيها على المصلى ، روى محمد بن نصر عن الحسن البصرى مرسلا أن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال لِلْمُصَلِّي ثَلاثُ خِصالٍ يتناثَرُ البِرُّ مِنْ عنانِ السَّماءِ إلي مَفرقِ رأسه وتَحُفُّ به المَلائكة مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْهِ إلى عنانِ السَّماءِ ويناديه منادٍ : لو يَعْلَمُ المُصَلِّى مَنْ يُناجى ما انْفَتَلَ .

ومن خصائص الصلاة أن الملائكة تصلى على المصلى ما دام فى مصلاه . عن أبِى هريرة رضى الله عنه قال : قالَ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ أحدكُمْ فى صلاةٍ ما دامت الصَّلاةُ تَحْبِسه والملائكةُ تقول : اللَّهمَّ اغْفِرْ له اللهمَّ ارْحَمْه . ما لم يَقُمْ مِنْ مُصَلاَّهُ أَوْ يُحْدِثْ [٢].

ومن ذلك :

أن الصلاة نور للمؤمن فى الدنيا والاخرة ـ عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ وسبحانَ الله والحمدُ لله تَمْلآنِ ـ أو تَمْلأُ ـ ما بينَ السماءِ والأَرْضِ والصَّلاةُ

(١) رواه أحمد فى المسند.

(٢) رواه البخارى .

نورٌ . الحديث(١) . فهي نور للمصلي في قلبه وبصيرته وعقله ووجهه . قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ .

عن عبادة بن الصامت مرفوعا « إذا حافظَ العبدُ على صلاته فأقامَ وضوءَها وركوعَها وسجودَها والقراءةَ فيها قالت حَفظَكَ الله كما حَفِظْتَنى وصُعِدَ بها إلى السماءِ ولها نورٌ » الحديث(٢) .

وهى نورللمؤمن فى حشره وعلى الصراط وجميع برازخ الآخرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الصلاة فقال: « منْ حافَظَ عليها كانتْ له نوراً وبرهانا ونجاةَ يومَ القيامة » الحديث(٣) .

ومن خصائص الصلاة فى عالم القبر أنها تحوط المصلى وتحفظه كما حفظها. عن أبى هريرةرضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ الميِّتَ إذا وُضعَ فى قبرِه وإنه يسمعُ خَفْقَ نعالهِم حين يولُّون مُدْبِرِين فإن كانَ مُؤْمناً كانت الصلاةُ عند رأسِه وكانَ الصيامُ عن يمينه وكانت الزَّكاة عن شماله وكانَ فعْلُ الخيراتِ من الصدقَة والصِّلات والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ عند رِجْليه فيُؤْتَى من قبَلِ رأسه فتقولُ الصلاةُ : مَا قِبَلي مدخَلٌ ثم يُؤْتَى عنْ يمينه فيقولُ الصيام: ما قِبَلى مدخلٌ ثم يُؤْتَى عن يسارِه فتقولُ الزكاة: ما قبلى مدْخَلٌ ثم يُؤْتَى منْ قبَلِ رجلَيْه فيقولُ فعلُ الخيراتِ من الصدقَة والمعروفِ والإحسان إلى الناس : ما قِبَلى مدخلٌ فيقالُ له : اجلسْ .. فيَجْلسُ قد مُثِّلَتْ له الشمسُ وقد دنَتْ للغروبِ فيقال له : أرأَيْتَكَ هذا الذى كانَ قبلَكُم ما تقول فيه وما تشهد عليه ؟ فيقول : دعونى حتَّى أُصلِّي فيقولُون إنكَ ستفْعَلُ . أَخْبِرْنا عما نَسْأُلُكَ عنه : أرأيتك هذا الرَّجلَ الذى كانَ قِبلَكُمْ ماذا تَقُولُ فيه وماذا تَشْهَدُ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) زواه البخارى.

(٣) رواه أحمد فى المسند وهو فى صحيح ابن حبان .

عليه؟ فيقولُ: محمدُ أشْهَدُ أنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه جاءَ بالحقِّ منْ عنْدِ الله. فيقالُ له : على ذلك حَيِيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلى ذلكِ تُبْعَثُ إن شاءَ اللهَ . ثم يُفْتَحُ له بابٌ منْ أبوابِ الجنَّة فيقالُ له : هذا مقعدُكَ منها وما أَعَدَّ اللهُ لكَ فيها فيَزْدادُ غِبْطَةً وسُروراً » الحديثَ[١].

ومن خصائص الصلاة أن من حافظ على صلواته فى الدنيا متعشقا بها فانه لا يزال يصلى فى قبره متنعما بصلاته وهذا مقام أعطاه الله تعالى لجميع أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وقد يكرم به من شاء من عباده الصالحين . والدليل على أن الأنبياء كلهم يصلون فى قبورهم ما رواه أبو يعلى والبيهقى فى جزء « حياة الأنبياء » عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الأنبياءُ أَحياءٌ فى قبورِهم يُصلُّون » .

وعن أنسِ رضيِ الله تعالىِ عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : أَتَيْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بى على موسى يُصلى فى قبرِه عند الكَثِيبِ الأحمرِ[٢].

وأما الدليل على صلاة الصالحين فِى قبورهم فقد جاء فِي الحديث : أن المؤمِن يقولُ للملائكةِ : دَعونى حتّى أُصلِّي فيقولون : « إنَّكَ ستَفْعَلُ » الحديث وقد تقدم..

وأسند أبو نعيم فى الحلية عن يسار بن حبيش عن أبيه قال : أنا والذى لا إله إلا هو أدْخلْتُ ثابتا البنانى فى لحده ومعى حميد ورجل غيره فلما سوّينا عليه اللبن سقطتْ لبنةٌ فإذا به يصلى فى قبره فقلت للذى معى: ألا تراه ؟ قال : اسكت فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنة ثابت فقلنا لها : ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها فقالت : كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال فى دعائه : اللهم إن كنت أعطيت أحدا الصلاة فى قبره فأعطنيها . فما كان

---

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم والنسائى.

الله ليرد ذلك الدعاء. اهـ.

ونظير ذلك أن الله تعالى قد أكرم بعض عباده بتلاوة القرآن فى قبره كما روى الترمذى من حديث ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال : ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم خباءً على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ حتى ختمها . فأتى النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « هِى المانِعةُ هى المنْجِيةُ تنْجِيه مِنْ عذابِ القْبْر ».

وروى ابن منده بإسناده عن طلحة بن عبيد الله قال : أَردْتُ مالى بالغابَةِ فَادْرَكَنى الليل فأويتُ إلى قبر عبد الله بن حزام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحْسن منها . فجئت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال : ذلك عبدُ الله ألم تَعْلَمْ أنَّ الله قَبضَ ارْواحهم فَجعلَها فى قناديلَ من زَبرْجدٍ وياقوتٍ وعلَّقها وسطَ الجنَّة فإذا كان الليلُ ردَّتْ إليهِمْ أَرْواحهم إلى مكانِها التى كانتْ . كما ذكره ابن رجب الحنبلى .

ومن ذلك

أن الصلاة تحفظ على المصلى أعضاء السجود من النار جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ويضْرب الصراطُ بين ظهْرانَى جهنم فأكون أَوَّلَ من يجوزُ من الرُّسل بأُمَّته ولا يتكلَّم يومئذٍ أحدٌ إلا الرُّسلُ ، وكلامِ الرسل : اللهم سلِّمْ سلِّمْ . وفى جهنَّم كلاليبُ مثل شوْكِ السَّعْدانِ هل رأَيْتم شوكَ السَّعْدانِ؟ قالوا : نعم قال : فإنَّها مثلُ شوك السعدانِ غير أنه لا يعْلَمُ قدرَ عظمِها إلا الله تعالى تَخْطَفُ الناسَ بأعمالهِم فمنهم من يوبِقُ - أى يهلك - بعمله ومنهم من يخَرْدلُ ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحْمةَ مَنْ أرادَ من أهلِ النارِ أَمرَ الملائكةَ أن يُخْرِجوا من النارِ منْ كانَ يعبدُ الله فيعرفُونهم بآثارِ السُّجودِ وحرَّم الله تعالى على النارِ أن تأكُلَ موضع السجودِ

فَيخْرُجون وقد امْتَحَشُوا ـ أى احترقوا ـ فُيصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فَينْبتُون نباتَ الحبَّة فى حميلِ السَّيلِ .. الحديث[١].

ومن ذلك

أن الصلاة تهيء المصلي وتعده للسجود يوم تدعي الخلائق للسجود لرب العالمين . قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾.

فقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان المكلَّفين بالسجود يوم القيامة وذلك أنه سبحانه يكشف عن نور عظيم يتجلى به على أهل الموقف ويدعوهم إلى السجود له تعالى ، كما جاء عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يُكْشَفُ ربُّنا عن ساقٍ فيسجُد له كُلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ويبْقى من كان يسجدُ فى الدنيا رياءً وسُمْعَةً فيذهب ليسجد فيعودُ ظهرُه طبَقاً واحدا[٢].

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله وسلم : فيُكْشَفُ عن ساقٍ فلا يبْقى من كان يسجد لله منْ تلقاء نفْسه إلا أَذنَ الله له بالسجود ولا يبْقى من كان يسْجد اتِّقاءً ورياءً ـ أي خوفاً من الناس ونفاقا ـ إلا جعل الله ظهْره طبَقَةً واحدةً كلَّما أرادَ أن يسْجُدَ خرَّ على قفاه[٣].

والكشف عن الساق الوارد فى الآية والحديث يفسره ماجاء عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه مسلم.

قال : نُورٍ عظيمٍ فيخِرُّونَ له سُجَّداً [١] .

وجاء من طريق إبراهيم النخعى فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى يكشف عن أمر عظيم ثم قال : يقال قامت الحرب على ساق يعنى إذا اشتدت وعظمت اهـ [٢] .

ومن فضائل الصلاة فى الآخرة أن لها بابا خاصا من أبواب الجنة يدخل منه المصلى .

فعن أبِى هريرة رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمٍ قال : « من أَنْفَقَ زوجيْن فى سبيلِ الله نُودِىَ مِنْ أَبواب الجنَّةِ : يا عَبْدَ الله هذا خير فمنِ كان مِنْ أهلِ الصَّلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاة . ومن كان من أهلِ الجهادِ دُعِىَ من بابِ الجهادَ . ومنِ كانَ من أهلِ الصيامِ دُعى من بابِ الرَّيَّانِ . ومن كان من أهل الصَّدَقَةَ دُعِىَ من باب الصَّدقة » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : بأبى أنت وأمى يارسول الله مـا علَى مَنْ دُعِيَ من تلكَ الأَبْوابِ من ضرورةٍ فهلْ يُدْعَى أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم وأرجو أنْ تكونَ منهم [٣] .

---

(١) رواه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم.

(٢) رواه سعيد بن منصور وابن منده والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات.

(٣) رواه البخارى.

مرافقه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة

من ذلك :

أن الصلاة تهيء المصلى وتعده لمرافقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة ..

عن ربيعة بن كعب الأسلمى رضى الله عنه قال : كنتُ أخدُمُ النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم نهارى فاذا كان الليلُ أَوَيتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فبتُّ عنده فلا أزال أَسْمَعُهُ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ : « سبحانَ الله سبحانَ الله سبحانَ ربِّى » حتى أَمَلّ أو تَغْلِبُنِى عَيْنَىَّ فأنام فقال يوما : يا ربيعة سَلْنِي فأعْطِيَكَ فقلت أَنْظِرْنِى حتى أنْظُر ، وتذكرت أن الدُّنيا فانيةٌ مُنْقَطعةٌ . فقلت يارسولَ الله أسألُك أَنْ تَدْعُوَ الله أَنْ يُنْجِينى من النَّارِ ويُدْخلنى الجنَّةَ فسكت رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم قال : منْ أَمرك بهذا؟ قلت : ما أَمَرَنى به أحدٌ ولكن علِمْتُ أَنَّ الدُّنْيا منْقَطعَةٌ فانيةٌ وأنتَ من الله بالمكانِ الذى أنْتَ منه فأحْبَبْتُ أن تَدْعَوَ الله لى . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنى فاعلٌ فَأَعِنِّى على نفسِك بكثرةِ السُّجود(١) .

عن ربيعة بن كعب أنه قال : كنت أبِيْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى صلى الله عليه وآله وسلم : سلْنى . فقلت : أسألُك مُرافقَتَكَ فى الجنة. قال : أَوَ غيْرَ ذلك؟ قلت : هُو ذاكَ قال صلى الله عليه وآله وسلم : فأَعِنِّى على نفسِك بكثرة السجودِ(٢) .

وجاء عن أبى فاطمة رضى الله تعالى عنه قال : قال لى نبى الله صلى الله

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

عليه وآله وسلم : إِنْ أَرَدْتَ أن تلْقَانِي فأكْثِرِ السُّجودَ(١) .

رؤية رب العـزة :

ومن فضائل الصلاة في المصلَّى أنها تقوى استعداده لرؤية رب العزة جل وعلا .

جاء عن جرير - رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إلى القمر ليلة - وفي رواية : ليلة البدر - فقال : إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القمر لا تُضامُونَ في رُؤْيته . فإن استطعْتُمْ أن لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قبل طُلوعِ الشَّمس وقبلَ غروبها - زاد مسلم : يعني العصر والفجر - فافعَلُوا ، ثم قرأ : وسبِّحْ بِحَمْدِ ربِّك قَبل طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ الْغُروبِ(٢) . وقوله «لا تضامون» يروى مخففا من الضيم - أى لا ينال أحدكم ضيم ولا حرمان بل كلكم ترون ربكم . ويروى مشددا فهو ينفى الازدحام .

قال العلامة الخطابى: هذا يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين أى صلاة العصر والفجر اهـ .. قال الحافظ ابن حجر : وقد يستشهد لذلك بما أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ أدْنى أهْل الجنَّة منزلةً لمَنْ ينْظُرُ إلى جنانه وأَزْواجه ونعيمه وخدمه وسُرُره مسيرةَ ألف سنَةٍ. وأكْرَمُهُمْ على الله تعالى منْ ينْظُرُ إلى وجْهه تعالى غدْوَةً وعَشِيَّةً ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

أقول : هذا الحديث رواه أيضا الإمام أحمد وابن أبى الدنيا مختصرا إلا أنه قال في روايته قال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ أفْضَلَ أهل الجنّةِ منزلةً من

(١) رواه الإمام أحمد

(٢) رواه الشيخان .

ينْظُرُ إلى وجه الله تعالى كُلَّ يومٍ مرَّتين .

تحية رب العالمين

والصلاة فيها تحية رب العالمين وتحية إمام الأنبياء والمرسلين وتحية جميع عباد الله الصالحين : عن ابن مسعود رضى اللهتعالى عنه قال : كنا إذا كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلاة قلنا : السلامِ على الله مِن عباده . السلام على فلان وفلان . وفى رواية: السلامُ على جبريل وميكائيلَ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقولوا السلامُ على الله فإن الله هو السلامُ . ولكن قولوا : التَّحِيَّاتُ لله والصَّلَوَاتُ والطيِّباتُ . السلامُ عَلَيكَ أَيُّها النَّبىُّ ورحمةُ الله وبركاتُه . السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالحين . فإنَّكم إذا قُلْتُم ذلك أصابَ كُلَّ عَبْدٍ فى السماء والأرْضِ ـ وفى روايَة ـ فإنكم إذا قلتموها أصابَتْ كلَّ عبدٍ لله صالحٍ فى السماءِ والأرْضِ . أشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وأشهَدُ أن محمداً عبده ورسوله(١) .

اشتمال الصلاة على الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم

والصلاة لله تعالى فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهى من أعظم القربات التى شرعها الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه البخارى .

وآله وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل ان نصلّي عليك يا رسول الله فكيف نصلّي عليك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تمنّينا أنه لم يسألْه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا اللّهمّ صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صلّيْتَ على آل إبراهيم وباركْ على محمد وعلى آل محمد كما باركْتَ على آل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد ، والسلامُ كما قد علِمتُمْ أي في التشهد[1] .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها لقي الله تعالى وهو عليه غضبان.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قام بصرى - أى ذهب بصره - قيل نداويك وتدع - أى تترك - الصلاة أياما ، قال: لا - أى لا أترك الصلاة أبدا - إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ تَرَكَ الصلاةَ لَقِيَ الله وهو عليه غَضْبَانُ[2] .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها فقد برئت منه ذمة الله تعالى ..

عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا تُشْرِكَ باالله شيئاً وإن قُطِّعتَ وإن حُرِّقْتَ ولا تترك صلاةً مكتوبةً متعمداً فمن تركها متعمِّداً فقد برِئَتْ منه الذِّمَّةُ ولا تشربَ الخمرَ فإنها مفتاحُ كلِّ شرٍّ[3] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أتى رسول الله رجل فقال: يارسولَ الله علِّمْني عَمَلاً إذا عملْتُه دخلتُ الجنةَ قال: لا تشركْ باالله شيئاً وإن عُذِّبْتَ وحُرِّقْتَ وأَطِعْ والدَيك وإنَ أخرجاك من مالك ومن كلِّ شيءٍ هو لك ولا تَتْرُكْ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البزار والطبرانى وإسناده حسن كما فى الترغيب .

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقى .

الصلاةَ متَعَمِّدا فإنَّ مَنْ تركَ الصلاةَ متعمِّداً فقد بَرِئَتْ منه ذمَّةُ الله تعالى(١) .

وإن من تركها ذهب نوره وانقطع برهانه وفقد النجاة فى الآخرة فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « مَنْ حافَظَ عليها كانَتْ له نوراً وبُرْهانا ونجاةً يومَ القيامةِ ، ومن لمْ يُحافِظْ عليها لم يكنْ له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ وكان يومَ القيامةِ مع قارون وفرعونَ وهامانَ وأُبَىِّ بن خلَفٍ(٢) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بيْنَ الرَّجُلِ وبينَ الكُفْرِ ترْكُ الصلاةِ » (٣) .

---

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى ولابأس بإسناده فى المتابعات اهـ . وقد ورد مثل هذا الحديث فى المسند وغيره .

(٢) قال المنذرى : رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه .

(٣) قال المنذرى : رواه أحمد ومسلم وقال : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ورواه أبو داود والنسائى ولفظه : ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة . ورواه الترمذى ولفظه « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ».

شـرف صلاة الجماعة

ومن شرف الأمة المحمدية ماجعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على صلاة الجماعة .

فمنها أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الرجل منفردا بخمس وعشرين ضعفا كما صح ذلك فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وفى رواية عن عبد اللهِ بن عمر رضىِ الله عنهما : أن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم قلا : صلاةُ الجماعة أفْضلُ من صلاةِ الفذِّ بسبْعٍ وعِشرين درجةً. وفى رواية بخمس وعشرين درجة[١] .

وقد أجاب النووى عن هذا الخلاف بين الروايتين بأن ذلك يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة ، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ، ولبعض سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ، ومحافظته على هيأتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلها وشرف البقعة .

ومنها مغفرة الذنوب: عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنْ توضّأَ فأَسْبَغَ الوُضوءَ ثم مشى إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فصلاّهَا معَ الإمامِ غُفِرَ له ذَنْبُه [٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتانى الليلة آتٍ مِنْ ربى فقال لى: يا محمدُ ، قلتُ لبَّيكَ ربِّ وسَعْدَيْكَ. قال: هل تدْرِى فيم يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلت لا أعلم فوضَعَ يدَه بين كتفَىَّ حتى وَجَدْتُ بردَها بين ثَدْيَىَّ أو قال : فى نَحْرِى فعلِمْتُ ما فى السمَّواتِ وما فى

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه.

الأرض ، أو قال : ما بين المشرقِ والمغرِب . قال يا محمد : أتدْرى فيم يختصم الملأُ الاعلى؟ قلتُ نعم. فى الدَّرجاتِ والكفارات ونقلِ الأَقدامِ إلى الجماعاتِ[١]. الحديث .

ومنها: أن من حافظ على الجماعة نال جائزتين :

أولا : العتق من النار والنجاة منها.

ثانيا : السلامة من النفاق ، والتذبذب فى آداب الدين وطهارة القلب لله والإقبال على طاعة الله بإخلاص ، ونور يودع فى الصدر يستضىء به المؤمن. فيتخلى عن الرذائل ويترك صغائر الذنوب وكبائرها ، فقد جاء عن أنسِ بنِ مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلَّى للهِ أربعينٍ يوماً فى جماعةِ يُدْرِكُ التكْبيرةَ الأُولى كُتبَ له براءتان : براءة من النارِ وبراءة من النِّفاقِ[٢].

وجاء أيضا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه واله وسلم أنه كان يقول : مَنْ صلى فى مسجدِ جماعةٍ أربعين ليلةً لا تفوته الرَّكْعةُ الأُولى من صلاةِ العشاءِ كُتبَ اللهُ له بها عِتْقاً مِن النارِ[٣].

ومن فضائل الجماعة أن ثوابها يحصل لمن عزم على حضورها ولو لم يدركها بنيته تفضلا من الله سبحانه وتعالى فالله تعالى يسوّى ثوابه بثوابهم وحسناته بحسناتهم تكرما منه وخزائنه لا تنفد ورحمته تترى ..

فعَن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم:مَنْ تَوضَّأَ فأَحْسَنَ وضوءه ثم راحَ فوجَدَ الناسَ قَدْ صلَّوْا فأعطاه الله مِثْلَ

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذى وقال لا أعلم أحدا رفعه إلا ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى .

أَجْرِ مَنْ صلاّها وحَضَرها لا يَنْقُصُ ذلك من أُجورِهم شيئاً[١].

وفى رواية سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فذكر الحديث وفيه : « فإنْ أَتَى المسجدَ فصلَّى في جماعة غُفِرَ له ، فإن أتى المسجد وقد صلَّوْا بعضاً وبقى بعضٌ صلَّى ما أَدْرَك وأتمَّ ما بَقِيَ كان كذلك فإن أَتى المسْجِدَ وقد صلَّوا فأَتمَّ الصلاة كان كذلك .

ومن فضائل الجماعة أنها محبوبة إلى الله تعالى وكلما كانت كثيرة كانت أحب إليه ، فصلاة الثلاثة أفضل من الاثنين والأربعة أفضل من الثلاثة ـ وهكذا كلما كثر الناس كان أدعى إلى القبول وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

عن أُبى بن كعب رضى الله عنه قال : صلَّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً الصُّبْحَ فقال: أشاهدٌ[٢] فلان؟ قالوا : لا. قال : إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتين أَثْقَلُ[٣] الصَّلَوات على المُنافقين ولو تَعْلَمون ما فيهما لأَتَيْتُموهُما ولو حبْواً[٤] على الرُّكَب وإنّ الصَّفَّ الأَوّلَ على مثل صفِّ الملائكةِ ولو علمْتُمْ ما فضيلتُه لابْتَدرْتُموه وإنَّ صلاةَ الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ أزكى[٥] من صلاته وحدْه، وصلاته مع الرجلينِ أزكى من صلاتِه مع الرَّجُلِ، وكلُّ ما كَثُرَ أحبُّ إلى اللهِ عز وجلّ[٦].

وعن قباث بن أشيم الليثى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلاة الرَّجلين يؤمُّ أحدُهما صاحبَه أزْكى عند الله من صلاةِ

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم .

(٢) قوله : « أشاهد » أى أحضر .

(٣) قوله « أثقل الصلوات » أى إن ادراكهن صعب على من نقص إيمانه واشتهر بين المسلمين بتزحزح العقيدة وتباعده عن اتباع الكتاب والسنة وتقصيره عن درك الثواب الجزيل .

(٤) « حبوا » أى زاحفين أى تحرصون على الحضور ولو أعياكم المشى فتزحفون.

(٥) « ازكى » أنقى واطهر.

(٦) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقد جزم يحيى بن معين والذهلى بصحة هذا الحديث .

أربعة تَتْرى ، وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانيةٍ تتْرى ، وصلاةُ ثمانيةٍ يؤمُّ أحدُهم أزكى عند الله من صلاة مائة تَتْرى[١] .

ومن فضائل الجماعة أن المصلي ينال بركة التأمين والتسميع والتحميد، فقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربّنا لك الحمد ، فإنّه مَنْ وافق قولُه قولَ الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه ..

وفى رواية : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنوا فإنَّه من وافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تَقَدَّم من ذنبه » وفى رواية « إذا قال أحدكم آمين والملائكةُ فى السَّماء آمين فوافَقَتْ إحداهما الأخرى غفر له ما تَقَدَّم من ذنبه » وفى رواية « إذا قال القارئ غير المغْضوب عليهمْ ولا الضالِّينَ فقال منْ خلْفَه آمين فوافَقَ قولُه قول أهل السَّماء غُفر له ماتقدَّم من ذنْبه »[٢] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم من وافَقَ قولُه قولَ الملائكة ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه : وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم فهذا هو الصحيح والصواب . وحكى القاضى عياض قولا إن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع والإخلاص ، واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فوافق قوله قول أهل السماء ، وأجاب الأولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماء.

ومن فضائل الجماعة أن فى الصف الأول فضلا عظيما لو علمه الناس لاقتتلوا عليه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه البزار والطبرانى بإسناد لا بأس به .

(٢) روى جميع ذلك مسلم فى صحيحه .

وآله وسلم قــال : لو يَعْلَمُ الناسُ مــا فــى النداءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ثم لمّ يجِـدُوا إلا أنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهمُوا ، ولو يَعْلَمُونَ ما فى التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليـهِ ، ولو يعْلَمون ما فِى العتمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا ولو حَبْواً(١) .

ومعناه : لو يعلمون ما فى الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤوا إليـه دفعة واحـدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليـه . وقوله: لو يعلمون ما فى التهجير ، التهجير: التبكير إلى الصلاة أى صلاة كانت : قوله : لو يعلمون ما فى العتمة والصبح : العتمة : العشاء .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قال : لو تَعْلَمونَ أو يعلمونَ ما فى الصَّفِّ المُقَدَّمِ لكانَتْ قُرْعَةٌ وقال ابن حـرب : الصَّفُّ الأوَّلِ ما كانتْ إلا قرعةٌ(٢) .

والصف الأول هو خير الصفوف، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : خيـرُ صفوفِ الرِّجال اوَّلُها وشَرُّها آخِرُها وخير صُفوفِ النِّساءِ آخِرُها وشرُّها اوَّلُها(٣) .

والمراد بشر الصفوف فى الرجال والنساء أقلها ثوابا وفضلا وأبعدها من مطلوب الشرع ، وخيرها بعكسه وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك . وذم أول صفوفهن لعكس ذلك. والله اعلم .

واعلم أنالصف الأول الممدوح الذى قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذى يلى الإمام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا وسواء تخلله

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم .

مقصورة ونحوها أم لا . هذا هو الصحيح الذى يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون .

ومن فضائل الجماعة أن من صلَى العشاءَ فى جماعةٍ فكأنَّما قامَ نِصْفَ الليل ، ومن صلىّ الصُّبْحَ فى جماعةٍ فكأنَّما صلَّى الليلَ كلَّه . كذا قال صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

ومن خصائص الجماعة أن من سمع نداءها ولم يجب بالحضور والمشاركة مع خلوه من الأعذار فإن صلاته ناقصة . فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فلم يَمْنَعْه من اتِّباعه عُذْرٌ . قالوا : وما العذرُ؟ قال : خوفٌ أو مرضٌ لم تُقْبَلْ منه الصَّلاةُ التى صلَّى (٢) .

ومن خصائص الجماعة أنها تدفع الوسواس ، وتحفظ من الشيطان ، وأن القوم الذين لا تقام فيهم الجماعة يستحوذ عليهم الشيطان، فعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما مِنْ ثلاثةٍ فى قَرْيةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقامُ فيهم الصَّلاةُ إلا وقَد استَحوذَ عليهِم الشَّيطانُ فعَلَيكم بالجماعةِ فإنما يأكُلُ الذِّئبُ مِنَ الْغَنَمِ القَاصِيةَ(٣) .

وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وفيه : ولو أنكم صلَّيتُمْ فى بُيوتكم كما يُصلِّى هذا المُتَخَلِّفُ فى بيتِه لتَركتُمْ سُنَّةَ نبيِّكم ولو تركتُم سنَّةَ نبيِّكم لضَلَلْتُمْ(٤) . الحديث.

---

(١) رواه مالك ومسلم وأبو داود . ولفظه : من صلى العشاء والفجر فى جماعة .. الحديث.

(٢) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه بنحوه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم . وزاد رزين فى جامعه « وإن ذيب الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله » .

(٤) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما . .

ومن خصائص المحافظة على الجماعة أنها علامة الإيمان والمواصلة مع الله سبحانه وتعالى . وفى تركها والإعراض عنها صورة من صور الجفاء والكفر والنفاق .

فعن معاذ بن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : الجَفَاءُ كلُّ الجفاءِ والكفرِ والنفاقُ : مَنْ سِمعَ منادِى اللهِ إلى الصَّلاةِ فلا يُجِيْبُه[١] .

وفي تركها أيضا علامة الشقاء والخيبة، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : بِحَسَبِ المُؤْمِنِ من الشَّقاءِ والخَيْبَةِ أَنْ يسْمَعَ المؤذِّنَ يثَوِّبُ بالصلاةِ فلا يُجِيْبه .

والمراد بالتثويب هنا إقامة الصلاة .

ومن خصائص الجماعة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم توعد تاركها بأن يحرقه بالنار ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد هَمَمْتُ أَن آمُرَ فتْيَتي فيَجْمَعُوا لى حُزُماً من حَطَبٍ ، ثم آتىَ قوماً يصلُّونَ فِي بيوتِهم ليس بهمِ علَّةٌ فأُحرِّقَهَا عليهم ، فقيل ليزيد هو ابن الأصم ، الجمعةَ عنى أو غيرها قال : صمَّتَا أذناى إن لم أكن سمعتُ أبا هريرة يأثره عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر جمعةً ولا غيرها[٢] .

ويكفى أن ابن أم مكتوم وهو أعمي يقول: يارسول الله أنا ضَرير شاسع[٣] الدار، ولى[٤] قائد لا يُلائمنى فهل تجِدُ لِي رُخْصةً أن أصلِّىَ فى بيتى. قال: أتسمعُ النداءَ ؟ قال نعم. قال: ما أجِدُ لك رُخصةَ[٥] .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى من رواية زبان بن فائد

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى مختصرا.

(٣) قوله شاسع الدار : بعيد الدار.

(٤) قول : ولى قائد لا يلائمنى أى مرشد لا يرفق بى . ولا يقودنى بسهولة .

(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم.

فضل الصف الأول وما يتعلق بالصفوف

ومن فضائل هذه الأمة ، ما جاء فى فضل الصف الأول..

فمنها : أن فيه ثوابا مدخرا عند الله تعالى أخفاه عنا ، ولو كشف عنه لتسابق الناس إليه حتى يضطروا إلى ضرب القرعة لفصل المنازعة فى شأنه ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لَوْ يَعْلَمُ الناسُ ما فى النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ، ثم لم يَجِدُوا إلا أن يَسْتَهِموا عليه لاسْتَهَمُوا [(١)] .

وفى رواية لمسلم : لو تعلَمُونَ ما فى الصَّفِّ المُقَدَّمِ لكانتْ قُرْعَةٌ والصف الأول هو خير صفوف الرجال ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : خيرُ صفوفِ الرِّجالِ أوَّلُها وشَرُّها آخرُها . وخيرُ صُفوفِ النِّساءِ آخِرُها وشَرُّها أَوَّلُها .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لأهل الصف الأول ويصلى عليهم ، فعن العِرْباض بِنِ سارية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستغفر للصفِّ المقدَّمِ ثلاثا وللثانى مرة[(٢)] .

بل الله تعالى وملائكته الكرام يدعون لأهل الصف الأول بالغفران والرضوان ثلاث مرات .

فعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله وملائكتَه يُصلُّونَ على الصَّفِّ الأول . قالوا : يا رسول الله وعلى الثانى. قال : إن الله وملائكته يُصلُّونَ على الصَّفِّ الأوَّلِ . قالوا : يا رسول الله وعلى

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجا للعرباض ، وابن حبان فى صحيحه ولفظه : كان يصلى على الصف الأول ثلاثا. وعلى الثانى واحدة.. ولفظ النسائى كابن حبان إلا أنه قال : كان يصلى على الصف الأول مرتين .

الثاني ؟ قال : وعلى الثاني وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سَوُّوا صُفوفَكم وحَاذُوا بينَ مَناكِبِكم ، ولِينُوا في أَيْدي إخْوانِكم ، وسُدُّوا الخَلَلَ فإنّ الشيطانَ يدْخُلُ فيما بينكم بمنزلةِ الحذَفِ ، يعني أولاد الضأن الصغار [١] .

وتسوية الصفوف من تمامِ الصلاة ، وقد أمرنا صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال : سوُّوا صفوفَكم فإن تسوِيةَ الصَّفِّ من تَمامِ الصلاة[٢] .

وفي رواية للبخاري: فإن تسويةَ الصُّفوفِ من إقامةِ الصَّلاةِ .

ورواه أبو داود ولفظه : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : رُصُّوا صُفوفَكم[٣] وقَاربوا بينَها وحاذُوا بالأَعْناقِ ، فوالذي نفسي بيدِه إني لأَرى الشّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كأنَّها الحَذَفُ .

ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما نحو رواية أبي داود.

وفي وصل الصفوف ، والانقياد لسد الفرج ثواب عظيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أَقِيمُوا الصفوف ، وحَاذُوا بين المناكِبِ ، وسُدُّوا الخَلَلَ ، ولِيْنُوا بأيدي إخوانِكم، ولا تَذَروا فَرُجَاتِ الشَّيطانِ،

---

(١) رواه أحمد بإسناد لابأس به والطبراني وغيره.

قوله : « إن الله وملائكته يصلون إلخ ، أي يدعون بالغفران والرضوان لمن سبق فأدرك أول صف في المسجد .

وقوله : « ولينوا في أيدي إخوانكم » أي اتبعوا إشارة إخوانكم ورأى أصحابكم ويكون المؤمن هينا لينا سهلا متواضعا قابلا للإرشاد.

وقوله : « وسدوا الخلل » أي املأوا الفرجة وسدوا الثغرة في صفوفكم .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم.

(٣) وقوله : رصوا صفوفكم » أي ضموها إلى بعض وتقاربوا وتحاذوا لجنب.

والخلل : بفتح الخاء المعجمة واللام أيضا: هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص.

ومن وَصَلَ صفّاً وصله الله، ومن قَطَعَ صفّاً قطعه الله[١] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تَصُفُّون كما تصُفُّ الملائكَةُ عندَ ربِّها، فقال الصحابى الراوى: يا رسول الله وكيفَ تصُفُّ الملائكةُ عند ربها؟ قال : يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأُوَلَ ويَتَرَاصُّونَ فى الصَّفّ[٢] .

والحريص على رصل الصف هو من خيار الأمة ، فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : خِيارُكم أَلْيَنُكُمْ مناكِبَ فى الصلاةِ[٣] .

والحريص على وصل الصفوف وسد الفرج هو ممن يصلى عليه الله وملائكته .

فعن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وعند النسائى وابن خزيمة آخره
الفرجات : جمع فرجة . وهى المكان الخالى بين الاثنين.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

(٣) رواه أبو داود.

قوله : ألينكم مناكب فى الصلاة أى ألزمكم السكينة والوقار والخشوع ويحتمل أن يكون معناه أى لا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف لسد الخلل ، ولضيق المكان بل يمكنه من ذلك ولا يدفعه بمنكبه أو أنه يطاوع من جره ليصطف معه إذا لم يجد فرجة اهـ . الجامع الصغير ص ٢٤٢ .

فتجد الحديث يشمل ثلاثة مطالب:

أولاً : التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانيا : إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصا ، فجاء شخص ضم نفسه ، ولين منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر والترحيب بالطائع والمشاركة فى الخير والتحمل والصبر ، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

ثالثا : إذا جره شخص ليصطف معه لين منكبه وطاوعه. تلك خلال المؤمنين [هينون لينون أيسار ذوو كرم] .

وسلم قال : إنَّ الله وملائكتَه يُصلُّون على الَّذِين يَصِلُون الصُّفوف[(١)].

والخطوة التى يخطوها المسلم لوصل الصف هى أعظم الخطوات أجرا، وهى أحبها إلى الله . ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتا فى الجنة وغفر له وذرت عليه الملائكة من البر ، وهذا كله أخبرنا عنه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : وَما مِنْ خَطْوَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً من خَطْوَةٍ مَشاها رجُلٌ إلي فُرْجَةٍ فى الصَّفِّ فسَدَّها [(٢)].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . زاد ابن ماجه : « ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة » .

(٢) رواه البزار بإسناد حسن .

وقوله : « من سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتا فى الجنة » رواه الطبرانى فى الأوسط.

وقوله : « من سد فرجة فى الصف غفر له » رواه البزار بإسناد حسن.

وقوله : « ولا يصل عبد صفا إلا رفعه الله به درجة وذرت عليه الملائكة من البر » رواه الطبرانى فى الأوسط.

فضل الإمامـــة

من فضائل الإمام أنه كفيل بحسن الصلاة وأدائها فهو يحفظ على القوم صلاتهم ، ولذلك فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعله ضامنا .

ومن فضائله أنه إن أحسن فى صلاته كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ أَمَّ قوماً فلْيَتَّقِ الله ولْيَعْلَمْ أنَّه ضامنٌ مسؤولٌ لما ضَمِنَ ، وإن أَحْسَنَ كانَ له من الأجْرِ مثلُ أجرِ مَنْ صلى خَلْفَه من غيرِ أنْ يَنْقُصَ من أجورِهم شيْئاً ، وما كانَ من نقْصٍ فهو عليه[١] .

ومن فضائله أنه يوم القيامة على كثيب من مسك لا يهوله الفزع الأكبر ولا يناله الحساب كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثَلاثة علي كُثْبانِ المسْكِ ، أراه قال ـ يومَ القيامة : عبدٌ أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليهِ ، ورجلٌ أَمَّ قوماً وهُمْ به راضون ، ورجلٌ ينادى بالصَّلواتِ الخمْسِ فى كلِّ يومٍ وليلةٍ »[٢] .

ومما خص الله به هذه الأمة التأمين ، ومعناه اللهم استجب ، أو كذلك فافعل ، أو كذلك فليكن ، وهى من خصائص هذه الأمة التى تحسد عليها .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية معارك بن عباد.

(٢) رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن. ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بإسناد لا بأس به ولفظه :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون » الحديث .

فعن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما حسدتكم اليهود على شيء ـ ما حسدتكم على السلام والتأمين(١) .

وفى رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت عنده اليهود فقال : إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله بها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين(٢) .

وفى رواية : إن اليهود قد سئموا دينهم ، وهم قوم حسد ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث : رد السلام وإقامة الصفوف وقولهم خلف إمامهم فى المكتوبة آمين(٣) .

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر بهذه العطية ويقول : إن الله قد أعطانى خصالاً ثلاثةً : أعطانى صلاةً فى الصفوف واعطانى التحيةَ إنها لتحية أهل الجنة ، وأعطانى التأمين ، ولم يعطه أحداً من النبيين قبلى إلا ان يكون الله قد أعطاه هارون يدعو موسى ويؤمن هارون(٤) .

والتأمين باب من أبواب المغفرة ، كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه(٥) .

معناه : وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضى عياض قولا : إن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، وابن خزيمةفى صحيحه

(٢) رواه أحمد فى المسند.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

(٤) رواه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية زربى مولى آل المهلب ، وتردد فى ثبوته.

(٥) رواه مالك والبخارى ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

والإخلاص .

واختلفوا فى هؤلاء الملائكة ، فقيل : هم الحفظة ، وقيل غيرهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فوافق قوله أهل السماء. وأجاب الأولون بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماء. اهـ.

بل إن هذه المغفرة تشمل حتى أهل المسجد ، فقد جاء فى رواية النسائى: فإنَّه من وافقَ كلامُهُ كلامَ الملائكةِ غُفِرَ لمَنْ فى المسجِدِ .

وهذه المغفرة شاملة لما تقدم من الذنوب ، كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أنه إذا قالَ العبدُ: آمين ، الْتَقَتْ من أهلِ السماءِ وأهلِ الأرْضِ ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه ، وهذا يعنى الصغائر.

وقد وعد صلى الله عليه وآله وسلم من قال : آمين، بالإجابة بقوله : فقولوا: آمين يجيبكم.

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحرصون على ختم دعائهم بلفظ آمين. ويقول لهم الصحابى الجليل أبو زهير النميرى : إن آمين مثل الطابع على الصحيفة ، فكان إذا دعا أحدهم فى المجلس يقول له : اختمه بآمين . ويقول لهم: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة نمشى فأتينا على رجل قد ألحَّ فى المسألة فوقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستمع منه ، فقال النبى صلى الله عليه واله وسلم : أَوْجَبَ إن خَتَمَ ، فقال رجل من القوم : بأى شىء يَخْتِمُ فقال : بآمين ، فأنه إن خَتَمَ بآمينَ فقد أَوْجَبَ ، فانصرف الرجلُ الذى سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأتى الرجل فقال : اخْتِمْ يافلانُ بآمينَ وأَبْشِرْ[1] .

---

(١) رواه أبو داود.

قوله : ألح اى أقبل على الطلب مواظبا، وأكثر من الرجاء فى إتمام مسألته يقال : ألحَّ السحاب دام مطره ، وألح الرجل على شىء ألحف .

وقوله : أوجب أى صارت إجابته محققة وقضاء وطره مأمولا.

والمؤَمِّن على دعاء أخيه شريك له فى توجهه وإقباله وإجابته .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجتمعُ ملأٌ فيدعُو بعضُهم ويؤمِّنُ بعضُهم إلا أَجابَهم اللهُ[١] .

ومن هنا كان التارك لهذا اللفظ الجليل محروما ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم : ومَثَلُ الذى لا يقولُ آمين كَمثَلِ رَجُلٍ غَزا مع قومٍ فاقْترعوا فخَرَجَ سِهَامُهُمْ ، ولم يخرجْ سَهّمُه فقالَ : ما لِيسهْمي لَمْ يخْرُجْ ؟ قال : إنَّكَ لَم تقل آمين[٢] .

وفى هذا الحديث يشبِّه صلى الله عليه وآله وسلم الذى غفل عن ذكر آمين مع الإمام وسها واشتغل بغير مراقبة الإمام بجنود حاربوا ففازوا، وغزوا فانتصروا ثم اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز ، إلا جندى واحد لم يخرج سهمه فى القرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئا من الغنائم ، فسأل قائده ـ لماذا لم يخرج سهمى ؟ فقال لأنك لم تطلب ولم تتضرع إليه مع المأمومين ، فلم تقل « آمين » إن هذا مثل محسوس لمن قال ففاز ومن لم يقل فلم يفز .

ومن هنا كان صلى الله عليه وآله وسلم يأمرنا بإكثار التأمين فيقول : أَكْثِرُوا مِنْ قولِ آمين[٣] .

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم.

(٣) رواه ابن ماجه .

فضائل صلاة الجمعة

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة أنه اختصها بيوم الجمعة وجعله عيدا عظيما وجعل من الخصائص والفضائل له ولصلاته ما يرتفع به قدره ويعظم أمره . فمن ذلك تكفيرها للذنوب ، عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءِ ثم أتى الجُمُعَةَ فاستَمَعَ وأَنْصَتَ غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعةِ الاخْرى وزيادة ثلاثةِ أيَّامٍ . ومن مسَّ الحصا فقدْ لَغَا [١] .

قال النووى : وفى هذا الحديث النهى عن مسِّ الحصا وغيره من أنواع العبث فى حالة الخطبة. وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة . والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود .

وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنْ اغْتسل يوم الجُمعة ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ إن كان عِنْدَه ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيابِه ثم خرجَ حتى يُصلِّي كان كفَّارةً لما بينها وبين الجمعةِ الأُخْرى [٢] .

وعن أوس بن أوس رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَن غسَّلَ يوم الجمُعة واغْتَسَلَ وبكَّرَ وابْتَكَرَ ومَشَى ولم يَرْكَبْ ودَنَا من الإمَامِ فاسْتَمَعَ ولم يَلْغُ كَانَ له بكلِّ خَطْوَةٍ عملُ سَنَةٍ أجر صيامها وقيامها . وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصَّلَوَاتُ الخمسُ والجُمعةُ إلى الجمعةِ ورَمضانَ إلى رمضانَ مُكفِّراتٌ ما بينهنَّ

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه الإمام أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .

إذا اجْتُنبَتِ الكبائرُ (١) .

ومن ذلك أن صلاة الجمعة تضيىء الطريق لأهلها يوم القيامة .

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تحشر الايَّام على هيئتها وتحشر الجمعة زهراء منيرةً ، أهلها يحفُّون بها كالعروس تهدى إلى خدرٍ لها تضى لهم يمشون فى ضوءها ، الوانهم كالثلج بياضاً وريحهم كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان لا يطرفون تعجباً ـ أى من حسن منظر أهل الجمعة ـ حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلاّ المؤذنون المحتسبون .

ومنهـا : أن درجات الثواب تتفاوت بحسب التبكير إلى حضور صلاة الجمعة فكلما بكّر بالحضور نال أجرا أكبر وأعظم.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعه غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنةً، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرةً ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجةً ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضةً ، فاذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذّكر (٢) .

وفى رواية لهما : إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأوّل فالأوّل ، ومثل المهجر ـ أى المبكر ـ كمثل الذى يهدى بدنةً ، ثم كالذى يهدى بقرةً ثم كبشاً ثم دجاجةً ثم بيضةً ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذّكر.

وجاء فى رواية أحمد : قيل لأبى أمامة رضى الله تعالى عنه يا أبا أُمامة

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان وأصحاب السنن.

ليس لِمَنْ جاءَ بعدَ خروجِ الإمام جَمُعَةَ؟ فقال : بلى، ولكن ليس مِمَّنْ يُكْتَبُ في الصُّحُفِ . يعنى أن الكتابة فى الصحف على مراتب مختلفة ، كما هى أيضا مختلفة فى رفعها ومنزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفة التى يكتب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأن ورفع خاصّان.

ومنها أن فى يوم الجمعة ساعة هى أفضل ساعاتها وفيها الإجابة..

فعن أبى بردة بن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : أسمعتَ أباكَ يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هى ما بين أنْ يَجلِسَ الإمامُ ـ يعنى على المنبر ـ إلى أن تقضى الصلاة [١].

قال المنذرى : وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم اهـ. يعنى أن تعيين ساعة الإجابة قد اختلف فيه العلماء ولكل دليله وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك الأقوال مفصلة .

ومن أقواها أنها حين تقام صلاة الجمعة إلى الانصراف منها كما تقدم ، وقد روى الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن عوف رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ فى الجمعةِ ساعةً لا يسألُ الله العبدُ فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه. قالوا : يا رسول الله أىّ ساعة هى ؟ قال : هى حين تقامُ الصلاةُ إلى الانصرافِ .

ومنها: أنها بعد صلاة العصر لما ورد عن أنسٍ رضى الله عنه عن النبىِ صلى الله عليهِ وآله وسلم قال : الْتَمِسوا الساعةَ التى تُرْجَى فى يومِ الجمعةِ بعد العصرِ إلى غيبوبةِ الشَّمْسِ[٢] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

ومنها : أنها تبدأ من حين تدلّى الشمس للغروب إلى أن يتكامل غروبها ، قال المنذرى فى الترغيب : قال الحافظ أبو بكر بن المنذر : اختلفوا ـ أى الصحابة والتابعون فمن بعدهم ـ فى وقت الساعة التى يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة، فروينا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : هى ما بين طلوعِ الفجْرِ إلى طلوعِ الشمسِ، ومن بعد صلاة العصرِ إلى غروب الشمسِ وقال الحسن البصرى وأبو العالية : هى عند زوال الشمس ، وفيه قول ثالث وهو أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة ، روى ذلك عن عائشة رضى الله تعالى عنها.

ومن فضائل الجمعة أن الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وآله وسلم يزداد فضلهما ويعظم أجرهما .

فعن أوس بن أوس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، : إنَّ منْ أفضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلَق اللهُ آدم وفيه قُبض وفيه النَّفْخَة والصَّعْقَة فأكثِروا من الصَّلاة علىَّ فيه فإن صلاتكم يوم الجمعة معروضة علىَّ . قالوا : وكيف تعْرض صلاتُنا عليكَ وقد أَرِمْتَ؟ ـ أى بليت بعد الموت ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله عز وجل حرَّم على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ(١) .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثروا من الصلاةِ علىَّ كلِّ يوم الجُمعةِ فإنَّه مشهودٌ تَشهده المَلائكَةُ ، وإن أحَداً لَنْ يُصلِّىَ علَىَّ إلا عُرِضتْ علىَّ صَلاتُه حتى يفْرُغ منها. قال قلت : وبعد الموت ؟ أى هل تُعْرَض صلاتُنا عليكَ يا رسولَ الله بعد الموت ـ فقال إن الله حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجسادَ الانبياء عليهم الصلاة والسلام(٢) .

---

(١) قال المنذرى : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأحمد .

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد جيد .

روى البيهقى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : اكثروا الصلاةَ علىَّ فى الليلةِ الغَّراءِ واليومِ الأزْهرِ ليلةِ الجمعةِ ويومِ الجمعةِ. قال بعض العارفين رضى الله عنهم: أقل حد الإكثار ثلاثمائة أو اربعمائة .

ومن فضائل يوم الجمعة ما جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين .

ورواه الدارمى فى مسنده موقوفا على أبى سعيد ولفظه : قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النُّور ما بينه وبين البيت العتيق .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ سورة الكهْف يوم الجمعة سَطَع له نورٌ منْ تحت قَدَمَيْه إلى عنانِ السماءِ يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين(١) .

ومنها : أن يوم الجمعة سيد الأيام وخيرها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن يوم الجمعة سيِّد الأيام وأعظمُها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضْحى ويومِ الفطْرِ ، وفيه خمسُ خلال ، خلَقَ اللهُ فيه آدَمَ وأهْبطَ الله فيه آدَمَ إلى الأرْضِ ، وفيه توفّى الله آدَمَ ، وفيه ساعةٌ لا يسألُ اللهَ فيها العبدُ شيْئاً إلا أعْطاه إيَّاه ما لَمْ يَسَّألْ حراماً ، وفيه تقومُ الساعةُ ، ما منْ ملَكٍ مقرَّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جبالٍ ولا بحرٍ إلا وهُنّ يشْفقْن من يومِ الجمعة(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) قال المنذرى : رواه ابن مردويه بإسناد لا بأس به .
(٢) رواه أحمد وابن ماجه.

عليه وآله وسلم : خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجمُعةِ(١) .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا تطلُعُ الشمسُ ولا تَغْرُبُ على أفضل مِنْ يومِ الجمعةِ ، وما من دَابَّةٍ إلا وهى تَفْزَعُ يومَ الجمعةِ إلا هذين الثَّقَلينِ الجنَّ والانسَ(٢) .

ويوم الجمعة هو يوم المزيد الذى يتجلى فيه ربَ العزة بالتجلى العام على أهل الجنة بالرؤية فينظرون إليه : قال الله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ .

روى البزار وغيره بالسند عن أنس رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال : يَظْهَرُ لهم ـ أى يتجلى عليهم ـ الربُّ عز وجل فى كلِّ يومِ جمعة .

ومنها : أن صبحها أفضل الصلوات عند الله .

ومنها : أنها تعدل حجة . أخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الأعمال والحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن عباس « رضى الله تعالى عنهما » قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الجمعةُ حَجُّ المساكين » ، وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال: الجمعة أحَبُّ إلىَّ من حجَّةِ تَطوُّعٍ .

ومنها : استحباب الغسل لها لما روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما. وأخرج الحاكم عن أبى قتادة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنِ اغْتَسَلَ يومَ الجمعةِ كَانَ فى طَهارةٍ إلى الجمعةِ الأُخْرى(٣) .

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما وأبو داود.

(٣) أورده الهيثمي فى المجمع ولفظه : عن عبد الله بن قتادة قال : دخل على أبى وأنا اغتسل يوم الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة أو للجمعة قلت: من جنابة . قال اعد غسلاً آخر إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من اغتسل يومالجمعة كان فى طهارة إلى يوم الجمعة الأخرى) رواه الطبراني فى الأوسط وفيه هارون بن مسلم قال أبو حاتم فيه =

وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة - رضى الله تعالى عنه - عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (أنه) قال : « إن الغسل يومالجمعة ليَسُلُّ[١] . الخطايا من أُصولِ الشَّعَرِ استِلالاً[٢] .

ومنها استحباب الطيب والدهن والسواك وإزالة الشعر والظفر.

أخرج البخارى عن سلمان - رضى الله تعالى عنه - قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يغْتَسِلُ رجلٌ يوم الجمعةِ ويتَطَهَّرُ[٣] ما استطَاعَ من طُهْرٍ ويدَّهِــنُ من دُهْنٍ ويمسُّ من طيْبِ بيتـه ثم يخـرج فـلا يُفـرِّقُ بينَ اثنين ثُمَّ يصلِّى مـا كُتبَ له ثم يُنْصِتُ إذا تكَلَّمَ الإمامُ إلاَّ غُـفِرَ له مـا بينه وبينَ الجمـعة الأُخْرَى »[٤] .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ قَلَّمَ أَظافِره يوم الجمعةِ وُقِىَ من السوءِ إلى مثلِها »[٥] .

ومنها استحباب لبس أحسن الثياب. أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعةِ واسْتَاكَ ومَسَّ من طِيْبٍ إن كان عنده ولَبِس

= لين وثقه الحاكم وابن حبان وبقية رجاله ثقات ج ٢ ص ١٧٤ .

(١) أى يخرج الذنوب من غضون الشعر إخراجاً. يقال : سل الشيء انتزعه وفى حديث عائشة رضي الله تعالى عنها : فانسللت من بين يديه أى مضيت وخرجت بتأن وتدريج. من نهاية ابن الأثير ج٢ص١٩١ .

(٢) قال المنذرى فى الترغيب : رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ج١ ص٤٩٦ .

(٣) يريد تطهير ثيابه

(٤) رواه البخارى ورواه مسلم بإيجاز ـ هدية البارى ج٢ ص ٢١٦ .

(٥) قال الهيثمى فى المجمع : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أحمد بن ثابت ويلقب [فرجونة] وهو ضعيف ـ ج ٢ ص ١٧١ .

مِنْ أحسنِ ثيابهِ ثم قال : كانت كفّارة ما بينَها وبين الجمعة الأُخرى[١].

ومنهـا تضـعيف أجـر الذاهب إليـها بكل خطوة أجـر سنة أخـرج أحـمـد والأربعة والحاكـم عن أوس بن (أبِي) أوسِ الثقفي سمعـت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من غسلَ واغْتَسَلَ ثم بكّر وابتكر، ومشَى ولم يركبْ ودنا من الإمـام واستمـعَ ولم يلْغُ كـان له بكلِّ خطوةٍ عـمَلُ سَنَةٍ أجـرُ صيامِـها وقيامِها . وللطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في حديث « وإذا أخـذ في المشي إلى الجمعـة كان لـه بكلِّ خطْوةٍ عملُ عشرين سنةً » [٢] . وسنده ضعيف.

ومنها الأمان من عذاب القبر لمن مات يومها أوليلتها . أخرج أبو يعلى عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « مَنْ ماتَ يومَ الجمعةِ وُقِيَ عذابَ القبْرِ » [٣] .وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بنِ خالد المخزومي قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة خُتِمَ بخاتم الإيمان ووُقِيَ عذابَ القبر.

ومنها أن للجماع فيه أجرين . أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف

---

(١) اورده الحاكم في المستدرك وزاد وعن أبي سلمة وقال : هـذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي في التلخيص ج١ ـ ص٢٨٣ . وأورده في الفتح الكبير وقال رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة . ج٣ ص ١٣٦ . وأخرج أحمد نحوه عن أبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء .

(٢) ورد الحديث بلفظ [من اغتسل يوم الجمعة غفرت له ذنوبه وخطاياه وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة . فإذا فرغ من صلاة الجمعة أجيز بعمل مائتي سنة، ورواه الطبراني في الاوسط عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفيه عباد ابن عبد الصمد. أبو معمر : ضعفه البخاري وابن حبان . مجمع الزوائد ج ٢ ص١٧٤ طبع القدسي.

(٣) اورده المتقي في منتخب كنز العمال ولفظة[من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء] وقال : رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر ـ ج٣ ـ ص ٢٨٦ ـ وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ففيه روايات مختلفة : ص٤٢ .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيَعْجِز أحدُكم أن يجامِعَ أهلَه فى كل جمعةٍ، فإن له أجرين اثنين . أجر غُسْلِه وأجر غَسْلِ امرأتِه »(١) . وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن مكحول أنه سئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران.

ومنها الأمان من فتنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها فلا يُسأل فى قبره . أخرج الترمذى وحسنه والبيهقى وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلا وقَاه الله فتْنَةَ القبر »(٢) . وفى لفظ « إلاّ برِئَ من فتنةِ القبر » وفى لفظ « إلاَّ وُقِيَ الفتنتان » قال الحكيم الترمذى وحكمته انكشف الغطاء عما له عند الله لأن جهنم لا تسجر فى هذا اليوم وتغلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل فى سائر الأيام فإذا قبض الله فيه عبدا كان دليلا لسعادته وحسن مآبه فإنه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر. لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن .

ومنها أنه مذكور فِي القرآنِ ذكر تشريف دون سائر أيام الأسبوع. قال تعالى ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ .

ومنها أنه الشاهد والمشهود فى الآية : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ وقد أقسم الله به.

---

(١) قال فى الراموز: رواه البيهقى فى الشعب وضعفه والديلمى عن أبى هريرة ص ١٧٢ وقال فى شرح الراموز : له شواهد . ج٢ ـ ص ٢٤٦ .

(٢) قال المناوى فى الفيض : رواه الإمام أحمد والترمذى من حديث ربيعة بن يوسف عن أبى عمرو اهـ ولكن وصله الطبرانى فرواه من حديث ربيعة عن عياض بن عقبة عن ابن عمرو فذكره وهكذا أخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذى متصلا وخرجه أبو نعيم من حديث جابر ج ٥ ـ ص ٤٩٩ .

ومنها أنه اليوم المدخر لهذه الأمة . روى الشيخان عن أبى هريرة رضيِ الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « نحن الآخِرونَ السابقون يومَ القيامةِ بيْدَ أنَّهمْ أُوتُوا الكتابَ مِنْ قبلِنا وأُوتيْناه مِنْ بعدهم ثم هذا يومُهم[١] . الذى فرَضَه الله عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا اللهُ له فالناسُ لنا فيه تبعٌ اليهودُ غداً والنصارى بعد غدٍ »[٢] .

ولمسلم عن أبى هريرة وحُذيفة (رضى الله تعالى عنهما) قالا قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم « أضلَّ الله عنِ الجمعةِ مَنْ كانَ قَبْلَنَا فكان لليهودِ يوم السبتِ وكان للنصارى يومُ الأحدِ فجاء اللهُ بنا فهَدانا (اللهُ) ليوم الجمعة » .

---

(١) وردت عدة روايات فى السنن للبيهقى وفى بعضها [هذا يومهم الذى افترض] عليهم ج ٤ ص ١٧١ .

(٢) أورده النبهاني فى الفتح الكبير وقال : رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ج ٣ ص ٢٦١ .

شرف القائمين بالليل وفضلهم

ومن الشرف الذى أعده الله لهذه الأمة ذلك الثواب الكبير الذى أعده للقائمين المتهجدين بالليل وما خص به هذه العبادة الكريمة من مزايا ومناقب عظيمة نجملها فيما يأتى :

صلاة الليل هى أفضل الصلاة بعد الفريضة .. روى مسلم عن أبى هريرةِ رضى الله تعالى عِنه قِال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمِ : أفضل الصيامِ بعد رمضانَ شهرُ الله المحرَّمُ وأَفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليلِ.

وروى الطبرانِى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآلهِ وسلمِ قال: فضلُ صلاةِ الليلِ على صلاةِ النهار كفضلِ صدَقةِ السرِّ على صدقَةِ العلانيِة .

وروى الطبرانِى عنِ سمرة رضىِ الله عنه قال : أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصلِّى من الليلِ ما قلَّ أو كثُرَ ونجعل آخر ذلك وترا .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « إنّ رسول الله صلى الله عليهِ وآله وسلمِ كانِ يقُوم من الليل حتى تَتفطَّر قدَمَاه ـ أى تتشقَّقَ وتتورمَّ ـ فقلتُ له : لِمَ تصنع هذا وقد غفِر لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر؟ قال : أفلا أُحِبُّ أن أكون عبداً شكُوراً » .

ومَن واظب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب روى البيهقى عنِ النبى صلىِ الله عِليه وآله وسلم أنه قال : يُحشَر النَاس فِى صعيد واحدٍ يوم القيامة فينادى منادٍ فيقولِ : أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجعِ ؟ فيَقْدَمون وهم قليلٌ فيدْخُلون الجنة بغير حسابٍ ثم يؤمر بسائرِ الناس إلى الحساب.

وقيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفر للسيئات . روى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : عليكم بقيامِ الليل فإنّه دأبُ الصالحِين قَبْلَكُم ، وقُربة إلى ربِّكم ومَكْفرةٌ للسيئات ومنهاة عن الإثم .

وقيام الليل صحة للجسد . روى الطبرانى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : عليكم بقيامِ اللّيل فإنّه دأبُ الصالحين قبلكم ومقربةٌ لكم إلى ربِّكم ومكْفَرَةٌ للسيِّئاتِ ومنهاةٌ عن الإثمِ ومطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسد .

ومن واظب على قيام الليل دخل غرف الجنة بسلام. روى الترمذى عن عبد الله بن سَلَام، رضي الله عنه قال: أَوَّلُ ما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلمِ المدينةَ انجفلَ الناسُ إليه - أى أسرعوا إليه - فكنتُ فيمن جاءه فلما تأمَّلْتُ وجْهه واستَثْبَتُّه عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذّابٍ . قال : فكان أوّلَ ما سمعت من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم أن قال: أيُّها الناسُ أفشوا السلامَ وأَطْعِموا الطعام وصِلوا الأرحامَ وصلوا بالليلِ والناسُ نِيامٌ تدخلوا الجنة بسلام .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبىِ صلى الله عليه وآله وسلم قال : فى الجنّةِ غرفةٌ يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . فقال أبو مالكِ الأشعرى : لِمَنْ هى يارسولَ الله؟ فقال : لمن أَطابَ الكلامَ وأطعم الطّعامَ وباتَ قائما والناس نِيام .

وروى ابن حبان وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قلت يارسول الله إنّى إذا رَأَيْتُك طابَتْ نفسي وقرتْ عينيي أَنْبِئْنى عن كلِّ شىء فقال: كلٌّ شىءٍ خلق من الماء . فقلت أخبرني بشىءٍ إذا عملته دخلتُ الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أطعِمْ الطَّعامَ وأَفشِ السَّلام وصلِ الأرحامَ وصَلِّ بالليل والناس نِيام تدخلِ الجنَّة بسلامٍ .

وقيام الليل فيه شرف المؤمن فى الدنيا والآخرة . روى الطبرانى بإسناد

حسن عن سهل بن سعد رضيِ الله عنه قال : جاء جبريلُ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محّمد عِشْ ما شئتَ فإنك ميتٌ واعمَلْ ما شئتَ فإنك مَجزىٌ به واحْبِبْ من شئتَ فإنك مُفارِقُه واعلمْ أن شرفَ المؤمن قيامُه بالليل وعِزَّه استغناؤه عن الناس .

روى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أشرافُ أمتى حَمَلهُ القرآن وأصحابُ اللَّيلِ . أى قُوَّامُ الليلِ .

ومن قام فصلى فى الليل لا يخيب . روى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قالِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما خيَّبَ اللهُ امرءاً قامَ فى جوف الليلِ فافتتح سُورةَ البقرة وآل عمران .

ومن قام يصلى فى الليل فقد تعرض لنفحات القرب الربانى . روى الترمذى عن عمرو بن عبسة رضيِ الله تعالى عنه أنه سمعِ النبى صلى الله عليه وآله وسلمِ يقولِ : أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ فى جوفِ الليل الآخرِ فإن استطعتَ أن تكونَ ممن يذكُر الله تعالى فى تلك الساعةِ فكُنْ

وفى الصحيحين عن أبِى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآلِه وسلِم : ينزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يبقَى ثلثُ الليلِ الآخِرُ فيقولِ : من يدعونى فأَستجيبُ له ؟ منّ يسأَلُنى فأُعطِيه؟ من يستغفِرُنى فأعفرِ له ؟.

وقائم الليل يُكتب فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. روى أبو داود عن أبى هريرة وأبى بن كعب رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا أيقظ الرجلُ أهلَه من الليل فصلّيا أو صلّى ركعتَيْن جميعاً كُتبا من الذاكِرين والذاكِراتِ .

ومن قام الليل وأيقظ أهله للصلاة فى الليل وجبت لهما الرحمة وثبت لهما المغفرة . روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله رجُلاً قام من الليل فصلَّى وأيقظ امرأتَه فإنْ أبَتْ نَضح - أي رشَّ - فِي وجهها الماءِ ورحم الله امرأةً قامتْ في اللَّيلِ فصلَّتْ وأيقظتْ زوجها فإن أبى نضحتْ في وجهه الماء .

وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ما من رجلٍ يستيقظ من الليل فيوقظ امرأتَه فإنّ غلبها النَّوْمُ نضحَ في وجهها الماء فيقومان في بيتها فيذكران الله عز وجل ساعةً من الليل إلا غفر لهما .

وروى الحاكم وصححه عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه قال: قال عبد الله بن سلام: مكتوب في التوراة : لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذنٌ ولم يخطرْ على قلب بشرٍ ولا يعلمه ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ . قال عبد الله : ونحن نقرؤها - أي في القرآن الكريم -: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ الآية .

ومن فضائل صلاة الليل أن المشتغل بقراءة القرآن فيها موفّق توفيقا عظيما يغبطه عليه كل من عرف فضله وشرفه وأنه يدخل في هذا الفضل العظيم كل من شارك في هذا الخير ولو بقراءة عشر آيات إذ يمحى عنه بها اسم الغفلة فلا يكتب في ديوان الغافلين فإن أكثر من القراءة وأطالها ارتفع إلى مقام القانتين فإذا زاد إرتفع إلى ديوان المقنطرين والقنطار كجبل أُحد .

روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا حسد إلاّ في اثْنَيْن رجلٍ آتاه الله القرآنَ فهو يقوم به آناء الليلِ وآناء النهارِ، ورجلٍ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهارِ » .

وروى أبو داود عن ابن عمرو بن العاصِ رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من قام بعشر آياتٍ لم يُكتبْ من الغافلين، ومن قام بمائةِ آيةٍ كُتب من القانتين، ومن قام بألفِ آيةٍ كُتب من المُقنطِرين »

وروى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ عشر آيات فى ليلة كتب له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها فاذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل : إقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهى إلى آخر آية معه . يقول الله عز وجل للعبد : اقبض ، فيقول العبد بيده : يارب انت أعلم يقول : بهذه الخلد وبهذه النعيم » .

وروى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين ، ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين ، ومن قرأ الف آية أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومائتا أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض ـ أو قال : خير مما طلعت عليه الشمس ـ ومن قرأ الفى آية كان من الموجبين » .

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب لمن نام طاهرا ناويا القيام .

فمن ذلك أنه يبيت بجاوره ملك الرحمة يدعو له بالمغفرة والحفظ قال صلى الله عليه وآله وسلم : من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلا يستيقظ إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً[١] .

وفى رواية : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات معه فى شعاره ملك ، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه.

الشعار بكسر الشين المعجمة : هو ما يلى بدن الإنسان من ثوب وغيره .

لعبدِك فإنّه باتَ طاهِراً[١].

ومن ذلك أنه تستجاب دعوته إذا قام من ليلته تلك . فعن معاذ بن جبلٍ رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما مِنْ مسلمٍ يبيت طاهراً فيتعارُّ من الليلِ فيسألُ الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إيّاه[٢].

وفى رواية عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من أوى إلى فِراشه طاهراً يذكُر الله حتى يُدرِكه النُّعاسُ لم يَنقلبْ ساعةً من الليلِ ، يَسْأَلُ الله خيراً من خير الدنيا والآخرةِ إلا أَعْطاهُ إيّاه[٣].

ومن ذلك أن له ثواب قيام تلك الليلة ولو غلبت عيناه ، ولم يقم ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم : ما مِن امْرِئٍ تكُون له صَلاةٌ بلَيلٍ فيغَلِبُه عليها نومٌ إلا كتَب اللهُ له أجرَ صلاتهِ ، وكان نومُه عليه صدَقةً[٤].

وفى رواية : كان نومُه صدقةً عليه من ربِّه[٥].

وفى رواية : يقول صلى الله عليه وآله وسلم : ما من عَبدٍ يُحدِّثُ نفسَه بقيامِ ساَعةٍ من الليلِ فينامُ عنها إلا كانَ نومه صدَقَةً تصدّق اللهُ بها عليه ، وكتَب له أجْرَ ما نَوى[٦].

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد.

(٢) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه الترمذى عن شهر بن حَوْشَب عن أبى أمامة وقال : حديث حسن.

(٤) رواه مالك وأبو داود والنسائى .

(٥) رواه النسائى بإسناد جيد وابن خزيمة.

(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه مرفوعا، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه موقوفا لم يرفعه.

فضل المحافظة على
ثنتي عشرة ركعة من السنن الرواتب

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على فعل النوافل.

والحكمة فى شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت فى الحديث فى سنن أبى داود وغيره ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة ولهذا يستحب أن يفتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين .

وقد جاء فى فضلها مزايا كثيرة ومناقب عظيمة .

فمنها : أن من حافَظ علىِ ثِنتَيْ عشرة ركعةً فى اليومِ والليلةِ بنى اللهُ له بيتاً فى الجنِّةِ . وفى رواية : دخل الجَنَّةَ.

عن أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من عبدٍ مسلمٍ يُصلِّي لله تعالى فى كلّ يومٍ ثنتَىْ عشرة ركعةً تطوُّعاً غير فريضةٍ إلا بنَى اللهُ تعالى له بَيْتاً فى الجنَّةِ أو إلاَّ بنِى له بيتٌ فى الجنَّة (١) .

أربعاً قبلَ الظهرِ وركعتين بعدَها وركعتين بعدَ المغرب وركعتين بعدَ العشاءِ وركعتين قبلَ صلاةِ الْغَدَاة (٢) .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى.

(٢) ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم إلا أنهم زادوا : وركعتين قبل الظهر وركعتين أظنه قبل العصر ووافق الترمذى على الباقى

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من ثابَرَ على ثِنْتَىْ عشرةَ ركعةً فى اليومِ والليلةِ دخلَ الجنَّةَ : أربعاً قبلَ الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغربِ وركعتيْنِ بعد العشاءِ وركعتين قبلَ الفجْرِ [١] .

ومن ذلك أن ركعتى الفجر خير من الدنيا وما فيها.

عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ركعتا الفجّرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها [٢] . وفى رواية لمسلم : لَهُما أَحَبُّ إلىَّ من الدنيا جميعا.

قوله خير من الدنيا : أى من متاعها وزهرتها لأنّ ثوابها باق. والاضطجاع سنة بعد الفجر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا صلّى أحدكم ركْعتَىِ الفجر فليضْطَجِعْ على يمينهِ .

وركعتا الفجر فيهما فضيلة عظيمة وثواب جليل . روى عن ابنِ عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رجل يارسولَ الله : دُلَّنى على عملٍ ينفعنى الله به. قال: عليك بركعتَىِ الفْجرِ فإنَّ فيهما فضيلة [٣] .

وفى روايةِ له أيضا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تَدَعوا الرَّكعتَيْنِ قبلَ صلاة الفجْرِ فإنَّ فيهما الرَّغائبَ . وروى أحمد منه : وركعتَىِ الْفجرِ حافِظوا عليها فاَنَّ فيهما الرغائبَ .

قوله : فإن فيهما الرغائب : أى ما يرغب فيه من الثواب العظيم ، وبه سميت صلاة الرغائب ، واحدتها رغيبة .

---

(١) رواه النسائى وهذا لفظه والترمذى وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير.

وركعتا الفجر فيهما الغنيمة كل الغنيمة وهما رأس المال : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قُلْ هو الله أحدٌ تَعْدِلُ ثلثَ القرآنِ وقُلْ يا أيها الكافرون تعدلُ رُبعَ القرآن وكان يقرؤهما في ركعتي الْفجرِ وقال : هاتان الركعتان فيهما رُغَبُ الدُّرِّ »(١) .

والمعنى والله أعلم، أن هاتين الركعتين يرغب الإنسان فيهما كما يرغب في جمع الدر ويود منه شيئا كثيرا ويطمع في وفرته ويميل إلى كثرته وأن ركعتي الفجر أولى من الحرص عليه لأن ثوابها أبقى وأجل فائدة فالدر فانٍ ومتاع الدنيا قليل ومتاع الآخرة نعيم مقيم.

ولذلك جاء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحافظ عليهما محافظة شديدة ، تقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: لم يكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على شَيْءٍ من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتَي الفجْرِ(٢) . وفي رواية لابن خزيمة قالت : ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شيءٍ من الخير أَسْرَعَ منه إلى الركعتين قبل الفجر ولا إلى غنيمةٍ .

وكان يوصي بهما . يقول أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : أوصاني خليلي بثلاثٍ : بصومِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ والوِتْرِ قبل النومِ وركعتي الفجرِ(٣) .

وكان ينهى عن تركهما، فعن أبِي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تَدَعُوا ركعتَي الفجْرِ ولو طَرَدَتْكُمُ الخيلُ(٤) .

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن والطبراني في الكبير واللفظ له .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد وهو عند أبي داود وغيره خلا قوله وركعتي الفجر . وذكر مكانهما : ركعتي الضحى .

(٤) رواه أبو داود .

ومن ذلك فضل الصلاة قبل الظهر وبعدها وأن من واظب عليها حرم الله جسده على النار.

قالِ صلى الله عليه وآله وسلم: من يحافِظُ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدها حرَّمَ اللهُ جسده على النار [١].

وفى رواية : أَرْبَعٌ قبل الظُّهرِ ليَس فيهن تسليمٌ تُفْتَحُ لَهُنَّ أبوابُ السماءِ [٢].

وفى رواية : أنها تفتح لها أبوابُ السماءِ فلا يُغْلَقُ منها بابٌ [٣].

وهذه الصلاة كان يحافظ عليها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطيل فيها القيام ويقول. أُحِبُّ أن يُصْعَدَ لى فى هذه الساعةِ عملٌ صالحٌ [٤].

ومن فضائل هذه الأربع الركعات أنه كان يحافظ عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. روى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يَسْتَحِبُّ أن يصلِّي بعد نصف النهار فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها يارسول الله . إنى أَراك تَسْتَحِبُّ الصلاةَ هذه السَّاعَةَ؟ قال: تُفْتَحُ فيها أبواب السماءِ وينْظُر اللهُ تبارك وتعالى بالرحمة إلى خلْقه وهى صلاةٌ كان يحافظ عليها آدمُ ونوحُ وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم [٥].

ومن فضائل هذه الصلاة أن المحافظ عليها ينال ثواب تهجد ليلته تلك ، روى عن البَراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ صلَّى قبلَ الظهرِ أربعَ ركعاتٍ كأنما تهجَّد بِهنَّ من ليلته ومن صلاهُنَّ

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى .

(٢) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط.

(٤) رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن غريب .

(٥) رواه البزار وسنده ضعيف .

بعدَ العشاءِ كمِثْلِهِنَّ من ليلةِ القدْرِ(١).

وفى رواية : عن عبد الرحمن بن حميد رضى الله تعالى عنه عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: صلاةُ الهجيرِ مثلُ صلاةِ الليل . قال الراوى: فسألت عبد الرحمن بن حميد عن الهجير؟ فقال: إذا زالت الشمس(٢).

وفى رواية : عن عمر رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أربعٌ قبل الظهرِ وبعدَ الزوالِ تُحْسَبُ بمثلهن فى السَّحَرِ وما من شىءٍ إلا وهو يسبِّحُ الله فى تلك الساعة، ثم قرأ : ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾(٣).

ومن فضائل هذه الصلاة أن من صلاها كان كمن أعتق رقبة من بنى إسماعيل. عن بشير بن سليمان عن عمرو بن الانصارى عن أبيه رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ صلَّى قبلَ الظُّهرِ أربعاً كان كعدْلِ عِتْقِ رقبةٍ من بنى إسماعيل(٤).

وهذه الصلاة هى أفضل صلاةالنهار ، عن الأسود ومرة ومسروق رضى الله تعالى عنهم قالوا : قال عبد الله : ليس شىءٌ يعدلُ صلاةَ الليل من صلاة النهار إلا اربعاً قبلَ الظهر وفَضْلُهُنَّ على صلاةِ النهار كفضْلِ صلاةِ الجماعةِ على صلاة الواحدة(٥).

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وسنده ضعيف.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير . وفى سنده لين وجد عبد الرحمن هذا هو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه.

(٣) رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن عاصم.

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته إلى بشير ثقات .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير وهو موقوف لا بأس به .

ومن ذلك ماجاء فى فضل الصلاة قبل العصر ، فقد دعا له صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة فقال : (رَحِمَ اللهُ امْرأً صلَّى قبلَ العصْرِ أربعاً)[(١)] .

وجاء أن من حافَظَ عليها بَنى الله له بيتاً فى الجنَّة[(٢)] .

وجاء أن من حافَظَ عليها حرَّمَ اللهُ بدنَه على النارِ[(٣)] .

وفى رواية: لم تَمسَّه النارُ[(٤)] .

وجاءأن من حافَظَ عليها فهو من المغْفُورِ لَهُمْ[(٥)] .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة بين المغرب والعشاء:

١) أنها تساوى ثواب ثنتى عشرة سنة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ صلَّى بعدَ المغربِ ستَّ ركَعاتٍ لم يتكَلَّمْ فيما بينهنَّ بسوءٍ عدَلْنَ بعبادةِ ثِنْتَىْ عشرةَ سنةً[(٦)] .

٢) أن من حافظ عليها بنى الله له بيتا فى الجنة . روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: من صلَّى بعد المغربِ عشرين ركْعةً بنى اللهُ له بيتاً فى الجنَّة[(٧)] .

٣) أنها سبب مغفرة الذنوب ، عن محمد بن عمار بن ياسر رضى الله

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى الصحيح.

(٢) رواه أبو يعلى.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو غريب.

(٦) رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والترمذى كلهم من حديث عمر بن أبى خثعم عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عنه وقال الترمذى حديث غريب .

(٧) وهذا الحديث الذى أشار إليه الترمذى رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروةعن أبيه عن عائشة. ويعقوب كذبه أحمد وغيره.

تعالى عنهم قال : رأيت عمار بن ياسر يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : رأيت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : مَنْ صلَّى بعدَ المغربِ ستَّ ركَعاتٍ غُفِرَتْ له ذنوبُه وإن كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البحْرِ[١] .

٤) أن هذه الصلاة تُرفع فى عليين ، عن مكحول رضى الله تعالى عنه يبلغ به النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: من صلَّى بعد المغرب قبل أن يتكلَّمَ ركعتينِ ـ وفى رواية ـ أربع ركعاتٍ رُفِعَتْ صلاتُه فى عِلِّيِّينَ[٢] .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة بعد العشاء . فقد جاءأنها تساوى ثواب من صلاها ليلة القدر .

روى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربعٌ قبلَ الظهرِ كأربعٍ بعدَ العشاءِ . وأربعُ بعد العشاءِ كعَدْلِهِنَّ من ليلةِ القدْرِ[٣] .

وقوله من ليلة القدر: يريد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين أن صلاة أربع ركعات بعد صلاة العشاء تساوى ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر. والركعة فيها تساوى ثواب ألف ركعة فى غيرها ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أى العمل فيها يضاعف الله ثوابه ألف ضعف من ذكر وتسبيح وتحميد. وهكذا من أعمال البر يزداد أجرها ويعظم خيرها وتفتح لها أبواب القبول.

وفى رواية فى الكبير من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ صلَّى العشاءَ الآخِرة فى جماعةٍ وصلَّى أربعَ

---

(١) حديث غريب رواه الطبرانى فى الثلاثة وقال : تفرد به صالح بن قطن البخارى.

(٢) ذكره رزين ولم أره فى الأصول .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط

ركَعاتٍ قبل أن يخرُجَ من المسجدِ كان كعدْلِ ليلةِ القدْرِ .

ومن ذلك ما جاء فى المحافظة على صلاة الوتر وأنه ينال أجر من مات فى سبيل الله .

فقد روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : **من صلِّى الضُّحى وصام ثلاثةَ أيامٍ من الشهرِ ولم يَتْرُكَ الوتْرَ فى سفرٍ ولا حضرٍ كُتِبَ له أجرُ شهيدٍ**[١] .

ومن فضائل الوتر أن الله سبحانه وتعالى يحبه . فمن أتى به فقد أتى بما يحبه الله..

فعن على رضى الله تعالى عنه قال: الوتر ليس بحَتْمٍ كصلاة المكتوبة ولكن سَنَّهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : إن الله وتْرٌ يحِبُّ الوترَ فأَوتِروُا يا أهل القرآنِ[٢] .

وصلاةُ الوترِ امدَّنا الله تعالى بها وهى خيْرٌ لنا من حُمُرِ النَّعَمِ[٣] .

ولذلكِ حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تركه وتبرأ من تاركه بقوله : الوترُ حقٌ فمنْ لم يوترْ فليسَ منّا. الوترُ حقٌ فمن لم يوتر فليس منا .الوترُ حقٌ فمن لم يوتر فليس منا ثلاثاً[٤] .

وقد بلغت العناية من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوتر أنه أمر من خاف أن لا يقوم فى آخر الليل أن يقدمه فى أول الليل . كما جاء عن

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه نكارة.

(٢) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له . والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه وقال الترمذى : حديث حسن .

(٣) كذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

(٤) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له . وفى اسناده عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العتكى . ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد.

جابر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : منْ خافَ أن لايقومَ من آخرِ اللّيلِ فلْيوترْ أوَّلَه ومن طمعَ أن يقوم، آخرهُ فليوترْ آخِرَ الليلِ فإن صلاةَ آخرِ الليلِ مشهودةٌ وذلك أفضل(١) .

فضائل صلاة النافلة في البيت

ومن فضائل الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى جعل لها الثواب الكبير على صلاة النوافل فى البيوت.

فمن ذلك أن الصلاة فى البيت نور: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أماً صلاةُ الرجلِ فى بيتِهِ فنورٌ ، فنوِّروا بيوتَكم(٢) .

ومعناه أنها ضياء القلوب لتخشع لله فى خلوتها وخلاء عن الغفلة وانشراح بين العبد وربّه يناجيه خاليا من المظاهر فيشعر بجلال الله وعظمته ويقف ذليلا أمام المعطى سبحانه فينشرح صدره بالإيمان والمناجاة وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين أن يصلوا النافلة فى البيت لترفرف على المصلى رحمة الله ، ولتعمه أنواره الوضاءة وليشعر كل من فى البيت بخوف الله تعالى . وأنه جدير بالثناء عليه والشكر له على ما أسبغ عليهم بنعمه .

وقد شبه صلى الله عليه وآله وسلم البيت الذى فيه طاعة الله وذكره وعبادته وتسبيحه وقراءة القرآن فيه وأنه ملجأ الصالحين أنه حى مملوء عمرانا

(١) رواه مسلم وابن ماجه والترمذى وغيرهم .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه.

(٣) رواه مسلم وغيره ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى سعيد.

ومحاط بالسعادة والسعة والرضا.. أما البيت الذى خلا من ذكر الله فمقفر وخاو وخرب وإن عمره أهله فلا فائدة فى وجودهم وعليه شارة الغضب ويحوطه السخط والعصيان ويسرح ويمرح فيه الشيطان ويبيت فيه . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : مَثَلُ البيتِ الذى يُذكرُ اللهُ فيه والبيتُ الذى لا يُذْكَرُ الله فيه مَثَلُ الحىِّ والميتِ(١) .

يقول ابن مسعود رضيِ الله تعالى عنه : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيُّما أفضل : الصلاةُ فى بيتى أو الصلاةُ فى المسجد؟ قال: الا ترى إلى بيتى ما أَقْرَبَه من المسجد فَلأَنْ أُصلِّى فى بيتى أحبُّ إلىَّ من أن أصلِّى فى المسجدِ إلا أن تكونَ صلاةٌ مكتوبةٌ(٢) .

وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم بإكرام البيوت فقال: أكْرِموا بيوتَكم ببعضِ صلاتكم(٣) .

وفضلُ صلاة الرجلِ فى بيتِه على صلاتِه حيث يراه الناسُ كفضلِ الفريضةِ على التطوّعِ(٤) .

ومعناه: أن صلاة النافلة أمام الناس مظنة الرياء ومدح الناس إياه أنه عابد ناسك . ولكن فى البيت أدعى إلى رحمات الله وأبعد عن ظنون النفاق وأعين الرائين المداحين إلا المفروضة ، فتؤدى فى المسجد جماعة كما أراد صلى الله عليه وآله وسلم ويصلى الإنسان فى بيته ما شاء من النوافل بتؤدة وطمأنينة ، والفريضة أكثر ثوابا من النافلة ، وحسناتها مضاعفة وأجرها جزيل .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه.

(٤) رواه البيهقى بإسناد جيد.

فضل الجلوس في المصلّى بعد صلاة الصبح والعصر

ومن شرف الأمة المحمدية ماجعل الله سبحانه وتعالى من الثواب لمن جلس فى المصلى بعد صلاة الصبح.

فمن ذلك أن من صلّى الصبْحَ فى جماعةٍ ثم قَعد يذكُرُ الله حتى تطلُعَ الشمسَ ثم صلّى ركعتين كان له كأجْرِ حجّةٍ وعمرةٍ تامّةٍ تامّةٍ تامّةٍ(١). هكذا كررها صلى اللهعليه وآله وسلم ثلاث مرات .

وفى رواية عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمَ إذا صلى الفجر لم يقُمْ من مجلسه حتى تُمكِنَهُ الصلاةُ وقال: من صلّى الصبحَ ثم جلَس فى مجلسهِ حتى تُمْكَنه الصلاةُ كان بمنزلة عمرةٍ وحجة مُتَقَبَّلَتين(٢) .

وفى رواية عن عبد الله بن غابر أن أمامة وغتبة بن عبد رضى الله تعالى عنهما حدثاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من صلّى صلاةَ الصبحِ فى جماعةٍ ثم ثَبتَ حتى يُسبِّحَ للهِ سُبْحَةَ الضُّحى كان له كأجر حاجٍّ ومُعْتَمرٍ تاماً له حجةٌ وعمرةٌ(٣) .

ومن ذلك أن من جلس من بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ينال من الثواب مالا يخطر بباله . فهو كأنه أعتق أربع رقاب وكأنه أنفق فى سبيل الله اثنى عشر ألفا.

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ورواته ثقات إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام .

(٣) رواه الطبرانى وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة .

عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأَنْ أقعُد مع قومٍ يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلُع الشمسُ أَحَبُّ إلىَّ مِنْ أن أعْتِق أربعةً من ولدِ إسماعيل ولأَنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكرون الله من صلاة العصْرِ إلى أن تَغْرُب الشمسُ أحبُّ إلىَّ مِنْ أن أُعتِق أربعةً [١] . قال فى الموضعين: أحبُّ إلىَّ من أن أَعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيل دِيَةُ كلٍّ واحدٍ منهم اثنا عشر ألْفاً [٢] .

وفى رواية عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لأَنْ أقعُدَ اذْكُرُ الله تعالى وأُكَبِّرُه وأحمدُه وأسبِّحُه وأُهلِّله حتى تطلُعَ الشمسُ أحبُّ إلىَّ مِنْ أن أعتِقَ رقَبتين من ولَد إسماعيل، ولأَنْ أَقْعُدَ بعد العصرِ حتى تغرُبَ الشمسُ احبُّ إلىَّ من أن أعتِقَ أربعَ رقَباتٍ من ولدِ إسماعيل [٣] .

ومن ذلك أنه تغفر خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قعَد فى مصلاه حين ينصرِفُ من صلاة الصبح حتى يُسبِّحَ ركعتى الضُّحى لا يقولُ إلا خيراً غُفِرَتْ له خطاياه وان كانتْ أكثرَ من زبَدِ البْحرِ [٤] .

ومن ذلك أنه يستحق دخول الجنة لما جاء فى الحديث، من صلَّى صلاة الفجر ثم قعَدَ يذكرُ الله حتى تطلُعَ الشمسُ وجبَتْ له الجنَّةُ [٥] .

ومن ذلك انه لا تمس جلده النار لما روى عن أبى أمامة رضى الله تعالى

---

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا بالشطر الأول إلا أنه قال: أحب إلى مما طلعت عليه الشمس .

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن.

(٤) رواهما أحمد وأبو داود وأبو يعلى ، ومعنى يسبح ركعتى الضحى: أى يصلى .. وزبد البحر : رغواته وفقاقيعه .

(٥) رواه البيهقى.

عنه يرفعه قال: مَن صلَّى الفجرَ ثم ذكرَ الله حتى تطلُعَ الشمسُ ثم صلَّى ركعتين أو أربعَ ركعاتٍ لم تَمسَّ جلدَه النارُ وأخذ الحسن بجلده فمده[١] .

ومن ذلك أنه لا يقوم من مصلاه إلا وصحائفه نقيه قد غفر الله له .

روى عن عمرة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت أم المؤمنين تعنى عائشة رضى الله تعالى عنها ـ تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنْ صلَّى الفجر أو قال: الغَداةَ فقعدَ فى مقْعَدِه فلم يلْغُ بشيءٍ من أمر الدنيا ويذكُرُ الله حتى يصلِّىَ الضحى أربعَ ركَعاتٍ خرجَ من ذنوبِه كيَوْم ولَدَتْه أمُّه لا ذنْبَ له[٢] .

ومن ذلك أنه ينال من الثواب أكثر وأعظم مما يناله من رحاب الأعداء وفاز بالظفر وانتصر وكسب المغانم.

روى عن عمر بن الخطابُ رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه واله وسلم بعث بعثاً قبلَ نجْدٍ فغنموا غنائمَ كثيرةً وأسْرَعوا الرَّجْعة فقال رجل منا لم يخرج : ما رأينا بعْثاً أسْرَعَ رجْعةً ولا أفْضلَ غنيمةً من هذا البعْث فقال النبيٍ صلى الله عليهِ وآله وسلم : الا أَدُلُّكُمْ علي قومٍ أفضلَ غنيمةً وأسرعِ رجعةً قومٍ شهِدوا صلاةَ الصبْح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعتِ الشَّمس أولئك أسرع رجعةً وأفضلُ غنيمةً[٣] .

ومن ذلك أن مَنْ قال فى دبرِ صلاةِ الفجرِ وهو ثانٍ رِجلَيْهِ قبل أن يتكلَّمَ :

---

(١) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبراني.

(٢) رواهما أحمد وأبو داود وأبو يعلى ، ومعنى يسبح ركعتى الضحى: أى يصلى .. وزبد البحر : رغواته وفقاقيعه .

(٣) رواه الترمذى فى الدعوات من جامعة ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه . وذكر البزار فيه أن القائل ما رأينا : هو أبو بكر رضى الله عنه وقال فى آخره: فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا بكر ألا ادلك على ماهو أسر إيابا وأفضل مغنما من صلى الغداة فى جماعة ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس

لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له . له الملكُ وله الحمد يُحْيِى ويُمِيْتُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشْرَ سيئاتٍ ورفع له عشر درجاتٍ وكان يومه ذلك كلّه في حرزٍ من كلِّ مكروهٍ وحرسٍ من الشيطانِ ولم ينْبَغِ لذنبٍ أن يُدْرِكه في ذلك اليومِ إلا الشركُ بالله تعالى(١) .

وفي رواية : أن من قال هذا الذِّكْرَ عشرَ مراتٍ بعد المغربِ بعَثَ الله له مَسْلَحَةً يحفظونَه من الشيطانِ حتى يُصْبحَ وكتب الله له بها عشرَ حسناتٍ موجباتٍ ، ومحا عنه عشر سيئاتٍ موبقاتٍ ، وكانت له بعْدُ عشرُ رقباتٍ مؤمناتٍ(٢) .

وفي رواية : بزيادة « بيدِه الخيرُ » بعد قوله « ولهُ الحمدُ » .

وفي رواية : وكان له بكل مرَّةٍ عتق رقبةٍ من ولد إسماعيل ثمنُ كل رقبةٍ اثنا عشر ألفا .

وفي رواية أن من قال ذلك مائةَ مرةٍ كان يومَئذ مِنْ أفْضلَ أهلِ الأرض عملا إلا من قال مثلَ ما قال أو زاد على ما قال(٣) .

وهذه الاحاديث تفيد أن بركة هذا الذكر ينالها المسلم بشرط أن يأتيَ به بعد صلاة الصبح والمغرب مباشرة وقبل أن يتكلمِ وهو جالس جلوس الصلاة فإذا أتى بهذه الشروط فإن الله تعالى تكفل له ان يعطيه سبع فوائد.

أولا : كتابة حسنات ..

ثانيا : محو سيئات ..

---

(١) رواه الترمذي واللفظ له وقال : حديث حسن غريب صحيح. والنسائي وزاد فيه : بيده الخير ، وزاد فيه أيضا : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة . ورواه النسائي أيضا من حديث معاذ وزاد فيه : من قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته .

(٢) رواه النسائي والترمذي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد. وهو عند أحمد بنحوه ورجاله رجال الصحيح.

ثالثــا : زيادة درجات ..

رابعــا : ثواب العتق ..

خامسا: الحفظ من الشيطان ..

سادسا: السلامة من المصائب ..

سابعــا : التنقية من العيوب والنجاة من العذاب.

فالذى يحافظ على قراءة هذا الورد كل يوم، يتكرم الله عليه بزيادة حسنات مضاعفة ، وإزالة سيئات ماحقة ، وتحصن من المصائب ، ووقى شر الحوادث وبعد عن المكاره والوسواس الخناس ، فلا يجد الشيطان له فرصة يغويه ويضله ، هذا إلى سلامته من كل الذنوب مدة يومه إلا إذا ألحد وأشرك بربه أحدا وهذا عمل يسير به ينال فضل الله الكبير .

ومن ذلك أن من قال بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات :

« أستغفرُ الله الذى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ واتوبُ إليه كُفِّرَتْ عنه ذنوبُه وإن كانتْ مثلَ زَبَدِ البحرِ(١) .

---

(١) رواه ابن السنى فى كتابه .

صلوات مخصوصة

١- فضل صلاة الضحي

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة ما أعده من الثواب الجزيل ووعد به من الخير على صلاة الضحى والاستخارة وصلاة الحاجة وركعتى الوضوء وصلاة التسبيح .

صلاة الضحي :

فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم بصيامِ ثلاثةِ أيّامٍ من كلّ شهرٍ وركعتيِ الضُّحى وأن أُوْتِرَ قبلَ أن أَرْقُدَ(١) .

وفضائل صلاة الضحي كثيرة نذكر جملة منها :

١- بها يغفر الله تعالى الذنوب . روى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من حافظ على شفْعة الضُّحى - أى ركعتيِ الضُّحى - غُفِرتْ ذنوبه وإن كانتْ مثل زَبَد البحرِ .

وروى أبو يعلى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قام إذا استقْبلَتْهُ الشمس أي بعد طلوعها وارتفاعها - فتوضّأَ فأحسن وضوءه ثم قام فصلّى ركعتين غُفِرتْ له خطاياه كما ولدَته أمُّه .

٢- بها يكون من الأوابين - روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحافِظ على صلاةِ

---

(١) رواه الشيخان .

الضحى إلا أَوَّابٌ . قال : وهى صلاةُ الأوَّابِيْنَ . ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣- بها ينال أجر المعتمر . روى أبو داود عن أبيِ أمامة رضيِ الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من خرج من بيتِه متطهِّراً إلِى صلاةٍ مكتوبةٍ - أى - مفروضة يصليها فى المسجد - فأَجْرُهُ كأجرِ الحاجِّ المحْرِمِ . ومن خرج إلى تسبيحٍ - أى صلاة الضحى - لا يَنْصِبُهُ إلا إيّاه - أى صلاة الضحيِ - فأجره كأجر المعتمر . وصلاةٌ على أَثَرِ صلاةٍ لا لغْوَ بينهما كتب فى علِّيِّيْن .

٤- بها يكتب من العابدين ومن القانتين . روى الطبرانى عن أبيِ الدرداء رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ صلَّى الضُّحى ركعتينِ لم يُكْتَبْ مِنَ الغافلين. ومن صلَّى أربعا كُتِبَ من العابدِين ومن صلى ستًّا كُفِى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين . ومن صلَّى ثِنْتَيْ عشرةَ ركعةً بنى اللهُ له بيتاً فِي الجنة . وما مِنْ يومٍ ولا ليلةٍ إلا لله مَنٌّ يمُنُّ به على عباده وصدقةٌ وما مَنَّ اللهُ على أحدٍ من عبادِه أفضلَ من أن يلْهِمه ذِكْرَه .

٥- بها يدخل الجنة من باب الضحى : روى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إنَّ فِي الجنةِ باباً يقالُ له الضحى فاذا كان يومُ القيامةَ نادى منادٍ : أَيْنَ الذين كانوا يدِيْمُون صلاةَ الضحى؟ هذا بابكُم فادْخلوه برحمةِ الله تعالى .

٦- بها يكفى الله تعالى العبد ما أهمه فى ذلك اليوم ويدخل فى ضمان الله تعالى روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله تعالى عنهما عنِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا ابْنَ آدمَ لا تُعْجِزْنى من أربعِ ركَعاتٍ من أوَّلِ النهارِ أَكْفِكَ آخره .

وروى الإمام أحمد عن النبىِ صلى الله عليه وآله وسلمِ أنه قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم صلِّ لى أربع ركعاتٍ من أولِ النَّهارِ أكْفِكَ آخِرَه .

٧- بها يؤدى العبد حقوق الصدقات عن أعضائه . فإن العبد متى أصبح وجب أن يتصدق عن أعضائه كلها . وإن صلاة الضحى تفى بذلك كله. روى مسلم عن أبى ذرٍ رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : يُصْبِحُ على كلِّ سُلامَى - أى عضو - من أحدكم صدقةٌ ، فكلُّ تسبيحةٍ صدقةٌ وكل تحميدةٍ صدقةٌ وكلُ تهليلةٍ صدقةٌ وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ ونَهْىٌ عن المُنْكَرِ صدقةٌ ويُجْزِئُ من ذلكَ ركْعتان يرْكعُهُما من الضُّحى.

وروى الإمامِ أحمد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : فى الإنسان ستُّونٍ وثلاثمائة مفْصِلٍ ، فعليه أن يتصدَّقَ عن كلِّ مفْصِلٍ منها صدقةً . قالوا : فمَنْ يطيقُ ذلكَ يا رسول الله ؟ قال : النُّخامةُ فِى المسجِدِ تدْفِنُها والشىء تنحِّيه عن الطريقِ فإن لم تقدرْ فركعتان الضُّحى تُجْزِئُ عنك .

وصلاة الضحى أقلها ركعتان إلى ثمان ركعات.

ووقتها إذا حلت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس إلى الزوال .

٢- صلاة الاستخارة ودعاؤها :

ومن الشرف الذى جعله الله تعالى لهذه الأمة ما أعده من الثواب الجزيل ووعد به من الخير الجليل على بعض الصلوات المخصوصة .

فمنها - صلاة الاستخارة ..

فى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من سعادة ابنِ آدمِ كثْرةُ استخارَةَ الله ورضاه بما قضى الله ومن شقَاوةِ ابن آدم تَرَكُهُ استخارةَ اللهِ وسُخْطُه بما قضى اللهَ .

وعن جابر رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة . ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب .. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال : عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ويسره لي ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي فى دينى ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضنى به « ويسمى حاجته » ..

وفى سنن الترمذى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد الأمر قال : اللهم خر لى واختر لى .

وهذا لا ينافى الدعاء السابق بل يدعو به أيضا .

ويستحب افتتاح دعاء الاستخارة وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستقبل القبلة كما هو سنة الدعاء وأن يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة « الكافرون » وفى الثانية فاتحة الكتاب وسورة « الإخلاص » واستحب جمع من المحدثين والصوفية رضى الله تعالى عنهم أن يقرأ فى الركعة الأولى قبل سورة الكافرون آية القصص قوله تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ ويقرأ فى الركعة الثانية قبل سورة الإخلاص آية الأحزاب : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾.

قال الإمام الشيخ ابن عربى رضى الله تعالى عنه : يفعل ذلك أى الاستخارة على الوجه السابق ـ فى كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع فى حاجته. فإن كان له فيهاخيرة عند الله تعالى يسر له أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة وإن تعذر شىء من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بيسر فلا يضاد القدر ويعلم أنه لو كان فيها خيرة عند الله تعالى ما تعذرت أسبابها فيعلم أن الله تعالى قد اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها .

قال الإمام النووى رضى الله تعالى عنه : وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره . والله أعلم وإذا لم يتضح له شىء يكررها فقد روى الديلمى وابن السنى عن أنس رضِىَ الله تعالى عنه قال : قال رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلمِ : يا أنس إذا هَمَمْتَ بأمرٍ فاستَخِرْ ربَّك فيه سبعَ مرات ثم انظُرْ إلى الذى سبق إلى قلبِك فإنّ الخيرَ فيه .

ثم إن الاستخارة هى طلب الخيرة فى الأمر فقد يكشف الله تعالى لك الخير كشفا قلبيا فينشرح صدرك لذلك الأمر . وقد لا يتجه قلبك لوجه من الوجوه بسبب شغله فى أمور أخرى أو بسبب ضيق فى الوقت أو عدم وجود المناسبات الكاشفة لقلبك عن الأمر الذى استخرت الله تعالى فيه فحينئذ قد يجليه الله تعالى ويكشفه لك فى عالم المنام . ولذلك قال صاحب شرعة الإسلام فى فصل فضيلة النوافل : ثم إنّ المسموع من المشائخ أنه ينبغى أن ينام على الطهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور فإن رأى فى منامه بياضا أو خضرة فذلك الأمر خير .. وان رأى فيه سوادا أو حمرة فهو شر ينبغى أن يجتنبه اهـ ..

قال الشيخ الأكبر رضى الله تعالى عنه : وينبغى لأهل الله تعالى أن يصلوا صلاة الاستخارة فى وقت معين يعينونه من ليل أو نهار فى كل يوم. فإذا قالوا الدعاء الوارد فى الحديث كما تقدم يقولون فى الموضع الذى أمر أن يسمى

حاجته أى حينما يصل فى الدعاء إلى قوله : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى ـ يقول : اللهم ان كنت تعلم أنّ جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى خير لى فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وآجله من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر فيسره لى واقدره لى ورضّنى به . وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شر لى فى دينى ودنياى وعاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضّنى به .

قال الشيخ رضى الله تعالى عنه : فإذا فعل ذلك فما يتحرك بحركة ولا يُتحرك فى حقه بحركة إلا كان فيها خير محقق فعلا أو تركا . جرّبت هذا اهـ.

فعليك يا أخى أن تعين وقتا خاصا أول النهار أو بعد صلاة الظهر أو بعد صلاة المغرب أو بعد صلاة العشاء وتصلى ركعتى الاستخارة ثم تدعو بما تقدم وواظب على ذلك كل يوم فإن فيه خيرا كثيرا اهـ.

٣ـ صلاة الحاجة ودعاؤها :

روى الترمذى وغيره عن عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه أن رجلا ضَرِيرا أتى النبيِ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادْعُ الله تعالى أن يُعافينى قال : إن شئت دعوت وان شئت صبرْتَ فهو خيرٌ لك . قال فادْعه . أى ادع الله ـ فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنّى أسألُك وأتَوَجَّهُ اليك بنبيِّك محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نبيِّ الرحمةِ يا محمدُ إنى توَجَّهْتُ بك إلى ربّى فى حاجتى هذه لتُقْضَى لى .. اللهم فشفِّعْهُ فِيَّ .

وفى رواية النسائى : فتوضأ ثم صلى ركعتين ـ أى ثم دعا ..

وفى الترمذى وغيره عن ابن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقعد وقال : من كانتْ له حاجةٌ إلى الله تعالى أو إلى أحدٍ من بنى آدم فليتوضَّأ وليُحْسِنْ الوضوء ثم ليصلِّ ركعتين ثم ليثْنِ على الله عزَّ وجل وليُصلِّ على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم ليقُلْ : لا إله إلا اللهُ الحليم الكريم سبحانَ الله ربِّ العرْشِ العظيمِ الحمد لله رب العالمين أسألك موجباتِ رحمتك وعزائم مغْفرتك والغنيمةَ من كلِّ برٍّ والسلامةَ من كل إثمٍ لا تدعْ لى ذنبًا إلا غفَرْتَه ولا همّاً إلا فرَّجْتَه ولا حاجةً هى لك رِضا إلا قضيتها يا ارحم الراحمين .

وفى سنن أبى داود عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزَبَه أمر - أى نزل به هم أو غم - صلى أى لأن الصلاة تدفع النوائب وترفع المصائب . « وحزبه بالباء أو بالنون كما فى فيض القدير » .

٤ - صلاة ركعتي الوضوء :

عن عقبة رضى الله عنه قال : كانتْ علينا رعايةُ الإبلِ فجاءت نوْبَتى أرْعاها فروَّحْتُها بعشِيٍّ فأدركْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما يحدِّثُ الناس وأدركت من قوله : ما منْ مسْلِمٍ يتوضَّأُ فيُحْسِنُ وضوءه ثم يقومُ فيصلِّى ركعتين يُقْبِل عليهما بقلبه ووجْهه إلاَّ وجبتْ له الجنة . فقلت : ما أجودَ هذا ! فإذا قائل يقول بين يدىَّ التى قبْلَها أجْوَد . فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال : إنى رأيتك قد جئْتَ آنفاً - أى الآن - وما سمعتَ ما قاله قبْلَه - قال صلى الله عليه وآله وسلم : ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فيُبْلِغُ أو فيُسْبِغُ الوضوء ثم يقول : اشْهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثَّمانيةُ يدْخُلُ من أيِّها شاء[١] .

---

(١) رواه مسلم .

وعند الترمذى بعد قوله : ورسوله . اللهم اجعلّنى من التَّوَّابِيْنَ واجعلّنى من المُتَطَهِّرِيْنَ . فيندب صلاة ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل ويحسن أن يقرأ فيهما سورة (قل يا أيها الكافرون و الإخلاص) ..

٥ـ صلاة التسبيح :

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى خصها بصلاة التسبيح.

روى أبو داود سليمان بن الأشعث وابن ماجه محمد بن يزيد فى سننهما قالا : حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابنِ عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للعباس بنِ عبد المطلب : يا عبّاسُ يا عمّاه ألا أُعطِيْكَ ألا أمنَحُكَ ألا أحبُوكَ ألا أفْعَلَ لك : عشر خصالٍ إذا أنت فعلْتَ ذلك غفرَ اللهُ لك ذَنبك أوَّلَهُ وآخره قَدِيْمَه وحديثَه ، خطأَه وعمْدَه صغيره وكبيره سرَّه وعلانيته ، عشر خصالٍ : أن تُصلِّىَ أربع ركعاتٍ تقرأُ فى كلِّ ركعةٍ فاتحة الكتابِ وسورةً فإذا فرغْتَ من القراءة فى أوَّلِ ركعةٍ وأنتَ قائم . قلت : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ واللهُ أكبر خمْسَ عشرةَ مرَّةً ، ثم تركع فتقولُها وأنت راكِعٍ عشراً ثم ترفعُ رأسَكَ من الركوعِ فتقولُها عشراً ثم تهوى ساجدِا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع وأسك من السجودِ فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشرا ثم تجلسٍ جلسة الاستراجة قبل القيام فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كلِّ ركعة تفعلُ ذلك فى أربعِ وكَعات ، إنِ اسْتَطَعْتَ أن تُصلِّيَهَا فى كلِّ يومٍ مرَّةً فافْعَلْ فأنْ لَمْ تَفْعَلْ ففى كلِّ جمْعَةٍ مَرْةً فإنْ لم تَفْعَلْ ففى كلِّ شهْرٍ مرة فإن لم تفعلْ ففى كلِّ سنَةٍ مرَّةً فإن لم تَفْعَلْ ففى عمرِك مرَّة[١] .

وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عباس وأبو رافع الأنصارى مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) وأخرجه الحاكم والبيهقى وغيرهما .

وعبد الله بن عمرو الأنصارى.

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب، أمثلها حديث عكرمة هذا. وقد صححه جماعة منهم الحفاظ أبو بكر الآجرى وأبو محمد عبد الرحيم المصرى وأبو الحسن القدسى . وقال أبو بكر بن أبى داود سمعت أبى يقول : ليس فى صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال مسلم بن الحجاج : لا يروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا والتحقيق أن الحديث لا ينحط عن درجة الحسن لطرقه التى تشده وتقويه.

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره .. صغيره وكبيره يدل بظاهره على ان الكبائر تغفر بمجرد فعل هذه الصلاة . وهو محمول على ما إذا اقترنت ببقية شروط التوبة من الاستغفار والندم والعزم على عدم العود .

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره . لا يتناول حقوق العباد فلا تسقط عن ذمته مهما قدم من أعمال الخير وإنما تبرأ ذمته مما هو خاص بحقوق الله تعالى المحضة .

وقوله : تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة. مطلق فى أىّ السور يختارها القارئ وقد اختار بعضهم لذلك هذه السور، التكاثر، العصر ، الكافرون ، الإخلاص .

وقوله : ارفع رأسك فقلها عشرا. أى بعد قول: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، وكذلك فى الركوع وفى كل ما يأتى تقال التسبيحات بعد أذكار الصلاة الأصلية .

وقوله : ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فيه إشارة إلى أنه يجلس قليلا بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى وكذا الثالثة ليقول عشر تسبيحات. وهذه جلسة استراحة أما فى الركعة الثانية والرابعة فيقولها فى الجلوس الأصلى للتشهد.

صلاة تقوية الحفظ

عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذْ جاءه على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه فقال: بأبى أنت وأمى تفلّت هذا القرآن من صدْرى. فما أجدنى أقدر عليه ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا الحسن أفلا أعلّمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهنّ منْ علّمته ويثبّت ما تعلّمْت فى صدرك؟ قال : أجلْ يا رسول الله فعلّمْنى. قال : إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعْت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنّها ساعة مشهودة والدُّعاء فيها مستجابٌ . وقد قال أخى يعقوب لبنيه : سوف أستغْفر لكم ربّى . يقول حتّى تأتى ليلة الجمعة . فإن لم تستطعْ فقمْ فى وسطها ، فإن لم تسْتطع فقم فى أوّلها ، فصلّ أربع ركعات تقْرأ فى الركعة الأُولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدُّخان . وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصّل . فإذا فرغْت من التشهّد فاحمْد الله وأحْسن الثّناء على الله وصل علىّ وأحسنْ وعلى سائر النبيين واسْتغْفرْ للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك، الذين سبقوك بالايمان ثم قلْ في آخر ذلك : اللهمّ بديع السموات والارْض ذا الجلال والإكْرام والعزّة التى لا ترام أسألك يا لله يا رحمن بجلالك ونور وجْهك ان تلْزم قلْبى حفْظ كتابك كما علّمْتنى وارزُقْنى أنْ أتْلوه على النّحْو الذى يرْضيْك عنّى .. اللهمّ بديع السّموات والأرض ذا الجلال والإكْرام والعزّة التى لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجْهك أنْ تنوّر بكتابك بصرى وأن تطْلق به لساني . وأن تفرّج به عن قلْبي وأن تشْرح به صدْرى وأن تعْمل به بدنى فإنه لا يعيننى على الحقّ غيرك ولا يؤْتيه إلاّ أنت . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلىّ العظيم .

يا أبا الحسن تفعَلُ ذلك ثلاثَ جُمَعٍ أو خمْساً أو سبْعاً تُجَبْ بإذْنِ الله . والذى بعَثَنى بالحقِّ ما أخْطأَ مؤمناً قط .

قال ابن عباس تفعَلُ ذلك ثلاثَ جُمَعٍ أو خمْساً أو سبْعاً تُجَبْ بإذْنِ الله.

قال ابن عباس : فوَالله ما لبث علىٌّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مثل ذلك المجلس فقال: يا رسول الله إنِّى كنْتُ فيما خَلا لا آخُذُ إلا أربعِ آيات ونحوهنَّ فاذا قرأْتُهنَّ على نفسي تفَلَّتْنَ وأنا أتَعَلَّمُ اليوم أربعين أيةً ونحوها فإذا قرأْتُها على نفسى فكأنَّما كتاب الله بين عَيْنَىَّ ، ولقد كنتُ أسمعُ الحديثَ فاذا رددْتُه تفَلَّتَ وأنا اليوم أسمعُ الأَحاديثَ فاذا تحَدَّثْتُ بها لم أخْرِمْ منها حرْفاً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك : مؤمن وربِّ الكعبةِ أبا الحسن[١] .

وقد عين الحديث السور الأربع المذكورة ورتبها في كل ركعة سورة وهذا الترتيب مخالف لترتيب سور القرآن ومراعاة ترتيب سور القرآن فى الصلاة مستحبة، ومخالفة المستحب فى الأحيان القليلة جائزة ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه فعل ذلك أحيانا لبيان عدم الحرمة .

هذا وقد جاءت التجارب تؤيد ما ذكرنا، قال الحافظ أبو الحسن بن عراق: وأخبرنى غير واحد أنهم جربوا الدعاء به فوجوده حقا . وذلك أن ضعف الحفظ إن كان فطريا فالله تعالى الخالق البارى المحيى المميت قادر على إمداد الداعى بمزيد من القوة الواعية . وإن كان لعارض من أحوال طارئة يقويه الله تعالى على مقاومتها فقد اشتمل الحديث على ما يزيل ذلك حيث يدعو المؤمن ربه بأن يرحمه بترك المعاصى ومعلوم بل مشاهد أن ارتكاب المعاصى من أعظم أسباب البلبال الفكرى والذهنى. واشتمل على الاستعانة بالله لترك الاهتمام فيما لا يعنيه ولا يدخل فى مكنته من الأمور لأنه يوزع فكره ويمنعه

---

(١) أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وأخرجه الحاكم وصححه.

من تركيز الانتباه فيما يعنيه وينفعه ويلحق بذلك سائر ما يُدخل الهمّ على الإنسان من الظروف المحيطة به مما لايد له فيه . وفى الحديث سؤال حسن النظر فيما يُرْضى الله تعالى وذلك يشمل كافة العلوم والمعارف النافعة وكافة المصالح المشروعة لأنها يثاب فاعلها مادام يبتغى بها رضا الله وحسن النظر يُقَوِّى ارتسام الأمور والمعانى فى الذهن .. إلى آخر ما اشتمل عليه الحديث .

فضل أداء الزكاة

ومن شرف هذه الأمة اخْتَصها الله به من الثواب العظيم والفضل الكريم على أداء الزكاة . وهى ركن من الأركان التى ينبنى عليها الإسلام .

فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بُنِىَ الإِسْلامُ على خَمْسٍ : شهادَةِ أن لا إله إلاَّ اللهُ ، وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُه ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصومِ رمضان[١] .

والزكاة من الأعمال التى توجب دخول الجنة ، فتفتح له أبواب الجنة ، ويقال له : أُدخل بسلام .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ما مِنْ عبْدٍ يُصلِّى الصلوات الخَمْسَ ويصومُ رمضانَ ، ويُخْرِجُ الزكاةَ ، ويجْتَنِبُ الكبائِرَ السَّبْعَ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أبوابُ الجنة ، وقيل له : ادْخُلْ بسلام[٢] .

وفى رواية : عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خمسٌ مَنْ جاء بِهِنَّ مع إيمانٍ دخلَ الجنَّةَ ، من حافَظَ على الصَّلواتِ الخمْسِ على وضوئِهِنَّ وركوعِهِنَّ وسجودِهِنْ ومواقيتِهِنَّ ، وصام رمضانَ ، وحجَّ البيتَ إن اسْتَطَاعَ إليهِ سبيلا وأعطى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بها نفسهُ[٣] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : كنت مع رسول الله صلى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه النسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

الله عليه وآله وسلم فى سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت : يارسول الله ، أخبرنى بعمل يُدْخِلُني الجنة ، ويباعدنى من النار ؟ قال لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه : تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ به شَيْئاً ، وتقيمُ الصلاة ، وتُؤْتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتَحُجُّ البيت(١) ..الحديث.

وقد تكفل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة ، لمن أداها ، وأتى بها ، على وجهها الصحيح ، فقال : أُكْفُلُوا لى بست أَكْفُلْ لكُم بالجنة ، قلت : ماهى يارسول الله؟ قال: الصلاة، والزكاة ، والأَمانةُ ، والفَرْجُ ، والبَطْنُ ، واللِّسانُ(٢) .

وقد سأل رجلٌ نبيًّا صلي الله عليه وآله وسلم فقال: أخبرنى بعمل يُدْخِلُنى الجنة ؟ فقال : تعبد الله لا تُشْرك به شيئا ، وتقيمُ الصلاة ، وتُؤْتى الزكاةَ ، وتَصِلُ الرحِم(٣) .

وفى رواية : أنه قال : دُلَّنى على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُه دَخلتُ الجنة؟ قال: تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئا ، وتُقِيْمُ الصلاة المكتوبة ، وتُؤْتى الزكاةَ المفروضَةَ ، وتَصُوْمُ رمضانَ. قال : والذى نفسى بيده لا أزيدُ على هذا ولا أَنْقُصُ منه فلمّا ولَّى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : من سَرَّهُ أن يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ من أَهْلِ الجنَّةِ فلْيَنْظُرْ إلى هذا(٤) .

وقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يُخْبِرُ أنه ذو مال كثير ، وذو أهل ويقول : أخبرنى يارسول الله كيف أصْنَعُ وكيف أُنْفِقُ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تُخْرِجُ الزكاة من مالك ، فإنَّها طُهْرَةٌ تُطَهِّرُك وتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ ، وتَعْرِفُ حقَّ المِسْكِيْنِ ، والجارِ والسَّائِلِ(٥) . الحديث .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه ، والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد لا بأس به ، وله شواهد كثيرة .

(٣ ، ٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

والزكاة قنطرة الإسلام، كذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم ، (والمعنى) أن المسلم يمر يوم القيامة على جسر ممدود على متن جهنم والمزكى يعبرها ، وغير المزكى حينما يصل إليها لا يمكنه العبور فيسقط فى نار جهنم .

والزكاة أحد أسهم الإسلام الثمانية ، وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أن الإسلام ثمانية أسهم : بقوله :

الإسْلَامُ ثَمانِيَةُ أَسْهُمٍ : الإِسلامُ سَهْمٌ ، والصلاةُ سهمٌ والزكاةُ سَهْمٌ ، والصوم سهم ، وحَجُّ البَيْتِ سهم ، والأمر بالمعروف سَهْمٌ ، والنَهْيُ عن المنكرِ سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب مَنْ لاَ سهم له [١] .

ومن فضائل الزكاة أن من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شَرُّه .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ أَدَّى زكاةَ مالِه فَقَدْ ذَهَبَ عنهُ شَرُّه [٢] .

وفى رواية عند الحاكم: إذا أدّيتَ زكاة مالك فقد أذهبتَ عنك شرَّه . وقال صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : ذهب عنه شره . أى لم يعذب صاحبه به فى قبره . فلا يمثل له بشجاع أقرع يلدغه ، ويعذبه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لغير المزكى:

مُثِّلَ لهُ يومَ القيامةِ بشُجاعٍ أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتانِ يُطَوِّقُهُ يومَ القيامَةِ ثُمَّ يأْخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ يعنى شِدْقَيْه ، ثم يقول : أَنَا مالُك أَنَا كنزُك ، ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم : **﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ**

(١) رواه البزار مرفوعا ، وفيه يزيد بن عطاء اليشكرى ، ورواه أبو يعلى من حديث على مرفوعا أيضا ، وروى موقوفا على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطنى وغيره

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه .

وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ « سورة آل عمران » [١].

ومعنى شجاعا أى حية ذكر ، ومعنى : زبيبتان : أى زبدتان فى شدقيه ، ومعنى الآية ، أى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم بل البخل شر لهم، لاستجلاب العقاب عليهم .

وفى الآية : يقول تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ ﴾ وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ما مِنْ رجلٍ لا يُؤَدِّى زكاةَ مالِهِ إلاَّ جَعَلَهُ اللهُ شُجاعاً فِى عنقِهِ يوم القيامةِ .

والزكاة حصن منيع للأموال من السرقة والضياع .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم : حَصِّنُو أَمْوالَكُمْ بالزكاةِ ، ودَاوُوا مَرْضاكم بالصَّدَقَةِ، واسْتَقْبِلُوا أمواجَ الْبَلاَءِ بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ[٢].

والزكاة هى تمام أمور الدين ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ تَمامَ إسلامِكُمْ أنْ تُؤَدُّوا زَكاةَ أموالِكُمْ[٣] .

ومن فضائل الزكاة أنها تنفى عن المال اسم الكنز لأن المال الذى لا يُزَكَّى هو الكنز ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : كلُّ مالٍ وإن كان تَحْتَ سبْعِ أَرَضِيْنَ ،

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أبوداود فى المراسيل ، ورواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعا متصلا والمرسل أشبه .

(٣) رواه البزار .

يُؤدَّى زكاتُه ، فلَيس بكنْزٍ ، وكلُّ مالٍ لا تُؤدَّى زكاته وإن كان ظاهِراً فهو كنزٌ[١] .

والزكاة ثانى درجات الإسلام فقد سئل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . أيُّ درجات الإسلام أفضل قال : الصلاة ، قال : ثم أيٌّ ؟ قال : الزكاة[٢] .

ومن أداها فقد طعم طعم الإيمان ، لما جاء في الحديث . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثٌ منْ فعلهنَّ فقدطعمَ طعْمَ الإيمان: من عبَدَ الله وحده ، وعَلِمَ أنْ لا إله إلا الله ، وأَعْطى زكاةَ ماله طيِّبَةً بها نَفْسُه رافِدَةً عليه كلَّ عامٍ ولم يعط الهَرِمَة ، ولا الدَّرِنَة ، ولا المريضَة ، ولا الشرَط اللئيْمَة ، ولكن مِن وَسَطِ أموالِكُمْ فإن الله لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ولم يأْمُرْكُم بِشره[٣] .

قوله : رافدة عليه. من الرفد، وهو الإعانة ، ومعناه. أنه يعطى الزكاة ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع .

والشرط : بفتح المعجمة والراء . وهى الرذيلة من المال كالمسنة والعجفاء ونحوهما . والدرنة : الجرباء.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا ، ورواه غيره موقوفا على ابن عمر وهو الصحيح.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به .

(٣) رواه أبو داود .

فضل العمل على الصدقة بالتقوى

العامل على الصدقة هو الذى يبذل جهده فى جمع الزكاة من المسلمين ليوصلها إلى بيت المال ، فيتصرف الإمام فى إنفاقها فى المصالح العامة والمساعدة والإعانة والإحسان، وثوابه ثواب المجاهد لنصر دين الله المضاعف أجره .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم : العَامِلُ على الصَّدَقَةِ بالحَقِّ لوَجْهِ الله تعالى كَالْغَازِىْ فى سبيلِ الله عزّ وجل حتَّى يَرْجِعَ إلى أهْلِه(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العاملُ إذا استُعْمِلَ فأخَذَ الحَقَّ ، وأعطى الحَقَّ لم يزَلْ كالمجاهِدِ فى سبيلِ الله حتى يرجعَ إلى بيْتِه(٢) .

وكسب العامل هو خير كسب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :خَيْرُ الكَسْبِ كَسْبُ العامِلِ إذا نَصَحَ(٣) .

وله مثل ثواب المتصدقين لما يقوم به من أمانة ، فى حفظ الصدقات. وإيصالها إلى أهلها.

فعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إنَّ الخازِنَ المُسْلِمَ الأمِيْنَ الذى يَنْفُذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطِيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً به نَفْسُهُ فيَدْفَعُهُ إلى الَّذى أُمِرَ بِهِ أحَدُ المُسْلِمِين(٤) .

---

(١) رواه أحمد واللفظ له ، وأبوداود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

والعامل إذا اتقى الله وراقبه فهو من أهل الجنة ، يقول صلى الله عليه وآله وسلم ، إِنَّهُ سَتُفْتَحُ عليكم مَشَارِقُ الأَرْضِ ومَغَارِبُها ، وإِنَّ عُمَّالَهَا فى النَّارِ ، إلا مَنْ اتَّقَى الله عزَّ وجلَّ وأَدَّ الأَمَانَةَ (١) .

---

(١) رواه الإمام أحمد.

شرف الصدقة وفضل المتصدقين

و من الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما أعده الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميز الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة ، وقد جمعت جملة صالحة من ذلك أذكرها إن شاء الله فيما يأتى .

الصدقة تزيد فى العمر ويذهب الله بها أرذل الأخلاق وأسوأها ويحفظ بها العبد من الفقر ـ فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم : إنَّ صَدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيدُ فى العُمرِ وتَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ ويُذْهِبُ اللهُ بِها الكِبْرَ والْفَقْرَ والْفَخْرَ والمراد بزيادة العمر البركة فيه بأن يوفق للأعمال الصالحات فيعمل فى سنوات قليلة من الخير ما لا يعمله غيره فى سنوات كثيرة ..

والصدقة تزيد فى المال وتباركه وتدفع عنه المفسدات قال صلى الله عليه وآله وسلم : مانَقَصَتْ صدَقَةٌ مِنْ مالٍ [١] . والمعنى أن النقص الحاصل فى المال فى الصورة مجبور بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة أو أنه وإن نقصت صورته لكن ثوابه المعدُّ له فى الآخرة جابر لنقصه .

---

(١) رواه مسلم .

الصدقة حجاب من النـــار

اتقوا النار ولو بشق تمرة

عن عدي بن حـاتم رضي الله تعالى عنه قال : سمـعت رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يقول : « اتَّقـوا النّارَ ولَو بشِقِّ تمْرة » أى اجعلوا بينكم وبيـنها وقاية أي حـجابا ولو كـان بالاتقاء بالتـصدق بشيءٍ قليل جـدا مثل شق تمرة أي جانبها أي نـصفها فإنه يفيـد. فلا يحتقر المتصـدق ذلك فلو هنا للتقليل . وقد ذكر الـتمرة دون غـيرها كـلقمة طـعام لأن التـمر غالـب قوت أهل الحـجاز . والاتقاء من النــار كناية عن مـحوالذنـوب ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ « أَتْبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنَةَ تمْحُها » وبالجملة ففيه حث على التصدق ولو بما قَلَّ .

وفي الطبراني من حـديث فضالـة بن عبيد مـرفوعا « اجْـعلوا بيْنَكم وبينَ النّارِ حجـاباً ولو بشقِّ تمْرة » ولأحـمد من حديث ابن مـسعـود مرفوعـا بإسناد صـحيح « لِيـتَّقِ أحدُكمْ وجْـهَه النّارَ ولو بـشقِّ تمْرة » وله من حديث عـائشـة بإسناد حسـن « يا عائشةُ اسْتَتـري مِنَ النارِ ولو بشِقِّ تمرة . فإنّها تَسُدُّ مِن الجائعِ مَسـدَّها من الشَّبْعـانِ » ولأبي يعلى من حديث أبي بكر الصـديق نحوه وأتم منه بلفظ « تَقَعُ من الجـائع موقِـعَهـا مِنَ الشَّـبْعـانِ » وكأن الجـامع بينهمـا في ذلك حلاوتها.

وفي رواية : يا عائشة اشْتَري نفْسَكِ مِن الله لا أُغْني عنْكِ مِن الله شيئاً ولو بشق تمرة « مجمع » .

وفي رواية : عن أنس قـال : قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وآله وسلم : تَصدَّقوا فإنّ الصّدقةَ فَكَكُكم مِن النَّارِ « مجمع » .

وفي روايــة : أن رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم قــال : لعائشةَ: « احْتَجِبي مِن النَّارِ ولو بشِقِّ تمْرةٍ » .

وفى رواية : أن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم قال : اجْـعلوا بينَكم وبينَ النّارِ حجابةً ولوِ بشِقِّ تَمْرَةٍ . « مجمع » .

وهذه الأحاديث تدل علي أن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار وهذا أحد فوائدها .

والصدقة تكفر الذنوب مهما عظمت ..

فـفى الحديـث : والصَّدقـةُ تُطْفِىءُ الخطيـئـةَ ، وعـن أبـي ذر ـ رضى الله تعالى عنـه ـ قـال : قال رسول الله صلى الله عـليه وآله وسلم تَعبَّـدَ عـابدٌ من بنى إسـرائيلَ فـعبَد الله في صَـوْمَعـته فقـال : لو نَزلْـتُ فذَكـرْتُ الله فازْدَدْتُ خيراً فنـزلَ ومعـه رَغيْفٌ أو رَغيفان فبينَمـا هو في الأرْضِ لقـيتْهُ امرأةٌ فلـمْ يزَلْ يُكلِّمُهـا وتُكلِّمهُ حتّى غشـيَها ثم أُغْمـىَ علَيـه فنزلَ الغَديرَ يسْتحـمُّ فجاء سائلٌ فـأَوْمَأَ إليه أن يأخُـذَ الرَّغيفَيْن ثُـمَّ مات فوُزنتْ عبـادةُ ستِّينَ سنةً بتلكَ الزَّنْيَة فـرَجَحتْ الزَّنْيَةُ ثـمَّ وُضِـع الرَّغيـفُ أو الرَّغيـفَانِ معَ حسنَاته فـرَجَحتْ حسَنـاتُه فـغُفرَ لَهُ »[1] . وفي روايـة عن ابن مسعود مـوقوفا عليه . ولفظه : إن راهبـاً عبَـدَ الله في صَومَعَته ستِّيْنَ سنَةً فجاءتْ امـراةٌ فنزلَـتْ إلي جنبه فنزلَ إليها فواقَعهـا سـتَّ ليال ثم سُقط في يده فـهرَبَ فأَتي مسْجـدا فأَوي فيه ثلاثاً لا يطْعَمُ شيئـا فأُتيَ برغيفٍ فكسرَهُ فأعْطـى رجُـلاً عَنْ يمينه نصْـفَه وأعْطى آخَرَ عَنْ يساره نصْـفَـه فبعَثَ اللهُ إليه ملَكَ المـوْت فقَبضَ رُوحَـه فوُضِـعتْ السِّـتُّونَ فى كَفَّةٍ ووُضِـعتْ السِّـتَّةُ في كَفَّـةٍ فرجَحَتْ . يعنـى السِّتَّةَ ثُمَّ وُضِعَ الرَّغيفُ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه.

فرَجَح [١] .يعني رجَحَ الرغيفُ السِّتَّة. «ترغيب» .

وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لكعب بن عُجْرَةَ : يا كعْبُ بن عُجْرَةَ الصّلاةُ قُربْانٌ والصِّيام جُنَّةٌ والصَّدقةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ كما يُطفِىءُ الماءُ النَّارَ . يا كعْبُ بن عُجْرَةَ النَّاسُ غَادِيانِ فَبائِعٌ نَفْسَه فَمُوْثِقُ رَقَبَتَهُ ومبتَاع نفْسَه فى عِتْقِ رقَبته .

وعن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياكعبُ بْنَ عُجْرةَ إنْه لا يدْخُلُ الجنَّةَ لحْمٌ ودَمٌ نَبَتا عَلى سُحْت ، النَّارُ أوْلى به يا كعبُ بن عجرةَ النَّاس غاديان فغاد فى فَكاك نفْسه فَمُعْتقُهَا وغَاد فمُوْثقُها يا كَعْبُ بْنَ عجْرةَ : الصَّلاةُ قُرْبَانٌ والصَّوْمُ جُنَّةٌ والَصدقَةُ تُطْفِىء الخَطِيَّئَةَ كَما يذْهَبُ الجَليدُ عَلى الصَّفا [٢] . « ترغيب » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فذكر الحديث إلى أن قال فيه : ثم قال : يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألا أدُلُّكَ على أبوابِ الخير ؟ قلتُ : بلى يا رسولَ الله . قال : الصومُ جُنَّةٌ والصدقَةُ تُطْفِىءُ الخطيئة كما يطفىء الماءُ النَّارَ [٣] .

والمتصدق مشمول بدعاء زكى طاهر من أرواح زكية طاهرة وهم الملائكة التى تدعو كل يوم للمنفق بالخلف وعلي الممسك بالتلف وتقول اللهم أعط منفقا خلَفاً وأعط مُمْسِكا تلَفاً .

---

(١) رواها البيهقى .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح . وهو عند ابن حبان من حديث جابر .

والصدقة خير أبواب البر:

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خيرُ أَبوابِ البِرِّ الصَّدَقةُ « مجمع » .

والمتصدق في ظل صدقته يوم القيامة يوم لا ظل من حر الشمس كما جاء في الحديث عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كُل أمرِئٍ في ظِلِّ صدقَتِه حتى يُفْصَلَ بين النَّاسِ .

وفي رواية : عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ظِلُّ المؤْمنِ يومَ القيامة صدَقتُه وكان يزيدُ لا يُخْطِئُه يومٌ إلا تصدَّقَ فيه بشيء ولو كَعْكَةً أو بَصْلَةً أو كذا .

والصدقة سد منيع بين المتصدق والسوء ودافعة لعظيم البلاء والشر فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الصدقةُ تسُدُّ سبعين بَاباً منَ السُّوءِ » وليس المقصود بالسبعين التحديد بل المراد التكثير والمعنى أنها تسد السوء بأنواعه ولذلك قد أمرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمبادرة إلى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار.

فعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بَاكِروا بِالصَّدَقَةِ فإنَّ البلاءَ لا يتَخطَّاها « مجمع » ومعن ذلك أن الصدقة تكون مثل السد العظيم أمام البلاء فلا يستطيع أن يتعداها.

وفي رواية : الصدقة تَمْنعُ سبعين نوعاً مِنْ أنواعِ البلاءِ أهْونُها الجُذامُ والبَرَصُ « جامع » .

وقد جاء فى رواية أخرى: الصدقَاتُ بالغَدَواتِ يَذْهَبْنَ بالْعاهاتِ « جامع »

والغدوات جمع غدوة الضحوة والمراد الصدقة أول النهار والعاهات جمع عاهة وهى الآفة . والظاهر أن المراد ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية وهو يدل علي أن من فوائد الصدقة أن فى بذلها السلامة من فتنة المال ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأن من آمن وتصدق فقد أسلم لله روحه وماله الذي هو عديل روحه فصار عبدا لله حقا .

والصدَقةُ تَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ كما جاء ذلك عن أبي هريرة مرفوعا « رواه القضاعي » والمراد بميتة السوء الحالة التي يكون عليها الإنسان عند الموت قال التوربشتي : وأراد بها مالا تُحْمَدُ عاقبته ولا تؤمَنُ غائلته من الحالات كالفقر المُدْقِع والوصب الموجع والألم المقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذِّكْر والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها . وقال الطيبي : الأولى أن يحمل موت السوء على سوء الخاتمة ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة قال أبو زُرْعةَ : ليس معناه أن العبد يقدر له ميتة السوء فتدفعها الصدقة بل الأسباب مقدرة كما أن المسببات مقدرة فمن قدرت له ميتة السوء لا تقدر له الصدقة ومن لم تقدر له ميتة السوء تقدر له الصدقة . قال العامري : ميتة السوء قد تكون في الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب وحرق ونحوها وقد تكون سوء حالة في الدين كموته علي بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة فحث علي الصدقة لدفعها لذلك .

وعن رافع بن مكيث وكان ممن شهد الحديبية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حُسْنُ المَلكَة نماءٌ وسوءُ الخُلُق شؤْمٌ والبرُّ زيادةٌ في العمر والصدقةُ تَقِي مِيْتَةَ السُّوءِ .

فالصدقة خير دافع للبلاء وأعظم مانع للسوء وهذا كله بإذن الله سبحانه

وتعالى فهو المانع والنافع فى الحقيقة وإنما الصدقة وغيرها أسباب لذلك فإذا كان البلاء والشر والسوء بقضاء الله وقدره فإن الصدقة تدفع ذلك بقضاء الله وقدره أيضا . هكذا أخبرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحَى والذى قضى وقدر البلاء هو الذى أخبرنا بأنه قضى وقدر أن الصدقة تدفع ذلك .

وكثرة الصدقة تجلب سعة الرزق وتقضى الحاجات وتكون سبب الفوز والنجاح والشفاء ونيل المأمول .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال: خطَبَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أيُّها النَّاسُ تُوبوا إلى الله قَبلَ أن تموتوا وبادرُوا بالأعمالِ الصّالحةِ قبل أن تُشْغَلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربِّكُم بكثرةِ ذكْرِكم له وكثرةِ الصَّدقةِ في السرِّ والعلانيةِ تُرْزَقُوا وتُنصَرُوا وتُجْبَرُوا [١] .

والمتصدق يرغم بصدقته أنف الشيطان بل يغيظ بها سبعين شيطانا كلهم يحرصون علي عدم أدائها ويزينون له ترك التصدق . فعن بُريدةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يُخرِجُ رجلٌ شيئاً من الصدقةِ حتى يَفكَّ عنها لحْيَيْ سبعينَ شيطاناً [٢] .

وفي رواية عن أبي ذر موقوفا عليه قال : ما خرَجَت صدَقَةٌ حتّى يفَكَّ عنها لحَيَا سبْعِينَ شيطاناً كلُّهمْ ينهى عنها [٣] . « ترغيب ».

وجاء أن الصدقة تكفر فتنة الرجل في أهله وولده ومناولة المسكين تقى ميتة السّوء. ولذلك كان حارثة قد ذهب بصره فاتخذ خيطا في مصلاه إلى باب

---

(١) رواه ابن ماجه (ترغيب) ومعنى تجبروا : تجب دعوتكم وتغتنوا

(٢) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه البيهقى .

حجرته ووضع عنده إناءً فيه تمر فكان إذا جاءه المسكين فسلّم أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناولــه وكان أهلـه يقـولون : نحــن نكفيك فيـقول لهم مناولة المساكين تقى ميتة السوء .

والصـدقة يكتـب ثوابها قـبل أن تقع في يد المسكـين ، ولا تزال تتضـاعف وتزيد إلى مـا شـاء الله وهذا معنـي قوله إنَّ الرَّجُلَ إذا تَـصَدَّقَ فـإنَّهـا تَقَعُ فى يدِ الرَّحْمنِ ويُرَبِّيها حتَّى تَصِيرَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ .

والصدقة تطفئ عن صاحبها حر القبر

وعن عقـبة بن عـامر قـال : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : إن الصّـدقةَ لتُطْفِئُ عَنْ أهلِهـا حَرَّ القـبورِ وإنمـا يستظِلُّ المؤمنُ يومَ القـيامـةِ فى ظِلِّ صدقتِه .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفع بالصـدقة حر القبـور وذلك قبل يوم القيامـة وهذا دليل على أن منفعة الصـدقة تشمل العوالـم الثلاثـة: عالـم الدنيا وعالـم الآخرة وعالـم البرزخ .

والمتصـدق موعود بالخـير خيـرا زائدا وبالفضل فضـلا عائدا كمـا جاء فى الحديث القدسي يقول الحقُّ سبحـانه [يا عبدى أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ] متفق عليه . أى إن تنفق ينفق أى يوسع عليك ويخلف عوض مـا تنفقه . فعـبر عنه بالإنفاق على سبيل المشاكلة .

وجـاء عن النبى صلى الله عـليه وآلـه وسلم أنه قـال : « يا ابنَ آدمَ إنَّكَ إنْ تَبذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لكَ وأن تُمـسكَ شرٌّ لك ولا تُلامُ على كفافٍ وابْدَأْ بِمَنْ تعولُ واليدُ العُلْيا خيرٌ مِنَ الْيدِ السُّفْلى » رواه مسلم.

والمتصدق تتتابع عليه النعم الإلهية فعيشه رغيد وعمره سعيد وحاله حميد كما جاء في الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَثَلُ البخيلِ والمُنْفِق كمثل رجلين عليهما جُنّتان منْ حديد من ثدْيهما إلي تَراقيهما . فأما المُنْفِقُ فلا يُنْفِقُ إلاّ سبَغتْ أو وَفرتْ على جلْدِه حتّى تُخفىَ بَنانَه وتعفُوَ أثَره . وأمَا البخيلُ فلا يُريدُ أن ينفِقَ شيئاً إلا لزِمتْ كَلُّ حلَقةٍ مكَانَها فهُو يوسِّعُها فلا تتَّسِعُ[1] .

« الجنة » بضم الجيم : ما أجن المرء وستره والمراد به ههنا : الدرع . ومعنى الحديث: أن المنفق كلما أنفق طالت عليه ، وسبغت حتى تستر بنان رجليه ويديه ، والبخيل كلما أراد أن ينفق لزمت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع ، شبه صلى الله عليه وآله وسلم نعم الله تعالى ورزقه بالجُنة وفي رواية بالجُبَّة فالمنفقُ كلَّما أَنفقَ اتسعتْ عليه النِّعَمُ وسَبَغتْ ، ووَفَرَتْ حتى تسْتُره سَتْراً كاملاً شاملا والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشح والحرص وخوف النقص فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده وأن تتسع عليه النعم ولا تستر منه ما يروم ستره .

والمتصدق محسود يتمنى كل عاقل أن يبلغ رتبته وأن يحوز درجته . وفى هذا يتنافس المتنافسون ويسارع المجدون . وهذا أمر محمود لأنه في الخير قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا حسَدَ إلاّ في اثْنتَين : رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطَه على هلَكَتِه في الحقِّ ورجلٌ آتاه اللهُ حِكمةً فهو يقْضى بها ويعلِّمُها[2] .

ومعناه : ينبغى أن لا يُغْبَطَ أحدٌ إلا على إحدى هاتين الخصلتين ومعنى

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه .

قوله : سلطه على هلكته أي على إنفاقه .

وفي رواية (١). « لا حسدَ إلاّ فى اثْنَيْن » .

وفي رواية : عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :رجلٍ آتاه اللهُ القرآنَ فهـو يقومُ به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ ورجـلٍ آتاه اللهُ المال فهو ينْفِـقُهُ آناءَ الليل وآناءَ النَّهـارِ .

وفي رواية (٢) : لا حسدَ إلا في اثنتَين : رجلٍ علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يتْلوه آناءَ اللّيلِ وآناء النّهارِ فسمعه جارٌ له فقـال : لَيَتَني أُوتيتُ مثلَ ما أُوتىَ فلانٌ فعملْتُ مـثلَ ما يعـملُ . ورجلٍ آتاه الله مـالاً فـهو يُهْلِـكُهُ في الحقِّ فقـال رجلٌ : ليـتَني أوتِيْتُ مِثْلَ ما أُوتِىَ فلانٌ فعَملْتُ مثلَ ما يعْملُ .

ومن فضائل الصدقة أنها إذا كانت على ذوى الرحم فإن أجرها مضاعف ، وعن سلمـان بن عـامر رضى الله تـعالى عنه عـن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قال : الصَّدَقَةُ على المسكينِ صدقةٌ ، وعلى ذوى الرَّحمِ ثنْتانِ صدقةٌ وصِلَةٌ (٣) .

وعن أبى أمامـة رضى الله تعالى عنه قال قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنَّ الصَّدَقَةَ عَلى ذى قَرابَةٍ يُضَعَّفُ أَجْرُهَا مَرَّتَيْنِ (٤) .

---

(١) رواها أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر.

(٢) رواها أحمد والبخارى من حديث إبى هريرة.

(٣) رواه النسائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة,وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ولفظ ابن خزيمة قال : الصدقة للمسكين صدقة ، وعلى القريبِ صدقتانِ ، صدقة ، وصلة .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير من طريق عبيد الله بن زحر.

وإطعام الطعام خير خصال الإسلام

ومن الصدقة إطعام الطعام ، وهو خير خصال الإسلام لما جاء في الحديث أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ الإسلامِ خيرٌ ؟ قال : تُطْعِم الطعامَ ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على من عرفْتَ ومَنْ لم تعرِفْ[١] .

وهو من أرجى الأعمال المدخلة إلى الجنة ، يقول أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قلت يارسولَ الله : إنِّي إذا رأيتُك طابتْ نفسى ، وقرَّتْ عيني ، أنبِئْنى عن كلِّ شيء ، قال : كُلُّ شيء خُلق من الماء فقلتُ : أخبِرْنى بشيء إذا عملْتُه دَخلْتُ الجنةَ ، قال : أطعمْ الطعامَ ، وأفْشِ السَّلامَ ، وصِلِ الأرحامَ وصلِّ بالليلِ والناسُ نِيامٌ تدخُلِ الجَنَّةَ بسلامٍ[٢] .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اعبدُوا الرحمنَ ، وأطْعِموا الطعامَ وافشُوا السَّلامَ تدخُلوا الجنَّةَ بسلامٍ[٣] .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن في الجنة غُرَفاً يُرَى ظاهرُها منْ باطنها ، وباطنُها من ظاهرها . فقال أبو مالك الأشعريُّ : لِمَنْ هي يارسولَ اللهِ ؟ قال : لِمَنْ أطابَ الكلامَ ، وأَطْعَمَ الطعامَ ، وباتَ قائما والناسُ نِيامٌ[٤] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٢) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه واللفظ له . والحاكم وقال : صحيح الإسناد

(٣) رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن والحاكم . وقال صحيح على شرطهما

وإطعام الطعام : من الكَفَّاراتِ(١). ومن موجِباتِ الرحمة(٢). ومن موجباتِ المغفرة(٣).

وإن الله تعالى لَيُدْخِلُ بلُقْمة الخبز ، وقَبْضَة التَّمْر ومثله مما ينفعُ المسكينَ ثلاثةً الجنةَ : الآمِرَ به ، والزَّوجةَ المُصْلِحَةَ ، والخادمَ الذى يُناولُ المسكينَ(٤).

وأيُّما مؤمِن أطعَمَ مؤْمناً على جوعٍ أطْعَمَهُ اللهُ يومَ القيامة منْ ثمار الجنّة ، وأيُّما مؤمِن سقى مؤمناً على ظمَإٍ سقاه اللهُ يومَ القيامة منَ الرَّحيق المَخْتُومِ ، وأيُّما مؤمِن كسا مؤْمناً على عُرْيٍ كساه الله يومَ القيامةِ منْ حُلَلِ الجنة(٥).

وإن الله تعالى يُباهي ملائكَتَهُ بالذين يُطْعِمون الطعامَ من عبيده(٦).

والمطعمون لهم باب في الجنة لا يدخل منه سواهم ، فقد روي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أطْعَمَ مؤمناً حتي يُشْبِعَه من سَغَبٍ أدْخَلَه اللهُ باباً من أبوابِ الجنةِ لا يدْخُله إلا منْ كان مِثْلَه(٧).

والمطعمون تحت ظل العرش يوم القيامة، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أظلَّه اللهُ عزَّ وجل تحتَ عرشِه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظلُّه : الوُضوءُ فى

---

(١) حديث مرفوع رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٢) حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه .

(٣) حديث مرفوع رواه البيهقى متصلا ومرسلا.

(٤) حديث مرفوع رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم.

(٥) حديث مرفوع رواه الترمذى وقال حديث غريب .

(٦) حديث مرفوع رواه أبو الشيخ فى الثواب مرسلا.

(٧) رواه الطبرانى فى الكبير .

المَكارِهِ ، والمشْيُ إلى المساجدِ في الظُّلَمِ ، وإطعامُ الجائعِ [١].

وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم عن قصَّة عابد من بني إسرائيل اعتزل لعبادة الله ستين سنة ، ثم خرج يوما من صومعته فلقيتْه امرأةٌ فراودتّه حتى قضى حاجتَه منها ، ثم ندِم على ما فعَل حتى أُغْمِيَ عليه ، وكان معه رغيفان فجاء سائل جائع فأعطاه العابدُ الرغيفَين ، ثم مات فَوزنتْ عبادةُ ستين سنةً بتلك الفاحشةِ فرَجحتْ الفاحشةُ بحسناتِه ثم وُضِع الرغيفُ أو الرغيفانِ مع حسناتِه فرَجَحَتْ حسناتُه فغفِر له [٢].

وتنال المرأة أجر الصدقة إذا أنفقت من بيت زوجها من غير إسراف مما لا يخفى على زوجها عادة .

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أَنْفَقَتْ المرأةُ من طعامِ بيتِها غيرَ مُفْسدة كان لها أجرُها بما أَنْفَقَتْ ، ولزوجها أجرُه بما اكْتسَب وللخادمِ مثلُ ذلك لا يَنْقُصُ بعضُهم من أجرِ بعضٍ شيئاً [٣].

وفي رواية: إذا تصدَّقت المرأةُ من بيتِ زوجِها كان لها أجرُها ولِزوجِها مثلُ ذلك لا ينقُص كلُّ واحدٍ منهما من أجرِ صاحبِه شيئاً ، له بما كسَب ولها بما أنْفَقت [٤].

ومن فضائل الإكرام والتصدق بالطعام والشراب أن الله تعالى يكرم المطعم لأجل من أطعمه ، ويشفعه فيه بعد أن يصير مستحقا للنار.

---

(١) رواه أبو الشيخ فى الثواب وأبو القاسم الأصبهانى .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له . وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

ويحدثنا صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه المنقبة في هذه القصة التي تمثِّل رجلا عـابداً وآخر مُسْرِفًـا على نفسه سلَكا صـحراء فعطش العابدُ حـتى سقط ، فجـعل صاحبهُ ينظـر إليه ، وهو صريعٌ فقـال: والله إن مات هذاالعبـد الصالح عطَشاً ومعي ماء لا أُصـيبُ من الله خيراً أبداً ، ولئن سقيْتهُ مـائي لأموتنّ فتوكَّلَ علي الله وعزم فـرشَّ عليه من مائه وسقاه فـضلَه ، فقام فقَطع المَفَازَةَ فيوقف الذي به رهَقٌ للحسـاب فيؤمر به إلى النار فـتسوقه الملائكـة فـيرى العابدَ ، فيـقول يا فلان : أمـا تعرفُنى فـيقول : ومَنْ أنتَ ؟ فـيقول : أنا فـلانٌ الذي آثرتُك على نفسي يومَ المفـازة فيقـول بلى أعرِفُك ، فيقـول للملائكة : قفوا فيـقفون فيجىءُ حتى يَقفَ فـيدْعو ربَّه عـز وجل ، فيقـول ياربّ : قدْ عَـرفتَ يدَه عندي ، وكيـف آثَرني علَى نفْسهِ ، ياربِّ هَبْهُ لى . فيقول هو لكَ فيجىءُ فيأْخُذُ بيِد أخيه فيُدْخلُه الجنةَ[١] .

قوله المفازة : أى الصحراء .

وفي رواية: عن ثابت البـناني عن أنس رضى الله تعـالى عنه عن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلـم أن رجلاً من أهـلِ الجنة يُشْرِفُ يومَ القـيامـةِ علي أهلِ النار ، فُيناديه رجلٌ من أهلِ النار فيقول يا فـلان : هل تعرِفُني ؟ فيقول : لا ، والله ما أعْرِفُك مَنْ أنتَ؟ فيقول: أنا الذي مررْتَ بي في الدنيا فاستَسْقَيْتَني شَرْبَةً من ماء فسـقَيْتُك ؟ قال: قد عرفْتُ قـال : فاشْفَعْ لي بها عند ربك . قال : فـيسأَلُ الله تعالى جلَّ ذكْرُه ، فيقول إنِّي أشرَفْتُ على النار فناداني رجلٌ من أهلها ، فقال لي : هل تعرِفُني ؟ قلتُ : لا ، والله ما أعـرفُكَ مَنْ أنت ؟ قال : أنا الَّذى مررتَ بي فى الدنيا فاستَسْقيتَني شَرْبةً من ماء فسقَيْتُكَ فاشفَع لي عند ربِّك فشفِّعْنى فيه فيُشَفِّعه اللهُ فيأْمُرُ به فيخْرُجُ من النارِ[٢] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

قوله : يشرف يوم القيامة على أهل النار . أى يَطَّلع

ومن فضائل إطعام الطعام وسقى الظمآن أنه يغني عن كثير من الأعمال التي قد عجز عنها الإنسان لثقلها .

فقد جاء : أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أخبِرْني بعمل يقربُني من الجنة ، ويباعدُني من النار ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أَوَهُماً أَعْملَتَاك؟ قال : نعَمْ . قال : تقولُ العدْلَ وتُعْطى الفضْلَ قال : والله لا أستطيعُ أَنْ أقولَ العدلَ كلَّ ساعة ، وما أستطيعُ أن أُعْطِىَ الفضلَ. قال : فتطْعمُ الطعامَ. وتُفْشى السلامَ قال: هذه أيضاً شديدة قال : فهل لك إبلٌ؟ قال : نعَمْ . قال : فانظُرْ إلي بعير من إبلك وسقاء، ثم اعْمَدْ إلى أهلِ بيت لا يشْرَبون الماءَ إلاّ غبّاً فاسْقهمْ فلعلَّك لا يهلكُ بعيرُك ولا ينْخرقُ سقاؤك حتى تجبَ لك الجنّةُ . قال : فانطَلقَ الأعرابيُّ يكبِّرُ فما انْخرَقَ سقاؤُه ، ولا هلَكَ بعيرُه حتي قُتل شهيداً[٢] .

وفي رواية : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أتي النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ فقال: ما عَمَلٌ إن عملْتُ به دخلتُ الجنةَ . قال أنت ببلد يُجْلَبُ له الماءُ؟ قال : نعم قال : فاشْترِ بها سقاءً جديداً. ثم اسْقِ فيها حتى تَخْرِقَها فإنك لن تخرِقَها حتي تبلُغَ بها عمل الجَنة[٣] .

بل إن الإنسان لينال الثواب العظيم والأجر الكريم إذا سقي بعير غيره.

فقد جاء في الحديث : أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى وابن خزيمة فى صحيحه مختصراً .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .

وسلم فقال : إني أنزِعُ في حوضي حتي إذا ملأْتُه لإبلي وردَ عليَّ البعيرُ لغيري فسقيتُ ، فهل في ذلك من أجرٍ ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : في كلِّ ذاتِ كبدٍ أَجْرٌ"(١) .

وفي رواية أن سراقة بن جعشم قال يارسول الله : الضالة تَردُ على حوضي فهل لي فيها من أجرٍ إن سقيتُها . قال : اسْقِهَا فإنَّ في كلِّ ذاتِ كبدٍ حرّا أجراً(٢) .

قوله : أنزع . أى أقاسى شدائد ملئه واتعب .

وقد شكر الله تعالى للرجل لما سقي الكلب ، وغفر له ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينما رجلٌ يمشى بطريق اشتدَّ عليه الحَرُّ فَوجدَ بئراً ، فنزلَ فيها فشرِب ، ثم خرجَ فإذا كلبٌ يَلْهَثُ يأكلُ الثَّري من العطَشِ ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطَش مثلُ الذي كان منِّي ، فنزل البئْر فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أمسَكَه بفِيه حتي رَقِيَ فسقى الكلبَ ، فشكرَ اللهُ له . فغفَر له. قالوا يارسول الله إن لنا فى البهائم أجرًا؟ فقال : في كلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجرٌ(٣). وسقْى الماءِ هو أعظمُ الصدقاتِ أجراً(٤) .

وهو باق جار ينفع الميت في قبره . قال صلى الله عليه وآله وسلم : سبْعٌ تجرى للعبدِ بعدَ موته وهو في قبرِه : من علَّم علْماً ، أو كَرَى نهْراً ، أو حفَر بئراً ، أو غرسَ نخلاً ، أو بَنى مسجداً ، أو ورَّث مصحفاً ، أو تركَ ولداً يستغفِرُ

---

(١) رواه أحمد

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه وابن ماجه والبيهقى .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبوداود وابن حبان فى صحيحه .

(٤) حديث مرفوع رواه البيهقى .

له بعدَ موتِه[(١)] .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لسعد. لما سأله عما يتصدق به عن أمه . فقال عليكَ بالماءِ[(٢)] .

ويؤكد صلى الله عليه وآله وسلم فضل سقى الماء بحفر الآبار وتيسير إيصاله إلي من لا يستطيع ، والإعانة عليه بقوله : من حفَر ماءً لم تَشرَبْ منه كبِدٌ حَرَّى من جنّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ إلاّ أجرَه اللهُ يومَ القيامةِ[(٣)] .

ونفع الناس بالماء من أعظم سبل التداوى ومن أجل طرق دفع البلاء ، وإزالة الأسقام .

فعن على بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك ، وسأله رجل : يا أبا عبد الرحمن: قرحة خرجت في ركبتى منذ سبع سنين ، وقد عالجتُ بأنواع العلاج . وسألتُ الأطبّاءَ فلم أنتفعْ به ؟ قال : اذهَبْ فانظُرْ موضعاً يحْتاجُ الناسُ الماءَ فاحفرْ هناكَ بئراً فإنى أرجو أن تنبُعَ هناك عينٌ ، ويُمْسَكَ عنك الدَّمُ ، ففعل الرجلُ فبَرِىءَ[(٤)] .

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم فى الحلية .

(٢) حديث مرفوع رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه البخارى فى تاريخه وابن خزيمة فى صحيحه .

(٤) رواه البيهقى .

فضل القرض وإنظار المعسر

ومن الشرف الذى أعده الله لهذه الأمة ما جعله الله سبحانه وتعالي من الفضل والثواب على القرض.

فمن ذلك أن القرض كعتق رقبة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ مَنَحَ مَنِيحةَ لبنٍ أو وَرِقٍ أو هدَى زُقاقاً كانَ لَه مِثْلُ عِتْقِ رقبةٍ [(١)] .

ومعني قوله : منح منيحة ورق . إنما يعني به قرض الدرهم ، وقوله : أو هدي زقاقا : إنما يعني به هداية الطريق ، وهو إرشاد السبيل. ومنيحة اللبن : أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زمانا ثم يردها .

والقرض : صدقة [(٢)] ، وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى ليلة الإسراء والمعراج مكتوبا علي باب الجنة : الصَّدَقَةُ بعشْرِ أمْثالِها والقَرْضُ بثمانيةَ عشرَ [(٣)] .

وذلك لأن الصدقة قد يأخذها الفقير وهو غير محتاج لها أما القرض فإنه لايكون إلا مع الضرورة والحاجة ، ولذلك كان أجر المقرض عظيما ، لإزلة هذا العسر الطارئ . ولهذا كان يؤكد صلى الله عليه وآله وسلم فضل القرض بقوله: ما مِنْ مسْلمٍ يُقْرِضُ مُسْلما قَرْضاً مرَّةً إلاَّ كان كَصَدَقَتِهَا مرَّتَينِ [(٤)] .

---

(١) رواه أحمد والترمذى ، واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٢) هو حديث مرفوع رواه الطبرانى بإسناد حسن .

(٣) رواه الطبرانى والبيهقى .

(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى مرفوعا وموقوفا .

والقرض تيسير علي المعسر وتفريج لكربته وقضاءٌ لحاجته ، ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مَنْ يسرَّ على مُعْسرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرَة [١].

ويقول : مَنْ نَفس عَنْ مُسْلم كُرْبَةً مِنْ كُرب الدُّنْيا نَفَّس اللهُ عَنْه كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامةِ ، ومن يسَّر عَلَى مُعْسرٍ يسَّر اللهُ عليه فى الدنيا والآخرة [٢].

وفي رواية : مَنْ فَرَّج عن مسلْم كُرْبَةً جعل اللهُ تعالى لَهُ يوْمَ القيامة شُعْبَتَين مِنْ نورٍ على الصِّراطِ يَسْتَضِيءُ بِضَوْئَيْهِما عالَمٌ لا يُحْصِيهِم إلاَّ ربُّ العِزَّةِ [٣].

ومعني شعبتين : أى قطعتين من ضوء وهاج .

وقد جاء فى فضل إنظارالمعسر أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فمنها : أنه تحت ظل العرش يوم القيامة ، قال صلى الله : مَنْ أَنْظَر مُعْسراً أو وَضَع له أَظَلَّهُ اللهُ يوم القيامةِ تحتَ ظِلِّ عرشِه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه [٤].

وفي رواية : مَنْ أَنْظَر مُعْسِراً أو وَضَع له أَظَلَّه الله فى ظِلِّه [٥].

ومعنى وضع له : أي أبرأ ذمته وسامحه .

وفى رواية : عن أبي اليسر رضى الله تعالى عنه قال :أشْهَدُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسمعته يقول : إن أوّلَ النَّاسِ يَسْتَظِلُّ في ظلِّ الله يومَ القيامةِ لَرجُلٌ أَنْظَرَ مُعْسِراً حتَّى يَجِدَ شيْئاً أو تَصَدَّقَ عليه بما يَطْلُبه يقولُ : مالي

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو غريب .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه ابن ماجة واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

عليكَ صدَقَةٌ ابْتِغَاءَ وجْهِ اللهِ ، ويَخْرِقُ صَحِيفتَه[١] .

قوله : ويخرق صحيفته أي يقطع العهدة التى عليه .

ومنها : أنه تستجاب دعوته وتكشف كربته ، ولا يكتب عليه ذنب حتى يتوب ، ويقيه الله تعالى من فيح جهنم . وكان له كلَّ يوم مثليْ دينه صدقة . وهذا كله جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقد قال : مَنْ أرادَ أنْ تُسْتَجابَ دَعْوتُه وتُكْشفَ كُرْبتُه فَلْيُفرِّجْ عن معْسِرٍ[٢] .

وقال : مَنْ أنْظرَ مُعْسِراً إلى مَيْسَرتِه أنْظَره اللهُ بذنْبه إلى توْبته[٣] .

وقال : مَنْ أنْظرَ مُعْسِراً أو وضع له ، وَقاهُ اللهُ مِنْ فيحِ جهنَّم[٤] .

وفي رواية : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد وهو يقول : أَيّكُم يسُرُّه أن يقيَه الله عزّ وجلّ منْ فيحِ جهنَّمَ؟ قلنا : يارسول الله كلنا يسرّه . قال : من أنظَرَ معسراً أو وضَعَ له وَقاهُ الله عز وجل مِنْ فيحِ جهنَّمَ[٥] .

وقال : مَنْ أنْظَر مُعْسِراً فلَهُ كلَّ يومٍ صدقةٌ قبلَ أن يَحُلَّ الدَّينُ . فإذا حلَّ الدَّينُ فأنظرَه بعدَ ذلكَ فلَهُ كلَّ يومٍ مثْلَيه صَدَقَةٌ[٦] .

وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل ممن كان قبلنا من المسرفين علي أنفسهم تجاوز الله عنه وسامحه ، لأنه كان يسامح الناس ، ويتجاوز عن دَينهم ، ويصبر عليهم ، فأكرمه الله سبحانه وتعالى ، وأدخله الجنة .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٤) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا فى اصطناع المعروف .

(٦) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ رجُلا لم يْعَملْ خيراً قط، وكان يُداينُ النّاسَ ، فيقولُ لرسوله خُذْ ما تَيَسَّرَ ، واتْرُكْ ما عسُرَ وتَجاوزْ لعلَّ الله يَتجاوزُعنَّا فلما هلك ، قال اللهُ لهَ : هل عملْتَ خيراً قطُّ ؟ قال: لا إلاّ أنّه كان لي غلامٌ ، وكنتُ أُداينُ النّاسَ ، فإذا بعثْتُه يَتقاضى قلتُ له : خُذْ ما تَيسَّر واتْرُكْ ما عَسُرَ وتجاوَزْ لعَلّ الله يتجاوَزُ عنّا . قال الله تعالى : قَدْ تَجاوزْتُ عنْك[١] .وفي رواية : أن الله سبحانه وتعالى يقول : نحنُ أحقُّ بذلكَ تجاوَزُوا عنه [٢] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

فضل العفة وشرف الاستغناء عن الناس

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الفضل لِمن صبر علي حاله ، وكفّ نفسه عن الحرام ، وقنع باليسير من العطاء ، وتعفّف عن سؤال الناس ، وأقبل على العمل مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال سول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من نزلتْ به فاقةٌ فَأَنْزَلَها بالنّاسِ لم تُسَدَّ فاقَتُه ومَنْ نَزلتْ به فاقة فأنزلَها باللهِ فيوشكُ اللهُ له برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ[١].

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ جاعَ أو احْتاجَ فكَتَمه النّاسَ وأفْضى به إلى اللهِ تعالى كان حقّاً عَلى اللهِ أنْ يَفْتَحَ له قُوتَ سنةٍ مِنْ حلالٍ[٢].

وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن ما يأتي إلى الإنسان من غير شره وحرص فهو مبارَك .

فعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنَّ هذا المالَ خَضرةٌ حُلْوةٌ فمَنْ أَعْطَيناه منها شيئاً بطيبِ نفْسٍ منا ، وحُسْنِ طَعْمة منْه من غيرِ شرَهِ نفْسٍ بوركَ له فيه . ومن أَعْطَيناه منها شيئاً بغيرِ طيبِ نفسٍ مناً وحُسْنِ طَعْمةٍ منه وشرَهِ نفْسٍ كانَ غيرَ مبارَك له فيه[٣].

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال حديث حسن صحيح ثابت، والحاكم وقال : صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه : أرسل الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى أجل . ومعنى يوشك : يسرع .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه وروى أحمد والبزارمنه الشطر الأخير نحوه بإسناد حسن. =

وفي رواية لمسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنَّما أنا خازنٌ ، فمن أعطَيْتُه عَنْ طيبِ نفس فمُباركٌ له فيه ، ومن أعْطَيتُه عن مسْألةٍ وشَرَهِ نفْسٍ كان كالَّذِي يأكُلُ ولاَ يشْبَعُ .

وأخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أن المتعفف محبوب عند الله سبحانه وتعالى .

فعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يؤْمنُ عبدٌ حتي يأمَنَ جارُه بَوائقَه ، ومن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيُكرِمْ ضيفَه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقُلْ خيراً أو ليسكُتْ ، إن الله يُحِبُّ الغنيَّ الحليمَ المتعفِّفَ . ويُبْغضُ البذِيَّ الفاجِرَ السائلَ المُلِحَّ[1] .

قوله « بوائقه » مهلاكاته وضرره ، وقوله « البذي » قبيح اللسان وقوله « السائل » أي كثير السؤال .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عُرِض عليَّ أوّلُ ثلاثة يدْخُلونَ الجَنَّةَ ، وأوّلُ ثلاثة يدخلون النّارَ ، فأَمّا أولُ ثلاثة يدْخُلونَ الجَنَّةَ فالشَّهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أَحْسَنَ عبادةَ ربِّه ونَصحَ لسيِّدِه وعفيفٌ متَعفِّفٌ ذو عيالٍ[2] .

قوله : نصح لسيده ، أي أدى حقوق الله وحقوق سيده وحفظ ماله ورعى الأمانة . وقوله : ذو عيال . أي له أسرة ينفق عليها وأهل وأولاد ، وجد في عمل وقنع برزق الله له، وجاء في الأدعية المأثورة : اللهم أسأَلُكَ العِفَّةَ والغِنى .

= ومعنى (الشره) الحرص .

(١) رواه البزار .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

والمتعفف يده عُليا كما جاء في الحديث : اليدُ العُليا خيرٌ مِنَ اليد السُّفْلى [(١)] .

قال عبد الوارث : اليد العليا المتعففه .

والمتعفف المستغنى بالله القانع بما أعطاه مولاه يرضاه الله ويفتح له باب رحمته ويرزقه الله الغنى والسعادة ويملأ قلبه إيمانا وقناعة . قال صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنه الله ، ومَنْ يَقْنَعْ يُقَنِّعْه اللهُ [(٢)] .

وفي رواية : ومَنِ اسْتعفَّ يُعفَّه اللهُ ، ومن يَتصَبَّر يُصَبِّرْهُ اللهُ وما أَعْطى اللهُ أحداً عطاءً هو خيْرٌ له ، وأوسَعُ من الصَّبرِ [(٣)] . قوله : من يتصبر . أي يعالج فى الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا ، وقوله : يصبره الله . أي يرزقه الله الصبر وقال بعضهم : من يطلب العفة عن السؤال ولم يظهر الفقر يصيره الله عفيفا . ومن ترقى وأظهر الاستغناء عن الخلق ملأ الله قلبه غنى .

وقد بشر صلى الله عليه وآله وسلم القانع بالجنة فقال : طُوبى لِمَنْ هُدِيَ للإسلام وكان عيشُه كَفافاً وقَنِعَ [(٤)] . والكفاف من الرزق ما كف عن السؤال مع القناعة .

« وطوبي » ' هى شجرة كبيرة فى الجنة ، وقيل : اسم من أسماء الجنة.

كما بشر صلى الله عليه وآله وسلم من قنع بالفلاح فقال: قد أفلح مَنْ أسْلَمَ وَرُزِقَ كَفافاً وقنَّعهُ الله بما آتاه [(٥)] .

---

(١) رواه مالك والبخارى .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .

(٥) رواه مسلم والترمذى .

ولذلك لم تكن كثرة المال هى مقياس القناعة ، ولا قلته هي مقياس الفقر ، ومن هنا يقول أبو ذر رضى الله تعالى عنه : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا ذَرٍّ : أتَرى كثْرةَ المالِ هو الغنى؟ قلتُ : نَعم يارسول الله . قال : أفترى قلَّةَ المال هو الفقْرَ؟ قلت : نعمْ يارسولَ الله . قال : إنَّما الغنى غِنى القلْب والفقْرُ فقْرُ القَلْبِ [١] .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليس الْغِنى عَنْ كَثْرةِ العَرَضِ ولكنَّ الغنى غنى النَّفْسِ [٢] .

ويخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أن عز المؤمن هو استغناؤه عن الناس [٣] ، وقد استعاذ صلى الله عليه وآله وسلم من النفس التى لا تشبع [٤] . وأخبرنا أن مَنْ أصبحَ آمِناً في سِرْبِه مُعافًى فى بدنِه فكأنَّما حِيزتْ له الدُّنْيا بِحَذافيرِها . أي فكأنما أعطى الدنيا بأسرها .

أما ما يأتي من غير سؤال فهو خير وبركة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب : فأمَّا ما كان عنْ غيرِ مسألةٍ فإنَّما هو رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ [٥] .

وقال لعائشةَ : يا عائشةُ مَنْ أعْطاكِ عطاءً من غير مسألة فاقبَليه ، فانَّما هُو رِزْقٌ عَرَضه اللهُ إليكِ [٦] .

وقال لخالد بن علي الجهني في هذا الباب : فإنما هو رزقٌ ساقَه اللهُ عزّ وجل

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بسند حسن.

(٤) كما جاء فى الحديث: اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم وغيره.

(٥) رواه مالك

(٦) رواه أحمد والبيهقى .

إليك [١].

ولا يظن الآخذ المحتاج المستحق بأنه مذموم مطرودٌ أو ناقص. فقد بشره صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : ما المُعْطى مِنْ سَعَةٍ بأفضلَ من الآخِذِ إذا كان مُحْتاجاً [٢].

وروي عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما الَّذى يُعْطى بسَعَةٍ بأعْظَمَ أجْراً من الَّذى يَقْبَلُ إذا كان محتاجا [٣].

أي ليس المتصدق من مال وفير وخيرات كثيرة أفضل عند الله من الفقير الذى يقبل الصدقة لله معتمداً على مولاه حامدًا وشاكـراً لله فإن الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره وأراد للثاني الفقر ليختبره سبحانه ، فعله لحكمة ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾٢٧ سورة الشوري﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ٢٨ سورة الشورى.

---

(١) رواه احمد بإسناد صحيح .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن حبان فى الضعفاء.

شرف الأمانة والوفاء بالوعد

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب والفضل لمن أنجز الوعد والأمانة .

فمن ذلك أنه مضمون له الجنة . كما جاء في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اضْمَنُوا لي ثلاثة أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ أُصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وأَدُّوا إِذَا ائتُمِنْتُمْ (١) . الحديث .

ومما يدل على شرف الأمانة وفضلها والوفاء بالوعد ماجاء من التحذير الشديد عن الخيانة وخلف الوعد كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا إِيْمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ (٢) .

وفي رواية عن على من حديث طويل : إنه لا دِيْن لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا صَلاةَ لهُ وَلا زَكَاةَ لَهُ (٣) .

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم : آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ ، إِذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ (٤) .

ورواه أبو يعلى من حديث أنس أنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وإن صَامَ وصلَّى وحجَّ واعْتَمَرَ

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر.

(٣) رواه البزار.

(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

وقالَ إنِّى مُسْلِمٌ ، الحديثَ .

وكـقـوله صلى الله عليـه وآله وسلـم : إذا جَـمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ والآخِـرِيْنِ يومَ القيامةِ يَرْفَعُ لكلِّ غادرٍ لواءً فقيل : هذه غَدْرَةُ فلانِ ابنِ فلان [١] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

فضل اصطناع المعروف إلى المسلمين
وقضاء حوائج الملهوفين

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى لها من الفضائل العظيمة والمزايا الكريمة لمن صنع المعروف ، وأغاث الملهوفين ، وسعى في قضاء حوائج الخلق ، ومنفعة إخوانه ، واجتهد في تفريج كرباتهم ، وستر عيوبهم، والشفاعة لهم ، وإدخال السرور عليهم ، وإجابة دعوتهم ، وعيادة مريضهم والذَّب عن أعراضهم ، ونصر مظلومهم، ورحمة ضعيفهم ، وإقالة عثرتهم والسعي في الإصلاح بينهم .

وكل هذه المعاني مؤيدة بالأحاديث النبوية والآثار السنية الواردة عن كبار الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وقد جمع في ذلك الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري أربعين حديثاً نذكر بعضها مع بيان بعض معانيها ، ونزيد عليها بعض ماظفرنا به .

فمن ذلك أن الساعي فى نفع المسلمين هو أحب الخلق إلى الله لما جاء فى الأحاديث .

١) عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الخَلْقُ عِيالُ الله فَأَحَبُّ خَلْقه إِلَيْه أَنْفَعُهُمّ لِعِيالِه »[(١)].

ومعنى عيال الله فقراء الله . فالخلقُ كلهم فقراء الله وهو الذي يعولهم ، ويشهد لهذا الحديث ما جاء في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضى الله

(١) رواه البزار والطبرانى فى معجمه

تعالي عنهـما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنـه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

٢) ومن ذلك ــ أنه من الآمنين من عذاب الله يوم القيامة.

لما جاء في الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعاً: « إنَّ لله عَزَّ وجلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ إِلَيهِمْ النَّاسُ فِي حَوائِجِهِمْ أولئكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذابِ الله تعالى »(١).

٣) ومن ذلك ــ أنه يوضع له منبر من نور يوم القيامة .

كما روي في الحديث عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزنى عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إنَّ لله عباداً خَلَقَهُمْ لِحوائج الناس آلى « حَلَفَ » عَلى نَفْسه ألاّ يُعَذِّبَهُمْ بالنَّار . فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ وُضِعَتْ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُوْرٍ يُحَدِّثُونَ الله تَعَالى والنَّاسُ في الحسَاب »(٢).

وفي رواية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ لله مِنْ خَلْقه وَجُوْهاً خَلَقَهُمْ لحوَائِجِ النّاسِ يَرْغَبُوْنَ فى الآخِرَةِ ، ويَعُدُّوْنَ الجُودَ مَتْجَراً واللهُ يُحِبُّ مَكارِمَ الأخلاَقِ ».

ومن ذلك ــ أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يقف عند ميزانه فإن رجح وإلاَّ شفع له(٣).

ومن ذلك ــ أن الله يغفر له ذنبه ، ويكتب له براءتين ، براءة من النفاق ،

---

(١) رواه الطبرانى ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه ابن حبان فى غير صحيحه.

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية .

وبراءة من النار [١].

ومن ذلك ــ أن الله يعينه علي إجازة الصراط يوم دحض الأقدام كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« مَنْ كَانَ وُصْلَةً لأخيه الْمُسْلِمِ إلىَ ذي سُلْطَانٍ فِى مَنْفَعَةِ بِرٍّ أوْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ أَعَانَهُ اللهُ عَلى إِجَازَةِ الصِّراطِ يَوْمَ دَحْضِ الأقْدَامِ » .

ومن ذلك ــ أن من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة ، واحدة منها يصلح الله بها آخرته ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة [٢].

وفي رواية : كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة .

ومن ذلك ــ « أن من فرَّج عن مؤمن كُرْبَةً جعل الله له شُعْلَتَيْنِ منْ نورٍ يَسْتَضِيْءُ بهما عَالَمٌ لا يُحْصِيهِ إلا ربُّ العزةً » [٣].

ومن ذلك ــ أن من فرج عن مؤمن كربة فرج الله له كربة من كرب يوم القيامة .

كما جاء في الحديث عن مسلمة بن مخلد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ الله عزّ وجل في الدنيا والآخرَة ، ومَنْ فَكَّ عَنْ مَكْرُوْبٍ فَكَّ اللهُ عز وَجلَّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَنْ كَان في حَاجةِ

---

(١) رواه المنذرى فى الأربعين.

(٢) رواه أبو يعلى والبزار والبيهقى فى تاريخه وبشواهده فى الباب يصير صالحاً .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.

أخيهِ كانَ الله في حَاجَتهِ » [١] .

ومن ذلك ــ أن الله يباعد بينه وبين النار سبعة خنادق .

ومن ذلك ــ أنه يكون له من الأجر كمن خدم الله عمره .

ومن ذلك ــ أنه يكون له ثواب المجاهدين في سبيل الله ، وأن له بكل خطوة يخطوها سبعين حسنة ، وكفر عنه سبعين سيئة . فإن قُضِيَتْ حاجتهُ على يديه خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمه ، فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب .

ومن ذلك ــ أنه يُظِلُّه خمسةٌ وسبعون ألفَ مَلكٍ يَدْعُونَ له ويُصَلُّون عليه.

ومن ذلك ــ أن إدخال السرور علي المسلم من موجبات المغفرة وهو من أفضل الأعمال وأن الله يستره يوم القيامة ولا يرضى له ثواباً دون الجنة .

ومن ذلك ــ أن فعل المعروف هو أفضل الصدقات .

كما جاء في الحديث عن سَمُرَة بن جُنْدُب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

{ أَفْضلُ الصَّدقَة صدقَةُ اللِّسان ، قيل يارسولَ الله وما صدقةُ اللسان؟ قال : الشفاعةُ تَفُكُّ بهَا الأسيرَ وتَحْقِنُ بها الدَّمَ وتَجُرُّ بها المعروفَ إلي أخيكَ وتَدْفَعُ عنه كريهَتَه [١] } .

ويشهد لهذا الحديث ما جاء في اصطناع المعروف للخرائطى عن سمرة بن

---

(١) رواه الطبرانى وروى مسلم معناه .

(٢) رواه الطبرانى فى المكارم .

جندب مرفوعاً :

ما منْ صدَقَة أفضَلُ من صدقة اللسان، قال وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال: الشفاعةُ تَحقنُ بها الدَّمَ وتجرُّ بها المعروفَ إلَى آخَرَ وتدْفَعُ بها المكْرُوهَ عن آخرَ.

ومن ذلك ــ أن من أقال مسلما عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة [1] . .

ومن ذلك ــ أن أهل المعروف هم مفاتيح الخير فطوبي لهم وحسن مآب .. جاء في الحديث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

[قال الله عزَّ وجلَّ : أنا اللهُ قدَّرْتُ الخيرَ والشَّرَّ فطُوْبى لِمَنْ جَعَلْتُ مفاتيْحَ الخَيْرِ على يَدَيْه ، ووَيْلٌ لِمَنْ جعَلْتُ مفاتِيْحَ الشَّرِّ على يديْه [2]]

[قال في سنن ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه مرفوعاً :

[إنَّ هذا الخيْرَ خزَائنُ . لتلْكَ الخزَائن مَفاتيْحُ ، فطُوْبى لِعَبْد جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيرِ مِغْلاَقاً لِلشَّرِّ ، ووَيْلٌ لعبدٍ جعلَهُ اللهُ مِغْلاقا للخيرِ مِفْتَاحاً للشرِّ].

ومن ذلك أن صنائع المعروف تحفظ العبد من الآفات والعوارض وتدفع عنه الشر والبلاء .

جاء في الحديث عن معاوية بن حيدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وإنَّ صَنَائعَ المَعْرُوْف تَقى مصارِعَ السُّوء. وإن صِلةَ الرَّحِمِ تزَيْدُ في العُمُرِ وتَنْفى الفَقْرَ وأكْثِرْ من قول:

---

(١) رواه ابن حبان والطبرانى وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه الطبرانى .

« لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ » فَإِنَّهَا كنْزٌ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ وإنّ فيها شِفَاءً من كلِّ داءٍ أدْناها الهَمُّ [(١)].

ومن ذلك ــ أن إصلاح ذات البين أفضل من نوافل الصيام والصلاة والصدقة [(٢)].

ومن ذلك ــ أن الله سبحانه وتعالى ينشر له يوم القيامة ذكراً على رؤوس الأشهاد يشهده الخاص والعام .

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُنادى مُنَاد يومَ القيامة : لا يَقُومُ اليومَ أَحَدٌ إلا من له عنْدَ الله يَدٌ ، فَتَقُولُ الخَلائقُ سُبحَانَكَ بَلْ لَكَ الْيَدُ ، فَيَقُولُ ذلكَ مراراً ، فيقولُ : بَلَى مَنْ عفَا فِي الدُّنْيَا بعدَ قُدْرَةٍ » [(٣)].

وجاء في مكارم الأخلاق للطبراني عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً :

« إذا وَقَفَ العبدُ للحساب ينادي مناد: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلى الله : فيُقالُ وَمَنْ أجْرُهُ على الله ؟ فيقولُ العافون عَنِ الناسِ ، فقامَ كذا وكذا فدَخَلُوهَا بِغيرِ حسابٍ » .

فهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو دون ذلك ، وبِعضها يجبر بعضا وهي كلها تدل على فضل المعروف والإحسان ، وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى تركناها واقتصرنا على هذه ، وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

فضل مكافأة صاحب المعروف والإحسان

الإســـلام دين الوفــاء :

ومن فـضائل هذه الأمـة أن الإسلام يغـرس فى قلوب أبنائه الوفاء وحـفظ الجميل ومـعرفته لأصـحابه، وذلك بشكرهم والدعاء لهم ، والإقـرار بالاعتراف بفضلهم.

وقد أمـرنا بذلك صلى الله عليـه وآله وسلم فقـال : مَنْ أتى إليكم معـروفاً فكافِئُوه ، فَإِنْ لم تجدوا فَادْعُوا لَه حَتَّى تَعْلموا أنْ قَدْ كافأتموه » (١).

وفى رواية : « مَنْ اصْطَنَع إليكم معروفا فَجازُوه ، فإنْ عَجزتم عن مُجازاتِه فادْعوا له حَتى تعلموا أنْ قَدْ شكرتم ، فإن الله شاكرٌ يُحبُ الشاكرين » (٢).

وفى رواية : « من أُعطِي عَطاءً فوجَدَ فليجْزِ به ، فإن لم يجدْ فليُثْنِ ، فإنّ مَنْ أثْنَى فـقد شكَرَ ، ومن كَـتم فقـد كفـر ، ومن تَحلّى بما لم يعطَ كان كـلابِسِ ثوبَىْ زُورٍ» (٣).

وفي رواية : « من أُولِيَ معروفـاً، أو أُسْدِيَ إليه معـروفٌ ، فقال : للذي أسداه : جزاكَ اللهُ خيراً ، فقد أَبْلَغَ في الثناءِ » .

وفي رواية : « إذا قال الرجل جزاك الله خيراً ، فقد أبلَغَ في الثَّناءِ » (٤).

---

(١) رواه أبو داود والنسائى.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأبو داود .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب.

(٤) رواه الطبرانى فى الصغير.

والشاكر للمعروف المثني على أهله خيراً، هو أشكر الناس لله تبارك وتعالى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أشْكَرَ الناسِ : تبارك وتعالى أشكَرُهُمْ للناسِ »

وفى رواية : لا يشكُرُ الله مَنْ لا يشكُر الناسَ» [١].

ويقابله الجاحد الذى لا يثمر فيه الخير ولا يعرف الفضل لأهله ، فهوأيضاً جاحد نعمة الله تعالى .

فعن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لم يشكرِ الْقليلَ لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكُر الناسَ لم يشْكرِ الله ، والتحدُّثُ بنعمةِ الله شُكْرٌ وتَركُهَا كفرٌ ، والجماعةُ رحمةٌ والفُرقةُ عذابٌ » [٢].

والدعاء كاف في تحقيق الثناء ، فقد جاء في الحديث ، عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال المهاجرون : يارسول الله ذهب الأنصارُ بالأجر كله ما رأينا قوما أحسنَ بذلاً لكثير ولا أحسن مواساةً في قليل منهم ، لقد كَفوْنا المؤنةَ . قال : أليس تُثْنُون عليهم به وتَدعون لهم ؟ قالوا : بلى قال : فذاك وذاك » [٣].

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده بإسناد لا بأس به ، ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف .

(٣) رواه ابو داود والنسائى واللفظ له .

شرف الصائمين من هذه الأمة

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التي يختص بها الصائم من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

اختص الله الصائمين بباب فى الجنة يدخلون منه يوم القيامة إظهارا لشرفهم وفضلهم ينادى مناد على رؤوس الأشهاد أين الصائمون فيراهم القاصى والدانى وتمتد إليهم الأبصار وتشرئب الأعناق ويتمنى متمنٍّ أن لو كان معهم وفي ركبهم الميمون ويتحسر متحسر على ما فاته في الدنيا من فرصة العمل والجد وما ضاع عليه من اوقات ثمينة وساعات عديدة ، يُصَوِّر صلى الله عليه وآله وسلم هذاالمشهد فيقول : « إنَّ فى الجَنَّة باباً يُقَال له الريَّانُ يَدْخُلُ منه الصائمونَ يومَ القيامَة لا يَدْخُلُ منْهُ أحدٌ غيرهُمْ يُقَال : أَيْنَ الصَّائمُون فيَقُومُون فإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ منْهُ أحَدٌ »[١]..

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضاً بأن جعل صومهم لهم حصناً حصيناً من النار وسترا يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات يقول صلى اللهعليه وآله وسلم « الصِّيَامُ جُنَّةٌ حَصِيْنَةٌ مِنَ النَّار »[٢].

ثم يبين لنا صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة هذا الصوم الذي يحفظ صاحبه من النار فيقول « الصِّيْامُ جُنَّةٌ مِنَ النارِ كَجُنَّة أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ مَا لَمْ

(١) أخرجه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد.

(٢) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب .

يَخرِقْها بِكَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ »[١].

وكأنه يقول : « إن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعْلا . ولذلك حث الصائم أن يلتزم مسلك الفضيلة ويبتعد عن دواعي الرذيلة حتى يتحقق بالصيام الذي هو جُنة فيقول : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ من النَّار فَمَنْ أَصْبَحَ صَائماً فَلا يَجْهَلْ يومَئذٍ وَإِنِ امْرُؤٌ جَهِلَ عليه فَلا يَشْتُمْهُ ولاَ يَسُبُّهُ وَلْيَقُلْ إِنّى صَائِمٌ »[٢].

واختص الله الصائم أيضاً بأن جعل تغير فمه أطيب من ريح المسك فقال: وَلَخَلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْك ، والخلوف تغير الفم من الصوم .

واختص الله الصائم بأن جعل له في صيامه فرحتين فإذا أفطر فرح وإذا لقى الله فرح ففرحه بفطره تعبير صادق عن شُكره التام لربه الذي وفقه لإتمام صوم ذلك اليوم ومكنه بواسطة تمام صحته وقوته فأدى عبادة يومه كاملة غير ناقصة فهو فى فرحه هذا في عبادة لأن الشكر عبادة وذكر وفرحهُ بلقاء الله اطمئنان بوعد الله ويقين حازم بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثواب عليه .. يقول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك « وَإِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ . إذا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذاَ لَقِىَ الله فَرِحَ »[٣].

واختص الله الصائم بأن جعل له في صومه الصحة والشفاء من كثير من الأمراض ففي الحديث « صُوْمُوا تَصِحُّوا »[٤].

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه النسائى.

(٣) رواه مسلم فى الصحيح .

(٤) رواه ابن السنى وأبو نعيم.

وأخرج البيهقي عن علي كرم الله وجهه قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم « إِنَّ الله أَوْحى إِلى نَبىٍّ من بَنى إِسْرَائِيلَ أَنْ أَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَصُومُ يوماً ابْتِغَاءَ وَجْهِى إِلاَّ أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » وسر ذلك أن للصوم تأثيراً عجيباً فى حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحمايتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة وذلك من أكبر العون علي التقوى كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

واختص لله الصائم بإبعاد وجهه عن النار فلا ترى عينه أىَّ مشهد من مشاهد النار . يقول صلى الله عليه وآله وسلم « مَنْ صَامَ يَوماً فِي سَبِيلِ الله بَعَّدَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِيْن خَرِيفاً »(١).

وفي رواية النسائي عن عقبة بن عامر « بَاعَدَ الله مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيْرَةَ مِائَة عامٍ » .

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائم ما ورد في القرآن من فضائلهم التي قال كثير من العلماء في كثير منها : إن المراد بها الصائمون . منها قوله تعالى : ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ فسر بالصائمين لأنهم ساحوا إلى الله عز وجل أي وصلوا إليه بسبب خروجهم عن مألوفاتهم ومقاساتهم عناء الجوع والعطش .

ومنها قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قيل الصابرون هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم فحينئذ يفرغ للصائم من خزائن الفضل والجود والكرم ما لا يحصيه الحساب ولا يقدره إلا رب

---

(١) أخرجه أحمد والشيخان والنسائى عن أبى سعيد الخدرى وعند ابن ماجه عن أبى هريرة وفى رواية النسائى عن عقبة بن عامر باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام .

الأرباب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قيل عملهم الذي جوزوا عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هو الصوم.

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حاله كله عبادة وطاعة فهو إن صمت عن فضول الكلام في طاعة وإن نام ليتقوى على القيام في طاعة أيضاً روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم « صَمْتُ الصَّائِمِ تَسْبِيحٌ ونَوْمُهُ عِبَادَةٌ ودعاؤه مُسْتجَابٌ وعَمَلُه مُضَاعَف »[(١)]. ففى فطوره له فرحة الشكر وهي عبادة وله في ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت في الحديث « لِلصَّائِم عِنْدَ إِفْطَارِه دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ »[(٢)].

ولا يخلو أن يدخل في ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار في تلك الساعة كما ثبت في الحديث « إن لله تعالى عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ وذَلِكَ فِى كُلِّ لَيْلَة »[(٣)]، وسحوره بركة كما ثبت ذلك في الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة .

واختص الله الصائم بأن جعل لمن فطّره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه . وفي سبيل إكرام الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لقمة خبز أو شربة ماء .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ فَطَّرَ صَائماً فى رَمضَانَ مِنْ كَسْبِ حَلالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الملائكَةُ لَيَالِيَ رَمَضَانَ كُلَّها وصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ومَنْ

---

(١) رواه الديلمى عن ابن عمر . وأخرجه ابن منده وسنده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسى والبيهقى .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبرانى والبيهقى .

صَافَحَهُ جِبْرِيْلُ تَكْثُرُ دُمُوْعُهُ وَيَرِقُّ قَلْبُهُ فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ الله أرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ فَلُقْمَةُ خُبْزٍ قَالَ : أرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَه؟ قال : فَقَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ قَالَ : أفَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَه؟ قَالَ فَمَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ قال : أفرأيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَه ؟ قال : فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ » [١].

واختص الله الصائم بأنه إذا أكل وعنده جماعة مفطرون وهو يشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلا حرمة الصّيام فإنه تصلى عليه الملائكة .

ففي الحديث « أنَّ الصائِم إذَا أُكِلَ عِنْدَه لَمْ تَزَلْ تُصَلِّى عَلَيْهِ المَلائِكَةُ حَتّى يُفْرَغَ مِنْ طَعَامِه » [٢].

وفضائل الصوم مطلقاً كثيرة :

فمنها أن الله تعالى أضاف ثوابه إليه دون سائر العبادات فقال : « الصَّوْمُ لي وَأَنا أَجْزي بِهِ » [٣].

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى لله تعالى إضافة تشريف إعلانا بأن ثوابه وصل غاية تقصر العقول عن إدراكها وأيضاً لأنه لم يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بالصوم لذاته. وصوم أصحاب الهياكل والاستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها فصومهم في الحقيقة لربها وأيضاً لأن فى الصوم إشارة إلى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات، وأيضاً لأن الاستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى والصوم فيه نوع يوافقها فلذلك أضافه تعالى إليه ومن ثم قال القرطبى : معناه

(١) أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان فى الضعفاء .
(٢) أخرجه أحمد والترمذى .
(٣) وهو حديث صحيح ثابت .

أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصوم فإنه مناسب لصفة من صفات الحق فكأنه تعالى يقول : إن الصائم يتقرب إليَّ بأمر هو من صفاتى .

وأيضاً فإن الصوم فيه ترك جميع حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله تعالى ولا يوجد ذلك فى عبادة أخرى ألا ترى أن الإحرام بالحج أو العمرة وإن حرم معه كثير من المباحات كالطيب والنساء والصيد واللباس إلا أنه لا يحرم معه الأكل والشرب الذي به قوام الحياة . وهذا وإن كان حرم في الصلاة إلا أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين ظظ أن صيامهم يشفع لهم يوم القيامة .

عن عبد الله بن عمر رضي لله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الصِّيَامُ والقُرْآنُ يَشْفَعَانِ للْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَة . يَقُوْلُ الصِّيَامُ : أىْ رَبِّ! مَنَعْتُه الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْني فِيْهِ ، ويَقُول القُرآن : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنى فِيْهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ »[١] .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين ـــ أن صومهم تطوعاً يعدل ملء الأرض ذهباً .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« لَوْ أنَّ رَجُلاً صَامَ يَوْماً تَطَوُّعاً ثُمَّ أُعْطِىَ مِلْءَ الأَرْضِ ذَهَباً لَمْ يَسْتَوْفِ ثَوَابَهُ دُوْنَ يَوْمِ الحِسَابِ »[٢] .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله محتج بهم فى الصحيح ورواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين ــ أن الله قضى على نفسه أن من أعطش نفسه له في يوم شديد الحر كان حقّاً عليه تعالى أن يرويَه يوم عطش الناس يوم القيامة .

فقد جاء « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا موسي على سرية في البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً . قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش »[١] .

وفي رواية « أن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطَّش نفسه لله في يوم حار كان حقّاً على الله عز وجل أن يرويَه يوم القيامة »[٢] . قال الراوي : وكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه .

وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن الصوم زكاة الجسد .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ والصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ »[٣] .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين ــ أن الصيام في رمضان سبب لغفران الذنوب .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن من حديث ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا .

(٣) رواه ابن ماجه .

قال : « مَنْ قَامَ لَيْلَـةَ الْقَدْرِ إِيْمَاناً وَاحْتِسَـاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَنْ صَامَ رَمضَانَ إِيْمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه » [١].

ومن الشـرف الذي اخـتص الله به الصـائمين أن الله تعـالى اختـصـهم في رمضـان بخمس خـصال لم يُعطهن الأمم السـابقين . فقـد جاء عن ابن عـباس رضى الله تعالى عنهما قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِـى خَمْسَ خِـصَالٍ فى رَمَضَـانَ لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّـةٌ قَبْلَهُمْ : خَلُوْفُ فَمِ الصَّـائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيْحِ المِسْك ، وَتَسْتَغْفِـرُ لَهُمُ الحِيْتَـانُ حَتّى يُفْطِروْا ، وَيُزَيِّنُ الله عَزَّ وجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَـه ثُمَّ يَقُولُ : يُوْشِكُ عِبَادى الصَّالِحُـونَ أنّ يُلْقُوا عَنْهُم المُؤْنَةَ وَيَصِيْرُوا إِلَيْك ، وَتُصْفَدُ فِيْه مَرَدَةُ الشَّيَـاطِيْنِ فلا يَخْلُصُـوا فيـه إلى ما كـانوا يخلصون إليه في غيره ، ويغـفر لهم في آخر ليلة ، قيل : يارسول الله : أهي لَيَلةُ القدرِ؟ قال: لا ولكنّ العامِلَ إنما يُوَفّى أجْرَهُ إِذَا قَضى عَمَلَه » [٢].

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين . أنّه جعل لهم صيامهم رمضان كفارةً لذنوبهم .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُـمْعَـةُ إلي الجُـمْعَة ، وَرمَضَـانُ إلى رمضـانَ مُكَفِّراتُ ما بَيْنَهُنَّ إذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ » رواه مسلم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه مختصرا .

(٢) رواه أحمد والبزار والبيهقى .

شرف الحجاج من هذه الأمة

فضائل الحاج وشرفه :

ومن الشرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأمة ، تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبري التي يختص بها الحاج من أفراد هذه الأمة وقد جمع من تلك المناقب جملة صالحة وسنذكر أهمها مع الدليل .

الأول : أن الحاج حجه يهدم ما قبله. عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : « لَمَّا جعلَ الله الإسلام فى قلبِى ، أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : ابسُطْ يدَك فَلأُبايعكَ ، قال : فبسَطَ فسقَطتْ يَدى فقال: مالكَ يا عمرو . قلتُ : اشْتَرِطُ قال : تَشْتَرِطُ ماذا ؟قلتُ أن يغفر لِى قال : أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلام يَهدِمُ ما قَبْلَه والهِجرةَ تَهْدِمِ ما قبلها ، وأنّ الحجَّ يَهدِمِ ما قبله »[١] .

الثانى : أن الحاج مجاهد : عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « جِهادُ الكبير والصغير والمرأة الحجُّ والعُمرةُ »[٢] .

وعن عثمان بن سليمان عن جدته أم أبيه قالت : « جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنّى أُرِيدُ الجهادَ فى سبيل الله فقال : حُجَّ البيتَ »[٣] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه النسائى .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور.

وعن عمر أنه قال : إذا وضعتم السُّروج فشُدّوا الرحال للحجّ والْعُمْرَة فإنها أحدُ الجهادَين » [١] .

الثالث : أن الحاج من وفد الله .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله : « وَفْدُ الله ثلاثةٌ : الغازِى ، والحاجُّ ، والمعتَمِر » [٢] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحُجّاجُ والعُمَّارُ وَفْدُ الله إن سَألُوا أُعطُوا وإن دَعَوا أُجيبوا وإن أنْفَقُوا أُخلف علَيهم والذى نفسُ أبىِ القاسم بيده : ما أهلَّ مُهِلٌّ ولا كبَّر مُكَبِّرٌ علَي شَرَف من الأشْرافِ إلاّ هلَّل ما بَين يدَيْه وكبَّر بتكبِيره حتَّى ينقطع مَبلغَ التراب » [٣] .

الرابع : أن الحاج مجاب الدعوة .

تقدم في الفصل آنفاً طرف منه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خَمْسُ دعوات لاَ تُرَدُّ : دعوةُ الحاجِّ حتى يَصدُرَ ، ودَعوةُ الغازى حتي يَرجع ، ودَعوةُ المَظْلُومِ حتي يُنصرَ ، ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوةُ الأخِ لأخيهِ بالغَيْبِ ، أسرَعُ هؤلاء إجابةً دَعْوةُ الأخِ لأخِيه بالغَيْب » حديث صحيح من

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه النسائى .

وأخرجه ابن حبان فى التقاسيم والأنواع ، بتقديم بعض اللفظ وزاد فى بعض طرقه . دعاهم فأجابوا ، رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد : فسألوه فاعطاهم وذكره ابن الحاج فى منسكه .

(٣) أخرجه تمام الرازى فى فوائده . وأخرجه ابن الجوزى فى كتاب « مثير الغرام الساكن » من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال فى اخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك كان من السنة أن يطلب من الحاج الدعاء وهذه السنة المطلوبة فعلها صلى الله عليه وآله وسلم مع عُمَر فإنه لما استأذنَ في العُمرة فأذن له . قال له : « لا تَنْسَنا من دعائِك ، أو أَشْرِكْنا في دُعائك »[١] .

الخامس : أن الحاج نفقته في سبيل الله .

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « النفقةُ في الحَجِّ كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف »[٢] .

السادس : أن الحاج درهمه بأربعين ألف ألف ..

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا خَرج الحاجُّ من بيتِه كان فى حِرز الله فإن ماتَ قبل أن يَقضيَ نُسُكَه وقَع أجْرهُ على الله ، وإن بقيَ حتى قضى نسكَه غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وإنفاقُ الدِّرهمِ الواحدِ فى ذلك الوجهِ يَعدِلُ أربعين ألفَ ألفٍ فيما سِواه »[٣] .

السابع : أن الحاج نفقته مخلوفة

ثبت في الحديث : « الحُجّاجُ والعُمّار وَفْدُ الله إن سألوا أُعطُوا وإن دَعَوا أُجِيبوا وإن أنْفَقُوا أُخلِف عليهم »[٤] .

وفي رواية : أن الله تعالى يقول لملائكته : (وآتوهم ما أنفقوا) .

الثامن : عن أبى أمامة وواثلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه أبو ذر الهروى .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما .

(٣) ذكره فى القرى .

(٤) أخرجه تمام الرازى.

عليه وآله وسلم : « أربعةٌ حَقٌّ على اللهِ عز وجل عَونُهم : الغازي والمتزوِّجُ والمُكاتَبُ ، والحَاجُّ » .

التاسع : عن أبي موسي الأشعري قال : « الحاجُّ يَشْفَعُ في أربعمائةٍ من أهلِ بَيته » (١) .

وفي رواية المنذري : « مَن جَاء حَاجّاً يُريد وجهَ الله غُفِر له وشُفِّع فيمَنْ دَعا له» .

العاشر : أن الحاج مغفور له .

عن جابر مرفوعاً : « ما من مُحرمٍ يُضَحِّى لله يُلبِّى حتّى تَغيبَ الشّمسُ إلا غابَت بذنُوبه فعادَ كما ولدَتْه أمُّه » (٢) .

وفى الحديث عن جابر : « إذا كانَ يومُ عَرفة فإنَّ الله يَنزِل إلي السماء الدنيا فيقولُ الملائكةُ : ياربّ فلانٌ يُرّهِقُ ـ يعني يأتي المحَارِم ـ قال : يقولُ الله عزّ وجل : قد غَفرتُ لَهم» (٣) .

وهذه المغفرة العامة حتّى للتبعات ، فقد روى العباس بن مرداس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا لأمته عشيَّةَ عرفَةَ بالمغفرة فأُجيبَ : إنّي عفرتُ لَهُم ما خلاَ الظّالِمَ فإنّي آخذ للمَظْلُوم منه ، قال : أَيْ ربّ إن شئتَ أعطيتَ المظلومَ من الخيرِ ، وغفرتَ للظالم فلم يُجَبْ ، فلمّا أصبح بالمُزدلفة أعاد الدعاءَ فأجيبَ إلي ما سألَ ، قال : فضَحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قال : تبسَّمَ، فَقال له أبُو بكر وعُمَر : بأبِي أنتَ وأمّى

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مسنده .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) أخرجه فى شرح السنة البغوى .

يارسولَ الله : إنّ هذه لَساعةٌ ما كُنْتَ تَضْحَك فيها ، فما الذى أضْحَكَكَ أضحك اللهُ سنك ، قَال : عَدُوّ الله إبليسَ لما عَلم أن الله عزّ وجل قد استَجابَ دُعائى وغفَر أخَذ الترابَ فجعَلَ يَحْثُوه عَلَى رأسهِ ويَدعُو بالويْل والثُّبُورِ فأضْحَكني مَارأيتُ مِنْ جزَعِه »[١].

قلت : ولكن لابد من تقييد هذا الكلام بأن المراد بذلك هو من نوى على أداء الحقوق لأربابها ولكنه عاجز عن ذلك الوقت فهذا تشمله الرحمة الإلهية بإذن الله وفضله . أما الظالم إذا تمكن من الأداء ولم يؤد أو إذا كان عاجزاً لكنه مصمم على عدم الأداء فالظاهر أنه لا تشمله الرحمة .

الحادي عشر : أن الحاج يغفر الله لمن يَستغفِر له .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم اغفِرْ للحاج ولم استَغفَر له الحاجُّ »[٢].

وعن مجاهد قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : يُغفر للحاج ولمن استغفر له الحاجُّ بقية ذي الحجة والمحرّم وصفَر وعَشْر من شهرِ رَبيعِ الأول »[٣].

ولذلك كان ابن عمر يقول : إذا لقيت الحاجَّ فسلِّمْ عَليه وصافِحْه ومُرهُ أن يستغفر لك قبل أن يَدخُلَ بيتَه »[٤].

فكانوا يُحبّون أن يدخلُوا في هذه الخصوصية ..

الثانى عشر: أن الحاج يباهي الله به الملائكة ، ملائكة السماء »[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه . (٢) رواه البيهقى وصححه الحاكم.
(٣) رواه ابن أبى شيبه فى مصنفه وذكر هذا الحضراوى فى العقد الثمين ٣١ .
(٤) رواه ابن حبان وأحمد .
(٥) رواه ابن حبان وأحمد.

الثالث عشر: أن الحاج من أهل الجنـة .

الحَجُّ المَبْرُوْرُ لَيْسَ لَهُ جزَاءٌ إلاَّ الجَنَّةُ وَبِرُّ الحَجِّ إِطْعَامُ الطَّعامِ وَإِفشَاءُ السَّلامِ ــ فى رواية أحمد ــ والمعنى : أنـه لا يُقتصرَ فيه على تـكفير بعض الذُّنوب بل لابد أن يَبلُغ به الجنة.

ولا غرابة بعـد هذه الخصائص والمزايا التى امـتاز بها الحـاج في أن يحرص المسلم كل الحرص وتشـتد رغبته ويعظم طلبـه ويجتهد في حـضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضوا فرضهم وأكثروا من التطوع بهـذا النسك الشريف . قـال بعضـهم : رأيت في الطواف كهـلاً وقد أجهدته العبادة وبيـده عصا وهو يطوف معتمداً عليهـا فقال لي : في كم تقطعون هذا الطريق ؟ قلت : فى شهرين فـقال : فهل تحجون كل عام؟ فـسكت فسألته: وكم بينكم وبين هذا البـيت ؟ قال : مـسيـرة خمس سنين ، فـقلت والله هذا هو الفضل المبين والمحبة الصادقة ، فضحك وأنشأ يقول :

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونه حجب وأستـــار
لا يمنعنك بُعد عن زيارتـــه
إن المحـب لمـــن يهـــواه زَوَّارُ

وعن شقـيق البلخى رحـمه الله قال : رأيت في طـريق مكة مقعـداً يزحف على الأرض ، فـقلت له : من أين أقبلت قـال : من سمـرقند ، قلت وكم لك في الطريق فذكر أعواماً تزيد علي العشرة فرفعت طرفي أنظر إليه متعجباً ، فقال : يا شقـيق مالك تنظر إليّ متـعجبـاً ؟ فقلت : أتعجّب من ضـعف مهجـتك وبعد

سفـرك ، فقال : يا شقـيق ، أما بعد سفـري فالشوق يقـويه وأما ضعف مهـجتي فمـولاها يحملهـا. يا شقـيق ، أتعجب من عبـد يحمله المولى اللطـيف ، وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكه   والشوق يحمـل والآمال تسعده
ليس المحب الذي يخشى مهالكه   كلا ولا شـــدة الأسفـــار تُبعده



فضل تلاوة القرآن وشرف القرَّاء من هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما أعده الله تعالى من الثواب العظيم والفضل الجسيم على تلاوة القرآن الكريم وما اختص به حملة هذا الكتاب من مناقب عديدة ومزايا حميدة .

فمنها ــ أن القارئ له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها بفهم أو بغير فهم .

عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مَنْ قَرأ حَرْفاً منْ كتَاب الله تَعَالى فَلَهُ به حسنةٌ والحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ ولكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » (رواه الترمذي وغيره) .

قال الإمام النووى : اعلم أن المذهب المختار الصحيح الذي عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار .. اهــ . يعني لما فى الحديث : إنَّ فَضْلَ كلامِ اللهِ عَلى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلى خَلْقِهِ .

ومنها أن القارئ يلبس الله والديه تاجاً يوم القيامة روى أبو داود عن سهل ابن معاذ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَرأَ الْقُرآنَ وَعَمِلَ به أَلْبسَ الله وَالِدَيْه تَاجاً يَوْمَ الْقيامَة ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيا لَوْ كَانَتْ فِيه فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي

عَمِلَ بِه ».

ومنها ــ أن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة .. عن عائشة رضى الله تعالى عنهـا قالت : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه وَهُوَ عَلَيْه شاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ ».
(متفق عليه)

يعنى: أن القـارئ الذي يقرأ بدون تلعثـم ومشقـة هو مع السَّفَـرَةِ السابقين والذي يقرأ بكلفة ومشقة فله أجران .

ومنها ــ أن القـارئ فى الدنيا لا يزال يترقى في المنازل يوم القـيامة : روى الترمذى عن ابن عـمر رضى الله تعالى عنهما قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُقَالُ لصـاحب الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ ورَتِّلْ كمَـا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » .

ومنها أن القارىء لا يهوله الفزع الأكبر يوم القيامة روي الطبراني بإسناد لا بأس به . عن ابن عمر رضى الله عنهمـا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثَلاَثَةٌ لاَ يَهُولُهُمْ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَلاَ يَنَالُهُمْ الْحسَابُ وَهُمْ عَلى كُثُبٍ منَ الْمسْك حَتّى يُفـرَغَ منْ حسَاب الخـلاَئق : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرآنَ ابْتغَـاءَ وَجْه الله تعالى وَرجَلٌ أَمَّ قَوْماً وهُمْ به رَاضُوْنَ ، وَدَاعٍ ــ أى مُؤَذِّنٌ ــ يَدْعُوْ إلي الصَّلَوَات ابْتغَاءَ وَجْه الله،وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّه وَفِيْمَا بيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَاليه ».

ومنها ـ أن أهل القرآن هم أهل الله تعالى: عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« إنَّ لله أَهْلِيْنَ منَ الـنَّاسِ قَالُوا : مَنْ يَارَسُولَ الله ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرآنِ هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ » .

ومنها ــ أن القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن : عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اقْرَؤاُ الْقُرآنَ فإنَّ الله لا يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَى الْقُرآنَ . إنّ هذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ الله فَمنْ دَخَلَ فِيْه أَمِنَ وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرآنَ فَلْيُبْشِرْ » (١) . ــ أى فليستبشر .

وعنه رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن هذَا القرآنَ مأدُبَةُ الله فَاقْبَلُوا مَأدبَته ما اسْتَطعْتُم إنّ هذَا القرآنَ حَبْلُ الله والنُّورُ الْمُبينُ والشفَاءُ النَّافعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ به ونَجاةٌ لمنْ اتَّبعَهُ ، لا يَزيغُ فَيُستَعتَبَ ولا يَعوجُّ فيقوَّمَ ، ولا تَنْقَضى عجائبهُ ولا يَخْلُقُ على كثرة الرَدّ اتْلُوهُ فإنّ الله يَأجُرُكم عَلَى تلاوَته كُلُّ حَرف عَشْرُ حسَنَات . أمَا إنِّى لا أَقُولُ ألم حَرْفٌ ولكن ألِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ ومِيْمٌ حَرْفٌ » (٢) .

ومنها ـ أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله : روي الإمام محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « البَيْتُ إذا قُرِئَ فيه القُرآنُ حَضَرَتْهُ المَلائكةُ وتَنكَّبَتْ عنه الشَّيَاطينُ (أي تباعَدتْ عنه) واتَّسعَ عَلَى أهله وكَثُرَ خَيْرُه وقَلَّ شَرُّه وإنَّ البيتَ إذا لم يُقْرأ فيه القرآنُ حضَرتْه الشياطينُ وتَنَكَّبتْ (أي تباعدتْ) عنّهُ الملائكةُ وضاقَ على أهله وقَلَّ خَيْرُهُ وكَثُر شَرّه » قال : وفى الباب عن أبى هريرة موقوفاً وعن ابن سيرين اهـ وأثر أبي هريرة رواه الدارمي .

ومنها ـ أن تلاوة القرآن جلاء القلوب : روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن هذه القُلُوبَ تَصْدأُ

---

(١) رواه الداومى .

(٢) رواه الحاكم وصححه والدارمى .

كَمَا يَصْدَأُ الحديدُ إذا أصابَه الماءُ قيل : يارسول الله وما جَلاؤُها ؟ قال : كَثْرةُ ذِكْرِ الموتِ وتِلاوةُ القرآن » [١].

ومنها ــ من أحب القرآن فقد أحبه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أَحَبَ أن يُحِبَّه الله ورَسُوله فلينْظُر فإنْ كاَن يُحِبُّ القرآنَ فهو يُحِبُّ الله ورَسُولَه » [٢].

ومنها ــ أن القرآن هو الذكر الحكيم : وروى عن علي رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أمَا إنّها ستكُونُ فتنةٌ . قلتُ : فما المَخْرَجُ منها يارسولَ الله؟ فقال : كتابُ الله تعالى فيه نبأُ ما قَبْلَكم وخَبرُ ما بَعْدَكم وحُكْمُ مَا بَيْنَكُم . هو الفَصْلُ لَيْسَ بالهَزْل ، مَن تَرَكَهُ من جَبّار قَسَمَهُ الله تعالى . ومن ابتَغى الهُدى في غيره أضَلّهُ الله تعالى ، وهو حبْلُ الله المَتيْنُ وهو الذِّكْرُ الحَكيمُ وهو الصَّراطُ المُسْتقيمُ وهو الذى لا تَزيغُ به الأهْوَاءُ ولاَ تَلْتَبسُ به الألْسنَةُ ولا يَخْلُقُ على كَثْرَة الرَّدِّ ولا تَنْقَضى عجَائبُه وهو الذى لم تَنْتَه الجنُّ إذْ سَمعَتْهُ حتى قالوا : إنَّا سَمعْنا قرآناً عَجَباً يَهْدى إلى الرُّشد فآمَنا به . مَنْ قالَ به صَدَق ومن عَمِل به أُجِرَ ومَن حكَم به عَدَل ومَن دعا إليه هُدِىَ إلى صِراطٍ مستقيم » [٣].

ومنها ــ أن المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى : روى الترمذي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : قال رجل : يارسولَ الله

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٣) رواه الترمذى والدارمى وفى السند مقال.

أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى ؟ » فقال : الحَالُّ المُرْتحل . قال : وما الحَالُّ المُرْتَحِل » قال : الَّذى يَضْرِبُ مِنْ أوَّلِ القُرآنِ إلى آخره كلَّما حَلَّ ارْتَحلَ أى كلما خَتَم خَتْمَةً شرَعَ في غيرِها . ولذلك يستحسن إذا ختمت ختمة أن تتبعها بالفاتحة وفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

ومنها ــ أن القرآن يشفع لقارئه : عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اقْرَؤُا القرآن فإنّه يأتى يومَ القِيامة شفيعاً لأصحَابِه »[١].

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « القُرآنُ شافِعٌ مُشَفَّع وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ من جعَلَهُ أَمامهَ قادَهُ إلى الجنّة ومن جعَلَه خَلْفَه ساقَهُ إلى النارِ »[٢].

وشفاعة القرآن قد تكون بمغفرة الذنوب وقد تكون برفع الدرجات والتحلية بالكمالات . فالأول يدل عليه ما رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنّ سُورةً من القرآن ثلاثون أيةً شَفَعَتْ لرجل حتى غفَرَ الله لهُ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » والثانى يدل عليه ما رواه الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يجيءُ صاحبُ القرآن يومَ القيامة فيقولُ القُرآنُ : يارَبِّ حُلَّهُ فيُلْبَسُ تاجَ الكَرامة ثم يَقولُ القرآنُ : يارب زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرَامة. ثم يقولُ القُرآنُ : يارَبِّ ارضَ عَنْهُ فَيَرْضى عنْه . فيقال للقارئ اقرأ وَارْقَ ويَزْدَادُ بكل آية حسنةً .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال الصيامُ : ربِّ إنّي منعتهُ الطعامَ والشَّراب بالنَّهار فشفِّعْني ويقولُ القرآنُ : يارَبِّ إني منَعْتهُ النَّومَ بالليلِ فشفِّعْنِى فيه فيَشْفَعانِ »(١).

ومنها أن قراءة القرآن تطيب رائحة القارئ :

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَثَلُ المؤمنِ الّذى يَقْرأُ القُرآن مَثَلُ الأتْرُجَّة رِيْحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ ومثَلُ المؤمنِ الذى لا يَقْرأ القرآنَ مثَلُ التَّمرةِ لا رِيْحَ لَها وطَعْمُها حُلْوٌ . ومَثَلُ المنافقِ الذى يَقْرَأ القُرآنَ مثَلُ الرَّيْحانة رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ . ومَثَلُ المنافقِ الذى لا يقْرأ القُرآنَ كمثَلِ الحَنْظَلَةِ ليْسَ لها رِيْحٌ وطَعْمُها مرٌّ »(٢).

والأترجة : ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون.

ومنها ـ فضل القراءة فى الصلاة علي غيرها : روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « قراءَةُ القرآنِ في الصلاة أفضَلُ من قراءة القرآن في غيْرِ الصلاة وقراءَةُ القُرآن في غيْرِ الصَّلاة أفضَلُ من التَّسبيحِ والتَّكْبيْرِ والتّسبِيحُ أفضَلُ منَ الصدقة ـ أى النافلة ـ والصَّدقةُ أفضَلُ من الصوم ـ أي النفلِ ـ والصّوْمُ جُنَّة »(٣).

ومنها ـ مضاعفة القراءة في المصحف على غيرها روي عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « قِراءةُ الرّجُل في غيرِ المُصْحَف ألفُ درَجةٍ . وقراءتُه

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٣) رواه البيهقى فى الشعب على ضعف فى إسناده .

في المُصْحَفِ تُضَعَّفُ على ذلك إلى ألفَيْ درَجةٍ »[1].

روى ابن أبي داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا دخل البَيْتَ نَشَر المصحفَ فَقَرأ فيه .

وروى الإمام أحمد في « الزهد » عن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه قال: ما أُحِبّ أن يأتيَ عَلَيَّ يومٌ ولا ليلةٌ إلا أنْظُرُ في كتابِ الله تعالى ــ يعنى القراءة فى المصحف .

وروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ما كان يَصْنع ابن عمر في منزله؟ فقال: لا تُطِيقُونَهُ ، الوضُوءُ لكل صلاةٍ ، والمصْحفُ فيما بينهما .

قال الإمام النووى : قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر. هكذا قاله القاضى حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالى وجماعات من السلف.

ثم بين الإمام النووى أنه لو قيل بالتفصيل لكان القول حسناً ، وذلك أنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فأيّة القراءتين أقرب إلى الخشوع والتدبّر فهى أفضل. قال : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

وأخرج البيهقي بسند حسن عن ابن مسعود أنه قال : أَدِيْموا النظر في المصحف .

ومنها ــ أن القارئ يقدم على غيره شرعاً .

عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَؤُمُّ القومَ أَقْرَؤُهم لِكتابِ الله تعالى » (رواه مسلم) .

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى على ضعف فى سنده .

وروى البخارى وغيره أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان جَمَعَ بين الرّجُلَين من قَتْلى أُحُد ثم يقول : أَيُّهُما أَكْثَرُ أَخْذاً للقرآنِ فإنْ أُشِيرَ الى أحَدِهما قَدَّمه فى اللحد .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان القُراء أصحابَ مجلس عمر رضى الله تعالى عنه ومشاورته كهُولاً كانوا أو شباناً .

ومنها ــ إكرام أهلِ القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى ومن إجلاله تعالى قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ استدلّ الإمام النووى رضى الله تعالى عنه بهذه الآية على وجوب إكرام أهل القرآن لأنهم من شعائر الله تعالى ، كما يجب تعظيم العلماء الذين هم حملة دين الله تعالى وشعائره ولا يجوز إيذاؤهم .

وقد نقل الإمام النووى عن الإمامين الكبيرين أبى حنيفة والشافعى رضى الله تعالى عنهما أنهما قالا : إن لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله تعالى وليّ ، كما نقل أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : اعلم يا أخي ــ وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ــ أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله تعالى فى هتك أستار منتقصيهم معلومةٌ وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ مِنْ إجْلالِ الله تعالى إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلم وحاملِ القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه وإكرامَ ذِى السُّلْطان الْمُقْسط » .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « أمرنَا رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم أن نُنَزِل النَّاسَ مَنازِلَهم »[١].

ومنها ـ فضيلة استظهار القرآن الكريم وهي مِن أعظم المنن الإلهية التي خص الله تعالى بها هذه الأمة المحمدية دون سائر الأمم ، فقد جعل قلوب هذه الأمة أوعية لكلامه ، وصدورها مصاحف لحفظ آياته ، لا يغسله من قلوبهم تيَّار الماء ولا يمحوه من صدورهم كيد الأعداء.

قال الله تعالى : « بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِنّاتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ وما يَجْحَدُ بآياتِنا إلا الظَّالِمُونَ » .

وفي صحيح مسلم عن عياض رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنّ ربِّى أَمَرَنى أن أُعَلِّمكم ما جَهلْتُمْ مما عَلَّمني يَوْمي هذا كُلُّ مال نحلْتُه « أعطَيْتُه » عبداً حلالٌ وإنّي خَلَقْتُ عِبادى حُنَفاءَ كلَّهم ـ أى علي المِلَّة الحَنيفيَّة ـ وإنهم أَتَتْهُم الشياطينُ فاجْتالَتْهم عن دينِهم وحَرَّمَتْ علَيْهِمْ ما أَحْلَلْتُ لهم وأمَرتْهُم أن يُشْرِكوا بي ما لم أُنْزِلْ به سُلطَاناً وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقَتَهم عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُم إلا بقَايا من أهْلِ الكْتاب وقال : إنما بَعثْتُك لأبْتَلِيَك وأَبْتَلِيَ بِك وأنزَلْتُ عليك كتاباً لا يَغْسِلهُ الماءُ تَقْرأُه نائماً وَيقْظَانَ ، الحديث .

وروي عن على رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قرأ القُرْآنَ فاستَظْهَرَهُ فأحَلَّ حَلالَهُ وحَرَّمَ حَرامَهُ أدْخَلَهُ الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ في عَشْرَةٍ مِنْ أهْلِ بَيْتِه كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النارُ »[٢].

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أعطَاهُ الله تعالى حِفْظَ كتابِهِ

---

(١) رواهما أبو داود .

(٢) رواه الترمذى .

فظَنّ أن أحَـداً أُعْطِيَ أفضَلَ مما أُعْطِيَ فـقط غَلَط ــ وفي رواية ــ فـقد صَـغَّرَ أعظَمَ النِّعَمِ »[١].

وفي مسند الفـردوس عن علي رضى الله تعالى عنه مـرفوعـاً : « إنَّ حَمَلَةَ الْقُرآن في ظلِّ الله يومَ لا ظِـلَّ إلاّ ظلُّه مع أنبيائه وأصْفيائه » الحديث ..

قـال في شرح المنيـة : إن حفظ مـا تجـوز به الصلاة فـرض عين علي كل مكلف وحفظ فـاتحة الكتاب وسورة واجب ، وحـفظ سائر القرآن فرض كـفاية وسنة عين أفـضل من صـلاة النفل اهـ وقـد كـتب عـمـر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعـرى رضى الله تعالى عنهما أن يفـرض لحفاظ القرآن في البـصرة ما يفي بحاجتهم .

ومنها أن أهل القرآن ممن يعلم أو يتعلم القرآن هم خير الناس . عن عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلـى الله عليه وآله وسلـم : « خَيْـرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرآنَ وَعَلَّمَـهُ » وفي رواية : إنَّ أفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَـلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ[٢].

وعن أبي هريرة رضى الله تـعالـى عنه قـال رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم « تَعلَّمُوا القرآن فَاقْرؤُهُ فإنّ مثَل القرآن لِمَنْ تعلَّمهُ فقرأهُ وقَامَ به ــ أيْ في اللّيل ــ كـمثَلِ جَراب مَـحْشُوٍّ مـسْكا يَفُوحُ ريحهُ كـلَّ مكَان ، ومَثَلُ مَنْ تعلَّمـه فرَقَد وهُـو في جَوْفِه كـمثَلِ جَـرابٍ أُوِيَ عَلَى مِسْكٍ . أى مُلِيء مِـسْكاً ورُبط عليه »[٣].

---

(١) رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الترمذى وغيره

ومنها ـــ ان من علم ولده القرآن فقد حاز خيرا عظيما لا يساويه خير ونال أجراً كريما لا يوازيه أجر .

عن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَدِّبُوا أَوْلادَكم عَلى ثلاث خصال : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وحُبِّ أَهْلِ بيْتِه وقراءة القرآن فإنّ حَملَةَ القُرْآنِ « حَفظَتَه » في ظِلّ الله يومَ لا ظِلَ إلا ظِلُّه مع أنبيائِه وأصْفِيائِه »[١] .

وروي عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من عَلَّمَ ابْنَه القُرآنَ نَظَراً « أى في المصحف » غُفر لَه ما تقدَّمَ منْ ذنبه وما تأخَّرَ ومَنْ عَلَّمه إيّاهُ ظاهراً « أى عن ظَهْرى قَلْبه » بعَثَهُ الله يَومَ القيامَة علي صُورة القَمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ويقال لابنه اقْرأْ فكُلَّما قَرأ آيةً رفَع الله عزّ وجَلّ الأبَ بِهَا دَرَجةً حَتّى يَنْتهِيَ إلى آخرِ ما مَعَه من القُرآن »[٢] .

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما منْ رَجُلٍ يُعَلِّمُ ولَدَه القُرآنَ في الدُّنيا إلاّ تُوِّج أَبُوهُ يوم القيامة بتَاجٍ فى الجَنَّة يَعرِفُه به أهْلُ الجنّة بتَعْلِيم ولدِه الْقُرْآنَ في الدُّنيا »[٣] .

عن بريدة رضى الله تعالى قال : كنت جالسًا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتهُ يقول : تَعلَّمُوا البقرةَ فإنَّ أخْذَها بَركَةٌ وتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ولا يَسْتَطيعُها البَطَلَةُ » ، ثم سكتَ ساعةً ثم قال : « تَعَلَّمُوا البقرة وآل عمْرانَ فإنهما الزَّهْراوانِ يُظلاّن صاحِبَهُما يَوْمَ القيامةِ كأنَّهُما غمامَتان أو غيايَتان أوْ

(١) رواه الديلمى وابن النجار على ضعف فى سنده .
(٢) رواه الطبرانى قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفه .
(٣) رواه الطبرانى على ضعف فيه .

فرقَان من طَيْر صَوَاف وإن الْقُرآنَ يَلْقَى صاحبَه يومَ القيامَة حين يَنْشَقّ عنه قَبْرُهُ كَالرَّجُل الشاَّحب فيقولُ : هَلْ تعرفُنى ؟ فيقول : ما أَعْرِفُكَ فيقول : أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُكَ في الهَوَاجِر وأسْهَرْتُ لَيْلَك وإنَّ كلَّ تاجر من وراء تجارته (أي يبتغى رِبْحَها) وإنّكَ اليوم من وراء كلِّ تجارة أعظَمَ رِبْحاً فيُعْطَى « أي صاحب القرآن » المُلْكَ بيمينه والخُلْدَ بشماله ويُوضَعُ على رأسه تاجُ الْوَقَار ويُكْسَى والداه حُلَّتَيْنِ لا تَقُوم لَهُما « أي لا تُقَدَّرُ بهما » الدُّنيا فيقولان : بِمَ كُسينا هذا ؟ فيقال : بأخْذ وَلدكُما القرآنَ وفي رواية الطبراني : بتعليم وَلدكُما الْقُرآن ثم يقال « أي للقارئ » اقْرَأْ واصْعَدْ في دَرَجِ الجنة وغُرَفها فهو في صُعودٍ ما دامَ يَقرأ هَذًا كان أو تَرْتيلا » (١) .

ومنها ــ نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن سيما في الليل .

فعن أُسَيْد بن حضير قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفَرسُه مَربُوطةٌ عنده إذْ جالت الفرسُ أى اضْطَربت فسكتَ فسكَنَتْ فقرأ فجالَتْ فسكتَ فسكَنَتْ الفَرسُ ، ثم قرأ فجالتْ . وكان ابنُه يَحيى قريباً منها فانصرفَ فأخَّرَه ثم رَفع رأسَه إلى السّماء فإذا مِثْل الظُلَّة فيها أمْثَالُ المصَابِيح ، فَلما أصْبحَ حدّثَ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ : وتَدْرى مَا ذَاك؟ قال : لا فقال صلى الله عليه وآله وسلم : تلك المَلائكةُ دَنَتْ لصَوْتك ولو قرأت لأصبَحت يَنظُر إليها النّاسُ لا تَتَوارَى مِنهْم « أى لا تَخْتَفي مِنهُم » (٢) .

ومنها ــ أن الدعاء يستجاب عند ختم القُرآن فقد روى الطبراني مرفوعاً « من خَتَمَ القُرْآن فله دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ . وفي الشعب من حديث أنس مرفوعاً : من قَرأ القُرآن وحَمد الربَّ وصَلَّى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم واستَغْفَر

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وروى ابن ماجه طرفا منه . قاله الهيثمى.

(٢) رواه البخارى .

رَبَّه فَقَدْ طَلَبَ الخَيْرَ مَكانَه » .

ومنها ــ انتصار القرآن للعامل به ومجادلته عنه فهو له حجة .

فعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: يُؤْتَى برجُل يومَ القيامة ويُمثَّلُ له القُرآن قد كانَ يُضيِّع فرائضه ويتعدّى حُدُوْدَه ويُخالفُ طاعَتَه ويَرْكبُ معاصيه فيقول: أيْ ربِّ حمَّلْتَه آياتي فبئسَ حاملي تعدَّى حُدودي وضَيَّع فرائضي وتَركَ طاعَتي ورَكبَ مَعْصيتي فما يزال يَقْذف عليه بالحُجَج حتى يُقال : فشأنَك به فيأخُذ بيده فما يُفارقُه حتي يَكُبَّهُ على مَنْخَره ــ أي عَلى وجهه ــ في النّار ويُوتَى بالرَّجُل قد كانَ يَحفَظ حُدُودهُ ــ أي حدُودَ القرآن ــ ويَعْمَلُ بفرائضه ويَعْمَلُ بطاعته ويَجْتَنبُ معْصيته فيصير خَصْماً دُونَه فيقول : أيْ ربِّ حَمّلتَ آياتى خَيْرَ حامل اتَّقى حُدُودي وعَمَلَ بفَرائضي واتَّبعَ طاعَتى واجْتَنبَ مَعْصيَتى فلا يَزَال يَقْذف له بالحُجَج حتّى يُقالَ له : فشأنَكَ به . فيأخُذُ بيَده فما يَزَالُ به حتى يَكْسُوهُ حُلَّةَ الإسْتَبْرق ويَضَعُ عليه تاجَ المُلْكِ ويَسْقيْه بكأسِ المُلْك »[1].

وعن أبي مالك الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الطُّهورُ شَطْرُ الإيْمان والحمد لله تَمْلأ الميزان أو تملآن ما بْين السماء والأرض والصَّلاةُ نُورٌ والصَدَقهُ بُرهانٌ والصّبر ضياءٌ والقرآنُ حُجّةٌ لك أو عليك . كُلُّ الناس يَغْدُو فبائعٌ نَفْسَه فَمُعْتقُها أو مُوبِقُها »[2].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاثَةٌ تحتَ العرشِ يومَ القيامة : القُرآن له ظهْرٌ وبَطنٌ يُحاجُّ

---

(١) قال فى مجمع الزوائد رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقه ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات اهـ وروواه ابن أبى شيبة وابن الضريس كما فى (منتخب الكنز) .

(٢) رواه مسلم

العبادَ والأمَانةُ والرّحِمُ تُنَادِى ألا مَنْ وَصلني وصَلَه الله تعالى ومن قطعَنى قطعَهُ الله » [١].

فإذا كان يوم القيامة وقف القرآن موقف الاحتجاج . فإما أن يحتج للعبد وذلك إذا عمل به وإما أن يحتج على العبد وذلك إذا خالف ما جاء به القرآن . قال أبو موسي الأشعري إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً وكَائِنٌ عليكم وِزْراً فاتَّبِعوا القرآن ولا يتَبعنّكُم القرآن من اتبعَ القرآن ـ أي عَمِل به ـ هَبط به على رياضِ الجنة ومن اتَّبعه القرآنُ ـ بأن لم يَعْمل به ـ زُجَّ في قفاه فقذَفه في النار » .

---

(١) رواه البغوى فى شرح السنة ورواه الحكيم الترمذى ومحمد بن نصر .

شرف الذاكرين من هذه الأمة

ومن الشـرف الذي ادخره الله لهـذه الأمة ما أعـده الله تعالى للذاكـرين من الفضل والثواب بذكرهم ، وقد جمعت جـملة من ذلك نذكرها إن شاء الله فيما يأتي :

الأول : أن العبد يستفيد بالذكر خـصوصية لا أشرف منها عنده ولا أعز منها لديه وهي معـية الحق سبحانه وتعالى وذكره له فـي الملأ الأعلى ، كما جاء في الحـديث عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قـال.. قال رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « يقول الله أنا عـنْدَ ظَنِّ عبـدى بي وأنا معـه إذا ذكَرَني ، فـإنْ ذكَرَني في نفسه ذكرتُه في نفسى وإن ذَكـرنى في مَلأ ذكرتُه في مَلأ خير منهم ، وإنْ تقرَّب إليَّ ذراعا تقربتُ إليه باعاً ، وإن أتاني يمْشى أتيتُه هَرْوَلَةً » [١].

وهو يستفيد هذا المقام بمجرد إقباله واشتغاله بالذكر يقول الله تعالى : أنا مع عبدي إذا هو ذَكرني وتحرَّكَتْ بي شَفَتاه [٢].

والذكـر أحب الأعمال إلـى الله تعالى، قـال معـاذ بن جبل : إن آخـر كلام فارقتُ علـيه رسول الله صلى الله علـيه وآله وسلم أنْ قلتُ : أيُّ الأعـمال أحبُّ إلى الله ؟ قال : أن تموت ولسانُك رطْبٌ مِنْ ذكْرِ الله » [٣].

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى واللفظ له ، والبزار إلا أنه قال أخْبرنى بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه .

والذكر خير أعمالنا وأزكاها عند ربنا وأقوى الأسباب لرفع درجاتنا وخير من قتال الأعداء بلا إخلاص يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلي . قال : ذكر الله ، قال معاذ بن جبل : ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله »[(١)].

والذكر يصقل القلوب ويجلوها وينجي من عذاب الله قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ لكل شيء صقالةً وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتي ينقطع »[(٢)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما عمل آدمىٌّ عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى ، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولاالجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتّى ينقطع »[(٣)].

والذاكر هو أفضل العباد درجةً وأعلى رتبة ، فقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيُّ العباد أفضل درجةً عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذّاكرون الله كثيراً ، قال قلتُ يا رسول الله ومن الغازى ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتي ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجةً» رواه الترمذي وقال حديث غريب ، ورواه البيهقي مختصراً قال : قيل : يارسول الله أيُّ الناس أعظمُ درجةً قال : الذاكرون الله .

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبى الدنيا والترمذى وغيرهم..

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى من رواية سعيد بن سنان واللفظ له .

(٣) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

والذكر يهذب الأخلاق ويرقق الطباع فيربط علي قلب الخائف حتى يثبته في ميادين الجهاد ، ويصلح حال العاجز عن العبادة حتي ينشط لذكر الله ، ويصلح حال البخيل فيصير كريماً محموداً ببركة الذكر . قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من عَجز منكم عن الليلِ أن يكابِدَه وبخل بالمال أن يُنْفِقَه وَجبنَ عن العدَوِّ أن يجاهدَه فليُكْثِرْ ذكرَ الله »[١] .

وذكر الله وقاية من وساوس الخناس وحصن متين من الوقوع في المعاصي : فقد جاء في الحديث أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله أوحى إلى يَحيى بن زكريا بخمسِ كلمات أن يَعْملَ بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه ابطأ بهن فأتاه عِيْسى فقال : إنّ الله أَمَرَك بخمسِ كلمات أن تَعْملَ بِهنّ وتأمُرَ بني إسرائيل ان يعملوا بهنّ فإمّا ان تخبرهم وإمّا أن أخْبرَهم . فقال : يا أخي لا تَفعل فإنى أخافُ إن سَبَقْتَنى بهنّ أن يُخْسَفَ بى أو أُعَذّبَ. قال : فَجَمع بنى إسرائيل ببيت المَقدس حتى امتلأ الْسجدُ وقَعَدُوْا على الشُّرُفَاتِ ثُمّ خَطَبَهُم فقال : إن الله أوحي إليّ بخمس كلمات أن أعَمَلَ بهنّ وأمر بَنى إسرائيل أن يَعْمَلُوا بهنَّ أولُهُنَّ : لا تشركوا بالله شَيْئًا فإن مَثلَ من أشْرَكَ بالله كَمَثَل رَجُل اشْتَرى عبداً منْ خالص ماله بذهب أو وَرق ثم أسكنه داراً فقال : اعْمَل وَارْفَعْ إلَيَّ فَجَعَلَ يَعمل ويَرْفَع إلى غير سيده فَأيُّكم يرضى أن يكونَ عبدُه كذلك ، فإنّ الله خَلَقكم ورزَقكم فلا تُشرِكوا به شَيْئاً ، وإذا قُمتُم إلى الصَّلاة فَلا تَلْتَفتُوا فإن الله يُقْبل بوَجهه إلى وجه عَبْده ما لم يَلْتَفتْ ، وأمَركم بالصّيام ، ومَثَلُ ذلك كمثَل رَجُلٍ في عصابةٍ معه صُرَّة مسْك كُلُّهُم يُحبُّ أن يَجدَ رِيْحَهَا وإن الصِّيامَ أطيبُ عند الله من رِيح المِسْك ، وأمَركم بالصدقة ، ومَثَل

---

(١) رواه الطبراني والبزار واللفظ له ، وفى سنده أبو يحيي القتات وبقيته محتج بهم فى الصحيح . ورواه البيهقى من طريقه أيضا . .

ذلك كمثَل رجُـل أسَرَهُ العَدوُّ فأوْثَقُوا يَدَهُ إلي عُـنُقه وقَرَّبوا عُنُقَه فَـجَعَلَ يقولُ : هل لَكم أن أفدىَ نفسى منْكُمْ . وجَعل يُعطِي القليلَ : والكثيرَ حتي فدَى نَفْسَه وأمَركم بذكر الله كثيراً. ومَثَل ذلك كـمثَل رجلٍ طَلَبَه العَدُوُّ سراعاً فى أثَره حتى أتي حصْنا حصيناً فأحْرَزَ نَفْسَه فـيه وكذلك العبدُ لا يَنْجو من الشَّيْطَانِ إلاّ بذكر الله »(١). الحديث .

وقال صلى الله عليـه وآله وسلم « إن الشَّيْطانَ وَاضِعُ خَطْمَـه على قلْبِ ابن آدم فـإنْ ذَكَـر الله خَـنَس وإنْ نَسِيَ الْتَـقَم قَلْبَـه » رواه ابن ابي الدنيـا وأبو يعلَى والبيهقى .

والذاكر سابق لغيره يأتى يوم القيامة معزَّزاً مُبَجَّلا قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « سبق المُفَـرِّدُون . قـالوا وما المفـرِّدون يارسول الله ؟ قـال : الذاكرون الله كثيرا »(٢).

وروى الترمذى ولفظه : يارسول الله وما المفرّدون قال : « المُستَهْتَرون بِذكر الله يَضَعُ الذّكرُ عنهم أثقالَهم فيأتون الله يوم القيامةِ خِفَافاً » .

وذكر الله أحد الأربعة التي تجلب سعادة الدنيا والأخرة وتعطي الذاكر الثقة عن ابن عـباس رضى لله تعـالى عنهـما أن النبى صـلى الله عليه وآله وسلم قـال : أربع من أُعطِيَـهُن فقد أعطِىَ خـيَرى الدنيـا والأخرة : قلبا شـاكراً ولسـانا ذاكراً وبدنا على البَلاء صابراً وزوجةً لا تَبغِيه في نفسها وماله »(٣).

وذكر الله يوصل إلى الدرجـات السامية فـي الجنة ، ويرفع الذاكر إلى أعلى

---

(١) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

عليين وهو في الفرش الممهدة .

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَيذكُرَنَّ الله أقوامٌ في الدنيا علي الفُرُشِ المُمَهَّدةِ يُدخِلُهم الدرجاتِ العُلى »[1].

وذكر الله ينير القلب ويحييه ويزيل رانه ويهديه إلى الحق ويجعل الذاكر حيا ، وغير الذاكر قلبه خرب ومظلم وهو ميت .

عن أبي موسي رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مَثَل الذى يَذكر ربَّه والذى لا يذكر الله مثَل الحي والميت »[2].

والذاكرون يتباهي الله بهم أمام السفرة البررة ، فيسألهم وهو أعلم بهم : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله ملائكة يطوفون في الطُّرق يَلْتَمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يَذْكرون الله تنادوا هَلُمُّوا إلى حاجتكم فَيَحُفّونهم بأجنحتهم إلي السماء . قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي؟ قال : يقولون : يُسَبِّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك قال فيقول : هل رَأَوْني قال فيقولن : لا والله يارب ما رَأَوْك قال فيقول : كيف لو رَأَوْنى؟ قال فيقولون : لو رَأَوْك كانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول : فما يسألونى ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة قال فيقول: وهل رأوْها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوْها قال فيقول : فكيف لو رَأَوْهَا ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشدَّ لها طلبا وأعظم فيها رغبةً قال : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُون ؟ قال : يتعوّذون من النار

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق درّاج عن أبى الهيثم .

(٢) رواه البخارى ومسلم إلا أنه قال : مثل البيت الذى يذكر الله فيه .

قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشد لها مخافةً قال فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم . قال يقول مَلَك من الملائكة: فيهم فُلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة قال : هم القوم لا يَشْقي بهم جليسهم » .

وروي مسلم بلفظ قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سَيَّارة فُضَلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجَدوا مجلساً فيه ذكرٌ قَعدوا معهم وحَفَّ بَعضُهم بعضا بأجنحتهم حتي يملؤوا ما بينهم وبين السماء ، فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عزَّ وجَلّ وهو أعلم : من أينَ جِئْتُم فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض يُسبِّحونك ويُكبِّرونك ويهللونك ويحَمدونك ويَسْألونك قال : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا ياربّ . قال : وكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك قال مِمَّ يستجيروني؟ قالوا : من نارك ياربّ قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا يارب . قال : فكف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال يقولون : ربّ فيهم فُلانٌ عبدٌ خَطَّاء إنما مرّ فجلس معهم . قال : فيقول : وله غَفَرْتُ هم القوم لا يَشْقَى بهم جليسُهم .

والذاكرون يسعد العاصي بصحبتهم وينعم الشقي بمحبتهم ويتجلى الله على الفاجر الذي يودهم ويحضر مجالسهم ، ولو سأل شيئاً من عرض الدنيا يُعطاه ، لما جاء في الحديث السابق من قوله تعالى : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

والذاكرون يضمنون الغفران ويعتقدون برضا الله جل وعلا ولا ينصرفون عن الذكر إلا إذا امتلأت صحائفهم حسنات وتجلى الله عليهم بإنعامه : لما جاء

في الحديث السابق أن الله تعالى يقول لملأكته : أُشهِدكُم أنِّي قد غَفَرْتُ لَهُم .

والذاكرون في درجات سامية قريبة من رحمة الله وإحسانه يود النبيون والمجاهدون أن يدركوها مبالغة في إرضاء الله عز وجل عنهم تتلألأ وجوههم نوراً ونفوسهم بشراً وسروراً .

عن عمرو بن عبسة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، رجالٌ ليسوا بأنبياءَ ولا شُهداء يغشى بياضُ وجوههم نظَرَ الناظرين يغبِطُهم النبيون والشهداء بمَقْعَدِهم وقُرْبِهم من الله عز وجل. قيل يارسول الله من هم ؟ قال : هم جُمَّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فيَنْتَقُون أطايِبَ الكلام كما ينتقي آكِل التمر أطَايِبَه » (١) .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليَبْعَثَنَّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال : فجثا أعرابي على ركبتيه فقال يارسول الله جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ . قال : « هم المتحابُّون في الله من قَبَائِلَ شتَّى وبلاد شتَّى يجتمعون على ذكر الله ويذكرونه » (٢) .

والذاكرون تحيط بهم الملائكة وتعمهم الرحمة ويعلوهم الوقار والرضوان كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا يقْعُدُ قومٌ يذكرون الله إلا حفَّتْم الملائكةُ وغشيَتْهُم الرحمةُ ونزَلَتْ عليهم السَّكينةُ وذَكرهم الله فيمَنْ عنده » (٣) .

---

(١) رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به .
(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن .
(٣) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

والذاكرون تشاركهم الملائكة عبادتهم فيجلسون معهم ويفعلون كما يفعلون ويقولون كما يقولون ثم يصعدون بعملهم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لمّا مرّ بعبد الله بن رواحة وهو يُذكِّرُ أصحابه : أمَا إنكم الملأُ الذين أمرني الله أن أصبِرَ نفسي معكم . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ــ إلى قوله ــ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ، أما أنه ما جَلس عدَّتكم إلا جلَس معهم عدَّتهم من الملائكة إن سَبَّحوا الله سبحوه وإن حمدوا الله حمدُوه وإن كَبَّرُوا اللهَ كبّروه ، ثم يَصْعَدون إلى الربّ جلّ ثناؤه وهو أعلَم بهم فيقولون : ياربنا عبادُك سبَّحُوك فسبَّحْنا وكبّروك فكبّرنا وَحَمدُوْك فحمدنا فيقول ربُّنا جل وعلا ياملائكتي أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم فيقولون :فيهم فلان وفلان الخَطَّاء فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » [(١)].

والذاكرون مجالسهم هى رياض الجنة قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله سرايا من الملائكة تَحلّ وتقفُ علي مجالس الذكر في الأرض فارْتَعوا في رياض الجنة . قالوا : وأينَ رياضُ الجنة ؟ قال : مجالس الذكر فاغْدُوا أو رُوحوا في ذكر الله وَذَكِّرُوْهُ أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله يُنزِل العبد منه حيث أنزله من نفسه » [(٢)].

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع مَن أهلُ الكرَمِ فقيل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ أهل مجالس الذكر » [(٣)].

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وقال الحاكم صحيح
(٣) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وغيرهم .

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين أنه لا تدخل قلوبهم الحسرة ولا الأسى على أوقاتهم التي ملؤوها بالذكر : لما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليس يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الجنة إلاّ على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها »[1].

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين أنهم أهل الشكر : لما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله يقول يا ابن آدم : إنك إذا ذَكَرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني »[2].

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين أنهم هم المجاهدون وأنهم هم الصالحون : لما جاء في الحديث أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :« أيُّ المجاهدِين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً . قال : فأي الصالحين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة وفي كُلِّ ذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ، فقال أبو بكر لعمر : يا أبا حفص : ذهب الذاكرون بكلِّ خير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أجل »[3].

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم هم الملهَمون لما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما من يومٍ وليلة إلا ولله عز وجل فيه صَدَقَةٌ يمنُّ بها على مَنْ يشاء من عبادِه وما منَّ الله على عبدٍ بأفضلَ من أن

---

(١) رواه الطبرانى عن شيخه محمد بن ابراهيم الصورى . ورواه البيهقى بأسانيد أحدها جيد .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه أحمد والطبرانى .

يُلْهِمَهُ ذِكْرَه »[١].

ومن فضائل الذاكرين المشتغلين بالذكر بلا انقطاع ماجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مررت ليلة أسري بي برجلٍ مغيَّب في نور العرش قلت من هذا أهذا ملَك ؟ قيل : لا . قلت : نبي ؟ قيلَ : لا . قلت . من هو ؟ قال : هذا رجل كان في الدنيا لسانُه رَطْبٌ من ذكرِ الله وقلبه معلَّقٌ بالمساجد ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه »[٢].

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ماجعله الله لها من الفضل والثواب الدنيوي والأخروى لمن يأتي بالأذكار والأدعية النبوية .

فمن ذلك : أن من قال حين يصبح أو يمسي:

« اللهم إنى أصبحْتُ أُشْهدك وأُشهد حَمَلَةَ عرشك وملائكتَك وجميعَ خلْقك أنك أنت الله لا إله إلا أنتَ وحدَك لا شريكَ لك وأنَّ سيدَنا محمداً عبدُك ورسولك ــ أعتقَ الله رُبُعَهُ من النارِ ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرْباعِه من النار ، ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار »[٣].

وفي رواية « من قالها أربعا غَدْوةً وأربعا عشيَّةً ثم مات دخلَ الجنة »[٤].

ومن ذلك : أن من قال ثلاثا حين يمسي: « أمْسَينا وأمسي المُلْكُ لله والحمد لله كلُّه أعوذ بالله الذي يُمْسِكُ السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنه من شر ما

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا.

(٣) رواه أبو داود .

(٤) عند ابن عساكر

خلَق وذرأ ومن شر الشيطان وشِرْكه ـ حُفظ من كل شيطان وكاهن وساحر حتى يصبح ـ وإذا قالها حين يصبح حفظ كذلك حتي يمسي »[١].

ومن ذلك : أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ـ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هن معلقاتُ بالعرش ما بينهن وبين الله حجابُ قُلْنَ يارب تُهْبطُنا إلى أرضك وإلى من يعْصيك » قال الله تعالى : [إنى حَلَفْتُ لا يَقْرؤُكُنَّ أحدٌ من عبادي دُبرَ كلَّ صلاة إلا جعلتُ الجنّة مأواه على ما كان منه ، وإلا أسكَنْتُه حظيرة القُدْسِ ، وإلاَ نظَرْتُ إليه بعْيني المكْنونَة كل يوم سبعين نظرة ، وإلا قضَيْتُ له كلَّ يومٍ سبعين حاجةً أدناها المغْفِرةُ ، وإلا أعَذْتُه من كل عدوٍّ ونصرتُه عليه][٢].

ومن ذلك : « أنه ما من عبد يقول في صباحِ كلّ يومٍ ومساءِ كلِّ ليلة :

[بسم الله الَّذى لا يَضُرُّ مَعَ اسْمه شَيْءٌ في الأرْضِ وَلا في السَّمَاء وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيْمُ] ثلاث مّرات إلا لم يضرّه شيءٌ ولم تصبهْ فجْأةُ بلاءٍ][٣].

---

(١) أخرجه ابن السنى.

(٢) أخرجه ابن السنى.

(٣) أخرجه أبو داود وغيره.

ومن ذلك « أن من قال حين يصبحُ وحين يمْسى : (أعُوْذُ بِكَلِمات اللهِ التَّامَّات مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) لم يضُرَّه شيءٌ »[١].

ومن ذلك ـ « أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرؤهما عبدٌ في دارٍ فتصيبَهم ذلك اليومَ عينُ إنس أو جن »[٢].

ومن ذلك ـ « أن من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات : (رضيتُ بالله ربّاً وبالإسْلامِ دِيناً وبُمَحَّمدٍ نبِيّاً ورَسُولاً) كان حقّاً على اللهِ أن يُرضيَه يومَ القِيَامة »[٣].

ومن ذلك : (حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الوَكِيْلُ) أمانُ كلِّ خائفٍ »[٤].

ومن ذلك : أن من قرأ هذه الآيات العشْرَ أول النهارِ لم يَقْرُبْه شيطانٌ حتى يمْسيَ وإن قرأها حين يُمْسى لم يَقْرُبْه شيطانٌ حتى يصبحَ ولا يَرى شيئا يَكْرَهُ في أهله وماله ، وإن قرأها علي مجنونٍ أفاقَ : (وهن ـ أول سورة البقرة ـ إلى ـ المفلحون ، وآية الكرسى ، والآيتان بعدها . وثلاث آيات من آخر سورة البقرة»[٥].

ومن ذلك ـ « أن من قرأ في ليلةٍ هذه الآيات الثلاثَ والثلاثين لم يضُرَّه

(١) رواه الطبرانى . ورواه الترمذى وقال : ثلاثا وقال : من قاله وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه فإن مات مات شهيدا.

(٢) رواه الديلمى وغيره .

(٣) أخرجه الإمام أحمد وغيره هكذا جمع بينهما الحافظ السيوطى فى الكلم الطيب ورواية أبى داود رسولا فقط .

(٤) أخرجه أبو نعيم .

(٥) رواه البيهقى .

في تلك الليلة سَبُعٌ ضار ولا لصٌّ طَارِىءٌ وعُوفِيَ بنفسه وأهله وماله حتى يُصْبحَ » [(١)]. (وهن : أولُ سورة البقرة ـ إلى ـ المفلحون وآيةَ الكرسى وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة و ـ إنَّ ربَّكُمُ اللهُ الذى خَلَقَ السَّمَوات والأرْضَ في ستَّة أيّام ثُمَّ اسْتَوى عَلى الْعَرْش يُغْشى اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيْثاً ـ إلى ـ إنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيْبٌ منَ الْمُحْسنِيْن ، ـ قُلِ ادْعوا الله أو ادْعُوا الرَّحْمنَ ـ إلى آخر سورة الإسراء ، والصَّافّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراَت زَجْراً ـ إلى ـ إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِيْن لازب ، و ـ يامَعْشَرَ الجنِّ وَالإنْسِ إن اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا منْ أقْطار السَّمَوات والأَرْض فانْفُذُوا ـ إلى ـ يُرْسلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ منْ نَار وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصران و ـ لَوْ أنْزَلْنا هذا الْقُرْآن عَلى جَبَلٍ ـ إلي آخر سورة الحَشر ، ـ وأنهُ تعالى جَدُّ رَبِّنا ـ إلى ـ شَطَطاً ، رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مَنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ) .

ومن ذلك أن من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء لا إله إلا الله بعد كل شيء لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء عوفي من الهم والحزن [(٢)].

ومن ذلك ـ « أن من قال : (أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبدُه ورسوله وأنَّ عيسى عبدُ الله وابنُ أمته ورسولُه وكلمتُه ألْقاها إلى مريم وروحٌ منه وأن الجنةَ حقٌّ والنارَ حق)أدْخله اللهُ الجنةَ على ما كان من عَملٍ من أبوابِ الجنَّة الثمانية أَيَّها شاء » [(٣)].

ومن ذلك ـ « أن من قال : (سبحانَ الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشْهَدُ أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمتُ نفسى

---

(١) أخرجه ابن النجار .

(٢) أخرجه الطبرانى .

(٣) أخرجه الشيخان .

فاغفرْ لي وتُبْ عليَّ إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت) ثلاث مرات في مجلس ذكر كان كالطابَع يُطْبَعُ عليه ، ومن قاله في مجلس لغوٍ كانت كفارة له » [1].

ومن ذلك ـ « أن من قال حين يصبح (لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، له المُلْكُ وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخيرُ وهو على كل شيء قديرٌ) عَشْرَ مرات كتب الله له بكلٍّ واحدة قالها عشر حسنات ومحا عنه بها عشر سَيئات ورفعه بها عشرَ درجات وكُنَّ له كعتق عشر رقاب وكُنَّ له مَسْلَحةً من أول النهار إلي آخره ولم يعملْ يومئذ عملا يُقاوِمهُنَّ فإن قالها حين يُمْسِي فكذلك » [2].

ومن ذلك « أن من قال : (اللهم فاطرَ السموات والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادة إني أعهَدُ إليك في هذه الحياة الدنْيا أنَّني أشهَدُ أن لا إله إلا أنت وحدَك لا شريكَ لك وأن محمدا عبدُك ورسولُك فإنك إن تَكلْني إلى نفسي تُقرِّبْني من الشرِّ وتباعدْني من الخير وإني لا أثقُ إلا برحمتك فاجعَلْ لي عندك عهْداً تُوَفِّيْنيه يومَ القيامة إنك لا تُخْلفُ الميعاد) قال الله عز وجل يومَ القيامة لملائكته إن عبدي عهدَ عندي عهْدا فأوْفُوه إياه فيُدْخلهُ الله الجنةَ) [3].

ومن ذلك ـ « أن من قرأ آية الكرسي وخَواتِيمَ سورة البقرة عند الكرْبِ أغاثه الله عز وجل » [4].

ومن ذلك ـ « أن من قال : (لا إله إلا الله واللهُ أكبر لا إله إلا الله وحدَه لا إله إلا الله لا شريك له لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلا الله ولا حول

---

(١) أخرجه النسائي وغيره .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره .

(٣) أخرجه الإمام أحمد برجال الصحيح .

(٤) أخرجه ابن السني .

ولا قوة إلا بالله) في يوم أو في ليلة أو في شهرٍ ثم مات في ذلك اليومِ أو في تلك الليلة أو في ذلك الشهر غُفِر له ذنبُه »[١].

ومن ذلك ــ « أن من قرأ (حم ــ المؤمن إلى قوله ــ المصير ، وآية الكرسي) حين يُصْبِح حُفِظ بهما حتى يمسيَ ومن قرأهما حين يمسى حفظَ بهما حتى يُصبِحَ »[٢].

ومن ذلك ــ « أن من عليه دين ولو كان مثل أُحد ثم قال : (اللهم فارِجَ الهمِّ كاشفَ الغمِّ مجيبَ دعوة المُضطَّرِّين رحمانَ الدنيا والآخرة ورحيمَهما أنت ترحمُني فارْحَمْني رَحْمةً تُغْنِني بها عن رَحْمَةِ مَنْ سواك) لقَضاهُ الله عز وجلّ »[٣].

ومن ذلك ــ « أن كلمات من قالهُنّ أوّلَ نهاره لم تصبه مصيبةٌ حتى يُمْسِيَ ومن قالهن آخر النهار لم تصبْه مصيبةٌ حتي يصبِحَ (اللهَّم أنتَ ربى لا إله إلا أنتَ عليك توكلْتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يَكُنْ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلَمُ أنّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ وأن الله قد أحاطَ بكل شَيءٍ علما)[٤].

ومن ذلك ــ « أن من قرأ (شهد الله أنَّه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ، وأنا أشهَد بما شهد الله به واستودِعُ الله هذه الشهادة وهي لى عنده وديعةٌ) جِيءَ به يوم القيامة فقيل : عبْدى هذا عهدَ إليَّ عهْدا وأنا أحقَ منْ أوفى بالعهد أَدْخلوا

---

(١) أخرجه النسائى .

(٢) أخرجه الترمذى وغيره.

(٣) رواه الحاكم وغيره .

(٤) أخرجه ابن السنى .

عبدى الجَنَّةَ »[١].

ومن ذلك ـــ « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى رضى الله تعالى عنه ألا أُعَلِّمُكَ كلمات إذا قلتَهن غُفِرَتْ ذنوبُك وإن كانتْ مثلَ زَبَد البحرِ أو مثلَ عدد الذَّرّ مع أنه مغفورٌ لك (لا إله إلا الله الحليمُ الكريم لا إله إلا الله العليمُ العظيم سبحان الله ربِّ السموات السبع ورب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين »[٢].

ومن ذلك ـــ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهما : إذا أتيتَ سُلطانا مهيْباً تخاف أن يسْطوَ بك فقل : (الله أكبر الله أكبر ألله أعزُّ منْ خلْقه جميعا الله أعزُّ مما أخافُ وأحذَرُ أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو المُمْسكُ السماءَ أن تقَع على الأرض إلا بإذنه من شَرِّ عبده فلان (ويسمّى من يخاف شره) وجنوده وأتباعه وأشْياعه من الجنِّ والإنس اللهم كُنْ لى جارا من شَرِّهم جلَّ ثناؤُكَ وعَزَّ جارُك وتَبارَكَ اسمُك ولا إله غيرك) ثلاث مرات »[٣].

ومن ذلك ـ « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : ألا أعلِّمُك دعاءً تدعو به فلو كان عليك أمثالُ الجبال من الدَّيْن قضاه الله تعالى : قال : معاذُ : قلتُ بلى. قال : (قُلِ اللّهُمَّ مالكَ المُلْك تُؤْتى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ ممَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ تشاءُ بيَدكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَديرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهار وَتُولِج النَّهارَ في اللَّيْلِ وَتخرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّت وَتُخرِجُ المَيتَ مِنَ الحيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بغَيرِ حساب رحمن الدنيا والأخرةِ ورحيمَهما تُعْطى من تشاء منهما وتَمنعُ من تشاء ارْحَمنِى رحمةً

(١) رواه أبو الشيخ . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) أخرجه الطبرانى وغيره بسند صحيح .

تُغْننى بها عن رحمة مَنْ سواك .. اللهم أَغْننى من الفقرِ واقضِ عَنى الدَّينَ وتَوفَّنى فى عبادتِك وجهادٍ فى سبيلك) »[١].

ومن ذلك ــ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اسم الله الأعظم الذى إذا دُعىَ به أجابَ فى هذه الآية : (قلِ اللهم مالكَ المُلْك تُؤتى المُلْكَ مَنْ تشاء وتنزِعُ المُلْكَ ممَّنْ تشاء وتُعزُّ من تشاء وتُذلُّ من تشاء بيدكَ الخيرُ إنَّك على كلِّ شَىْءٍ قدير تُولِجَ الليلَ فى النهار وتولج النَّهارَ فى الليل وتُخْرجُ الحَىَّ من المَيِّت وتخرج الميت من الحى وترزق مَنْ تشاء بغيرِ حساب)[٢].

ومن ذلك ــ « أن من قال كل يوم مرة (سبحانَ القائم الدائم سبحان الحى القيومِ سبحان الحىِّ الذى لا يموت سبحان الله العظيم وبحمده سبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكة والرُّوحِ سبحانَ العلىِّ الأعلى سبحانه وتعالى) لم يمُتْ حتى يرَىٰ مكانه من الجنَّة أو يُرَىٰ له »[٣].

ومن ذلك ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كلمتان خفيفتان على اللِّسانِ ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) »[٤].

ومن ذلك ــ « ما جاء فى قصة قبيصة أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كبُرَتْ سنِّى يارسولَ الله ورَقَّ جلدى وضعُفَت قُوّتى وهنْتُ على أهلى وعَجزت عن أشياء كنتُ أعملها ! فعلِّمْنى كلمات يَنْفَعُنى الله بهِنَّ فأوجزْ . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ياقَبِيصَةُ ــ قلْ ثلاث مرات إذا صلّيتَ

(١، ٢) أخرجه الطبرانى.

(٣) أخرجه ابن عساكر .

(٤) أخرجه الشيخان

الغداة(سبحانَ الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلى العظيم) .. فإنكَ إن قُلْتَ ذلك أمنْتَ بإذن الله من العَمَى والجُذام والبَرصِ . وقل : (اللهم اهْدِنى من عندِكَ وأفِضْ علىَّ من فضلِك وأسبغ علىَّ رَحمتَك وأنزِلْ علىّ من بَركاتك) [١].

ومن ذلك - « أن من صلى الفجرَ فى جماعة وقعد فى مصلاه وقرأ ثلاث أيات من أول سورة الأنعام وكَّل الله به سبعين ملَكاً يسبحونَ الله ويستَغْفِرونه إلى يوم القيامة »[٢].

ومن ذلك « أن من قال فى دبُرِ الصلاة بعد ما يسلِّم هؤلاء الكلمات كتبها ملَكٌ فى رَقٍّ فختُم بخاتَمٍ ثم رفَعها إلى يومِ القيامةِ فإذا بعثَ اللهُ العبدَ منْ قبرِه جاءه المَلَكُ ومعه الكتابُ . فيقول أين أهلُ العُهودِ حتى تُدْفَعَ إليهم .

والكلمات هى : (اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إنى أعهَدُ إليك فى هذه الحياة الدنيا بأنّك أنت الله لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريكَ لك وأن محمدا عبدُك ورسولك فلا تَكلْنى إلى نفسى فإنك إن تَكلْنى إلى نفسى تُقَربْنى من الشر وتباعدنى من الخير وإنى لا أثقُ إلا برحمتك فاجعَلْ رحمتَك لى عهداً عندك تؤدِّيه إلىَّ يومَ القيامة إنك لا تخلفُ الميعاد) [٣].

ومن ذلك - « أن من قرأ هذه الآيات أو حملَها لو نزلَ عليه العذابُ مثل أُحدٍ لرفعه الله عنه ببركتها ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ـ إلى قوله ـ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [٤]. « من سورة التوبة » .

---

(١) أخرجه ابن السنى.

(٢) أخرجه الديلمى.

(٣) أخرجه الحكيم.

(٤) نقله الشرجى فى فوائده .

ومن ذلك ــ أن النبى صلى الله عليه وآه وسلم قال : (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفرُ الله وأتوبُ إليه) من قـالها كُتِبَتْ كما قالها ثم عُلِّقَتْ بالعرش لا يمْحوها ذنبٌ عـملَه صاحبها حتى يلقى الله تعـالى يومَ القيامة وهى مختومةٌ [١].

ومن ذلك ــ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما يمنعُ أحدَكم إذا عسر عليـه أمر معيشـته أن يقولَ إذا خرج من بيته : (بـسم الله على نفسى ومالى ودينى اللهم رضِّنى بقضائك وبـارك لى فيما قَدَّرتَ لى حتى لا أحِبَّ تعـجيلَ ما أخّرتَ ولا تأخيرَ ما عَجَّلت »[٢].

ومن ذلك ــ « أن من لزم قـراءة : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ لم يمت هدْماً ولاغَرقا ولا حَرقاً ولا ضَرْباً بحديدة »[٣].

ومن ذلك ــ « أن من قال حين يصبحُ وحين يمسى : (حـسبى الله) سبعَ مرات كفاه الله ما أهَمّه من أمر الدنيا والآخرة »[٤].

ومن ذلك ــ « أن من قال : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ بعد صلاة الصبحِ سبعَ مرات كفـاه الله يومَه ذلك وإن لم يكُنْ صَادقـاً فى توكُّلـه ، وإن قـالها مسـاءً فكذلك

---

(١) أخرجه البزار .

(٢) رواه ابن السنى .

(٣) أخرجه العراقى فى تخريج أحاديث الأحياء

(٤) أخرجه ابن السنى .

حتى يصبحَ)[١].

ومن ذلك ـ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من سَرَّه أن يُنْسَأ فى عمره ويُنْصَرَ على عدُوِّه ويُوسَّع عليه فى رزقه ويُوْقى ميْتَة السوء فليقُلْ حينَ يُمْسى وحينَ يُصبحُ ثلاثَ مرات : (سبحان الله مِلْءَ الميزانِ ومُنْتَهَى العلْمِ ومَبْلغَ الرِّضا وزِنةَ الْعرْشِ)[٢].

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة رضى الله تعالى عنها قال : يا عائشةُ ألا أعلمُك كلمات تعدلُ أو تفْضُلُ تسبيحَ أهلِ السَّموات والأرض . تقولِيْنَ : (سبحان الله العظيمِ وبحَمده أضعافَ ما يسَبِّحُه جميعُ خلقهِ وكَما يُحبُّ ويَرْضى وكما ينْبَغى له) »[٣].

ومن ذلك ـ « أن النبَّى صلى الله عليه وآله وسلم قال لبعض بناته : قُولى حين تُصْبحين : (سبحان الله وبحمده ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كلِّ شىْء قدير وأن الله قدْ أحاطَ بكلِّ شَىْء علماً) فإن من قالهن حين يصبِحُ حُفِظ حتى يُمْسىَ ـ ومن قالهن حين يُمْسىً حُفِظ حتى يُصْبِحَ »[٤].

ومن ذلك ـ « دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنِّى كُنْتُ من الظالمين) لم يَدْعُ بها مسلم فى شَىْءٍ قطُّ إلا استَجابَ الله له »[٥].

---

(١) حديث الإحياء .
(٢) أخرجه الديلمى .
(٣) أخرجه الدارقطنى
(٤) أخرجه أبو داود .
(٥) رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الحاكم .

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا نزل بأحدكم همٌّ أو غمٌّ أو سَقَمٌ فليقُلْ : (آللهُ الله ربِّى لا أُشْرِكُ به شيئا) ثلاثا »[١].

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأنس رضى الله تعالى عنه إذا طلَبْتَ حاجةً فأحببْتَ أن تنْجحَ فقُلْ : (لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحليمُ الكريمُ بسم الله الذى لا اله إلاَّ هو الحَىُّ الحكيمُ سبحانَ الله ربِّ العرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ الْعالمينَ كأنَّهُمْ يومْ يرونَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يلْبَثُوا إلاَّ ساعَةً منْ نَهار بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ الْقَوْمُ الْفاسقُونَ . كَأَنَّهُمْ يوْمَ يرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشيَّةً أوْ ضُحاها ، اللهم إنى أسأُلكَ موجبات رحمتك وعَزائمَ مغْفرتك والغنيمة من كلِّ برٍّ والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ ، اللهم لَا تدَعْ لى ذنباً إلا غفَرْتَه ولا همّاً إلاّ فرَّجْتَه ولا ديناً إلا قضَيْتَه ولا حاجةً من حوائجِ الدُّنيا والآخرةِ إلاّ قضَيْتَها برحمتك يا أرحمَ الرّاحمين ، اللهم أنتَ تحكُم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، لَا إله إلا الله العلىُّ العظيم ، لا إله إلا اللهُ الحَلِيْمُ الكريمُ سبحان الله ربِّ السموات السَبْعِ وربِّ العَرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، اللهم كاشفَ الْغَمِّ مُفرِّجَ الهَمِّ مُجيبَ دعْوَةَ المضطَرِّيْنَ إذا دَعَوْكَ رحمنَ الدُّنيا والأخرةِ ورحيمَهُما فارْحَمْنى فى حاجَتى هذه بقضائها ونجاحها رَحْمَةً تُغْنينى بها عَنِ رحمةَ مَنْ سواك ، اللهم يا مُؤْنسَ كلِّ وحيدَ وياصاحبَ كلِّ فريد ويا قريباً غيرَ بعيدَ ويا شاهداً غيرَ غائب ويا غالباً غيرَ مَغلُوب يا حَىُّ ياقيُّومُ ياذَا اجلالِ والإكرامِ يا بديعَ السَّموات والأرض، اللهم أسْأُلُكَ باسْمك بسم الله الرحمن الرحيم الحىِّ القيُّوم الذى لَا تأخُذُهُ سنَةٌ ولا نَومٌ ، وأسأُلُك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحَىِّ القيُّوم الّذى عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ وخشَعَتْ له الأَصْواتُ ووَجِلَتْ له القُلُوبُ أن تُصَلِّىَ على سيدِنا محمدٍ وأن تقْضِىَ حاجَتى (ويسمِّى

---

(١) أخرجه أبو داود .

حاجته) اللهم إنى أسألُك وأتَوجَّهُ إليك بنبيِّك سيِّدنا محمد نبيِّ الرحمةِ صلى الله عليه وآله وسلم يا سيِّدَنا يا محمدُ إنى تَوَجَّهْتُ بك إلى ربِّى فى حاجتى هذه لتُقْضى (ويسمى حاجته) اللهم فشفِّعْه فِيَّ وشفِّعْنى فى نفْسى » [١].

ومن ذلك ــ « أن من حَفِظ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجَّال» [٢].

« وكذلك من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف » [٣].

ومن ذلك ــ « أن من قال حين يصلى الغَداة (سبحان الله عددَ خلقه ، سبحان الله رضا نَفْسه ، سبحان الله زنَةَ عرْشه والحمد لله مثلَ ذلك ولا إله إلاّ الله مثْلَ ذلك) فذلك خيرٌ له من أن يَجْمَعَ ما بين المشرق والمغرب ويَدْأبُ الملائكةُ يكْتُبون ولا يُحْصُون ما قال » [٤].

ومن ذلك ــ ما جاء أن عليا رضى الله تعالى عنه سأل رسولَ الله شيئا من الدنيا فقال : والذى بعَثنى بالحقِّ نبيّاً ما عنْدى قليلٌ ولا كثيرٌ ولكن أُعَلِّمكَ شيئا أتانى به جبريلُ عليه السلام فقال : يا محمد هذه هديَّةٌ من الله تعالى إليك لم يُعطَهَا أحدٌ قبلَك لا يدعو بها مَلْهوفٌ ولا مكْروبٌ ولاَ عبدٌ خائفٌ من سُلطان إلاّ فرَّجَ اللهُ عنه (اللهم يا عمادَ مَنْ لا عمادَ له ، يا سَنَدَ من لا سندَ له ، يا ذُخْرَ مَنْ لا ذُخْر له يا غياثَ مَنْ لاَ غياثَ له، يا كريمَ العفْو يا حسَنَ التجاوُز يا كاشفَ البلاء يا عظيمَ الرجاء ياعونَ الضُّعفاء يامُنْقذَ الْغَرْقى يا مُنْجى الْهلَكْى ، يا مُحْسِنُ يامُجَمِّلُ يا مُنْعِمُ يا مُفَضِّل أنتَ الذى سَجَد لك سوادُ اللَّيلِ ونُورُ

---

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) أخرجه ابن عساكر.

النهارِ وضوءُ القمرِ وشُعاعُ الشمسِ ودَوِيُّ الماءِ وخفُيقُ الشَّجَرِ يا أللهُ لا شريكَ لكَ يارَبِّ يارَبِّ يارَبِّ) ثم تدْعو بحاجتِك فلا تقومُ من مقامِك حتى تُقْضَى لك ولا تعلِّموهـا السُّفهاءَ» (١).

ومن ذلك - « أن من قرأ مِنْ قد أفلحَ المؤمنُونَ عشرَ آياتٍ بنى اللهُ له بيتاً فى الجنَّة » (٢).

ومن ذلك - « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما مِنْ عبْدٍ يبْسُطُ كفَّيه فى دُبُرِ كلِّ صلاة ثم يقولُ : (اللهم إلهى وإلهَ إبراهيم وإسحاقَ ويعْقوبَ وإلهَ جبريلَ وميكائيلَ وإسْرافيلَ أسألُك أن تسْتَجيبَ دعوَتى فإنِّى مُضْطَرٌّ وتعْصمَنى فى دينى فإنّى مُبْتَلًى وتنالَنى برحمتك فإنّى مُذْنبٌ وتَنْفىَ عنى الفقْرَ فإنى مِسْكِينٌ) إلا كان حقا على الله أن لا يَرُدَّ يديه خائبتَيْنِ» (٣).

ومن ذلك - « أن من قال حينَ يُصْبِحُ : (فسبحان الله حين تُمْسُون - إلى قوله - تُخرَجُون) أدركَ ما فاته فى يومِه ذلك ، ومن قال حين يمسى أدرَك ما فاته فى ليلته » (٤).

وفى رواية « مَنْ قال حين يُصبحُ ثلاثَ مرات (فسبحانَ الله حينَ تُمْسونَ - إلى آخرها) لم يَفُتْهُ خَيْرٌ كان قَبْلَهُ من اللَّيلِ ولم يُدْرِكْه يومَه شرٌّ . ومن قالها حين يُمْسى مثلهُ » (٥).

---

(١) أخرجه أبو الفتح المقدسى.

(٢) رواه ابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن السنى.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه الحافظ ابن حجر.

ومن ذلك ــ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما أصاب مُسْلماً قطُّ همٌّ ولا حُزْنٌ فقال : (اللهم إنّى عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمتك فى قَبْضَتك ، ناصيَتى بيدك ماضٍ فىَّ حُكْمُك ، عدْلٌ فىَّ قضاؤُكَ أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هُوَ لكَ سميتَ به نفْسَك ، أو أنزَلْتَه فى كتابك أو علَّمْتَه أحداً من خلقك أو استأْثَرْتَ به فى علمِ الغيب عندَك أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قَلْبى ونورَ بصَرى وجَلاءَ حُزْنى وذهابَ همِّى وغمِّى) إلا أذهبَ اللهُ همَّه وأبْدَلَه مكانَ حُزنِه فرجاً »[1].

ومن ذلك ــ « ما جاء فى قصَّة رجُلٍ جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسَلَّم فلما جلَس قال : « الحمدُ لله حمْداً كثيرا طيباً مباركاً فيه كما يُحب ربُّنا أن يُحمدَ وينْبَغى له) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف قلتَ ؟ فرد عليه كما قال . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : والَّذى نفسى بيده لقد ابتَدرَها عشرةُ أمْلاك كلُّهم حريصٌ على أن يَكْتُبَها فما دَرَوْا كيفَ يكْتُبُونها لكثرة ثوابها حتى رفَعُوها إلى ذى العزَّة فقال : اكْتُبوها كما قال عبدى وَعَلَىَّ جزاؤُه بها »[2].

ومن ذلك ــ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا شَجاك شيطانٌ أو سلطانٌ فقل: (يامن يُكْفى عن كُلِّ أحد ولا يكفى عنه أحدٌ يا أحدَ مَنْ لا أحدَ له يا سندَ مَنْ لا سندَ له انقطَعَ الرَّجاءُ إلاَّ منْك نَجِّنى ممّا أنا فيه وأعنِّى على ما أنا عليه مما قد نَزَل بى بجاهِ وجهِك الكريم وبحَقِّ سَيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم آمين آمين » .

ومن ذلك ــ « أن من قال : (الحمد لله الذى تواضَعَ كلُّ شيء لعظَمته ، والحمد لله الذى ذَلَّ كلُّ شيءٍ لعِزَّته، والحمدُ لله الذى خَشع كلُّ شيء لمُلْكِه ،

---

(١) أخرجه الحاكم .

(٢) أخرجه الإمام أحمد برجال ثقات .

والحمد لله الذى استَسْلَمَ كلُّ شىء لقُدْرَته) يطلبُ ما عند الله كَتَب اللهُ له بها ألفَ حسَنَة ورفَعَ له بها الْفَ درجةٍ وَوُكِّل به سبعونَ ألفَ مَلكٍ يستَغْفِرون له إلى يومِ القيامة »[١].

ومن ذلك ـ ما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لما أهْبَطَ اللهُ أدمَ إلى الأرضِ جاءَ الكعبةَ وصلى ركعتين ، فألْهَمَه الله هذا الدُّعاءَ : (اللَّهمَّ إنَّكَ تعلمُ سريرَتى وعلانيَتى فاقَبلْ مَعْذرَتى وتعلَمُ حاجَتى فأعطنى سُؤْلى وتعلَمُ مافى نفْسى فاغفرْ لى ذَنْبى . اللُّهمَّ إنىّ أسألُك إيمانا يباشرُ قَلْبى ويقينا صادقاً حتى أعْلَمَ أنَّه لا يُصيبُنى إلا ما كَتَبْتَ لى ورَضِّنى بما قَسَمْتَ لى) فأوحى اللهَ إليه يا آدم قد قَبلتُ توبَتَك وغفَرتُ لك ذنبكَ ولم يدعُنى أحَدٌ بهذا الدعاءِ إلا غفَرْتُ له ذنبَه وكَفيْتُه المُهِمَّ من أمْره وزَجَرْتُ عنه الشَّيطانَ واتَّجَرْتُ له مِنْ وراءِ كلِّ تاجرٍ وأقبلتْ إليه الدنيا راغمةً وإن لم يُردْها »[٢].

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا تخوَّفَ أحدُكم السُّلطانَ فليقل : (اللهم ربَّ السموات السَبْعِ وربَّ العرْشِ العظيم كُنْ لى جَاراً منْ شَرِّ فُلاَن ابن فلان وشرِّ الجنِّ والإنس وأتباعهم أن يَفْرُطَ علىَّ أحدٌ منهم أو أن يَطْغَى عزّ جارُك وجلَّ ثناؤُك ولا إله غيرُك)[٣].

ومن ذلك ـ « أن من قرأ خواتيمَ الحشر من ليلٍ أو نهار فقُبِض فى ذلكَ اليومِ أو الليلةِ فقد أَوْجَبَ الجنة »[٤].

ومن ذلك ـ « ما جاء أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخلَ المسجدَ ذاتَ

---

(١) أخرجه الطبرانى.

(٢) أخرجه الطبرانى.

(٣) أخرجه الطبرانى .

(٤) رواه البيهقى .

يوم. فَإذَا هو برجُلٍ من الأنصارِ يقـال له أبو أُمامةَ . فقال : يا أبا أمـامةَ . مالى أراك جـالساً فى المَسـجـد فى غيـر وقت صـلاة . قال : همـومٌ لَزِمَـتْنى وديونٌ يارسـول الله . قـال : أفلا أُعَلِّمُك كـلامـاً إذا قلتَـهُ أَذْهَبَ الله هَمَّكَ وقَـضى عنك دَيْنَك قلتُ : بلى يارسـولَ الله قال : قل إذا أصبَحتَ وإذا أمسَيتَ : (اللهم إنى أعوذُ بك من الهَـمِّ والحزَنِ وأعوذ بك من العـجْزِ والكَسَلِ وأعـوذ بك من الجُبْنِ والبُخْلِ وأعوذ بك من غَلَبَةِ الدَّيْن وقهْرِ الرجالِ) » [١] .

ومن ذلك ــ أن من قال حين يصـبحُ وحين يُمْسى (اللهم أنت ربى لا إله إلا أنتَ خلقْتنى وأنا عـبْدُك وأنا على عَهْـدك ووعْدك ما استَطَعْتُ أعوذُ بك من شـر ما صنَـعْتُ أبوءُ لك بنِعـمتك علَىَّ وأَبوءُ بـذنْبى فاغـفـرْ لى فإنـه لا يغفـرُ الذُّنوبَ إلا أنت) فمات مِنْ يومِه أو ليلته دخلَ الجَنَّةَ » [٢] .

ومن ذلك ــ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأنس رضى الله تعالى عنه ألا أعلِّمُك مـا علَّمَنى جبـريلُ ، إذا كانت لك حـاجةٌ إلى بخـيلٍ شحـيحٍ أو سلطان جائر أو غريم فاحش تَخافُ فُحْشَهُ فقل : (اللهم إنك أنت العزيزُ الكبيرُ وأنا عبـدُك الضَّعيفُ الذليلُ الـذى لا حول له ولا قوةَ إلا بك .. اللهم سَـخِّرْ لى فلانا كـما سَـخَّرْتَ فرعـونَ لموسى ولَيِّنْ لى قلبَه كـما لَيَّنْتَ الحـديدَ لداودَ فإنه لا ينطقُ إلا بإذْنك ناصِيتُهُ فـى قَبْضَـتك . قلبُه فى يدِك . جلَّ ثناءُ وجـهِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين) [٣] .

ومن ذلك ــ أن من قـال عَشْـرَ كَلمـات عندَ دبُرِ كلِّ صـلاة غداة وجَـدَ الله عندهُنّ مُكْفِيًا مُجْزِيًا خَمسُ للدنيـا وخَمسٌ للآخرة (حسبى الله لِدِيْني حسبى اللهُ

---

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره .

(٣) أخرجه الديلمى .

لما أهَمَّنى حسبى الله لمن بَغَـى عَلَىَّ حسبى الله لمن حَسَدنى حـسبى الله لَمنْ كادَنى بسُوء حسبى الله عندَ الموت حسبى الله عند المَسْألَة فى القَبْر حسبى الله عند الميزان حسبىً الله عِنْدَ الصراطِ حسبى الله لا إله إلا هو علَيه توكّلْتُ وإليه أُنيبُ) » [١].

ومن ذلك ـ « مـا جاء عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه أنه قـال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : خُذوا جُنّتَكُمْ . قلنا : يارسول الله أمن عدُوٍّ حضرَ؟ فقال : خذوا جُنّتكم من النار قُولوا (سبحان الله والحمدُ لله ولا إله إلا اللهُ والله أكـبـر ولا حولَ ولا قـوة إلا بالله) فـإنهُنَّ يأتيْنَ يـومَ القيـامـة مستَقْدمَات مُنْجيات ومُجنّبات وهُنّ الباقياتُ الصالحاتُ » [٢].

ومن ذلك ـ « أن قـولَ (اللهم إنك خلاَّق عظـيمٌ إنك سمـيعٌ عليم إنك غَفور رحـيمٌ إنك ربُّ العرْشِ العظيمِ اللهم إنَّكَ أنْتَ البَرُّ الجَـوَادُ الكريمُ اغفر لى وارْحَمْنى وعـافنى وارْزُقْنى واسْتُرنى وأُجُرْنـى وارْفَعْنى وَلا تُضلَّنى وأدْخلْنى الجَنَّةَ برحـمتك يا أَرْحمَ الراحـميـن) يجْمَعُ خـيرَ الدنيـا والآخرةِ كـما جـاء فى الحديث » [٣].

ومن ذلك ـ مـا جـاء عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم أنه قـال : أمـانٌ لأمتى من الغَرقِ إذا ركبوا أن يقْرءوا ﴿ بِسْمِ اللَّه مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾﴿ وَمَا قَـدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَـمِيعًـا قَـبْضَتُـهُ يَوْمَ الْقِـيَامَـةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٤].

---

(١) أخرجه الترمذى فى نوادر الأصول .

(٢) رواه الطبرانى بسند صحيح .

(٣) أخرجه الديلمى .

(٤) رواه ابن السنى .

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو أنَّ رجلا مُوْقناً قرأها على جبلٍ لزال : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ »[1].

ومن ذلك ـ « أن من قرأ فى مُصْبَحٍ أو مُمْسًى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ـ إلى آخر السورة ﴾ لم يَمُتْ قلبُه ذلكَ اليومَ ولا فى تلك الليلة »[2].

ومن ذلك ـ أن هذا الدعاء يُذْهِبُ الفزَعَ كما جاء فى الحديث : « أعوذُ بكلمات الله التَّامَّات من غَضَبِه وعقابِه ومن شرِّ عبادِه ومن همزَاتِ الشَّياطينِ وأَنْ يَحْضُرون »[3].

ومن ذلك ـ ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما منْ رجل يدْعُو بهذا الدعاء فى أوَّلِ لَيْله وأوَّل نهاره إلا عَصَمَه الله من إبليسَ وجُنوده : ﴿بسم الله ذى الشأنِ عظيمِ البُرهانِ شَدِيد السُّلطانِ ماشاء اللهُ كانَ أعوذُ بالله من الشَّيْطان ﴾[4].

ومن ذلك ـ « أن من سأل الجَنَّةَ ثلاثاً قالت الجنةُ اللهم أدْخِلْهُ الجَنَّة ، ومَنِ اسْتَجارَ بِالله من النارِ ثلاثا قالت النَّارُ اللهم أجِرْهُ من النارِ »[5].

---

(١) رواه ابو نعيم .

(٢) رواه الديلمى.

(٣) أخرجه الترمذى.

(٤) أخرجه ابن عساكر.

(٥) أخرجه الترمذى وغيره .

ومن ذلك ـ « أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لعَلِيٍّ رضى الله تعالى عنه قُلْ إذا أصبَحْتَ ثلاثا وإذا أمْسَيْتَ ثلاثاً { بسم الله الرحمن الرحيم لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلِيِّ العظيمِ } فإنها شِفاءٌ من تسعةٍ وتسعين داءً أيسَرُها الهمُّ » [١].

ومن ذلك ـ أن قول : « سبحانك لا إله إلا أنت يا ذا الجلالِ والإكرامِ » من الدعوات المَضْمُونَةِ الإجَابة.

كما جاء فى الحديث « أن سعدا رضى الله تعالى عنه دعا على كَلْبٍ فأهْلَكه فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : كيفَ دعوتَ عليه فقال : (سُبحْانَك إلخ) أهلكْ هذا الكلْبَ. فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ياسعدُ لقد دعوتَ بيومٍ وساعة بكلمات لو دعوتَ بها على مَنْ فى السموات والأرض لاَسْتُجِيْبَ لك فأبْشِرْ ياسعد » [٢].

ومن ذلك ـ « أن من قال : (اللهم اكْفنى بحلالك عن حرامك وأغْننى بفضْلِك عمَّنْ سَواك) لو كان عليه مِثْلُ ثبيرٍ دَيْنًا لأدّاه اللهُ عَنْهُ » [٣].

ومن ذلك ـ « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما قال عبد (اللهم ربَّ السموات السبْعِ وربَّ العَرْشِ العظيمِ اكْفنى كلَّ مُهِمٍّ من حيثُ شِئْتَ وكيف شئْتَ وأنَّى شئْتَ ومن أينَ شئْتَ) إلا أذهَبَ اللهُ تعالى هَمَّه » [٤].

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية أنها مأمورة بطلب العافية والدعاء بسلامة البدن وتمام الصحة . ولا شك أنّ هذا غاية ما يتمناه الإنسان ويشتهيه ، وبهذا

---

(١) أخرجه المستغفرى.
(٢) أخرجه الطبرانى .
(٣) أخرجه الحاكم وصححه
(٤) أخرجه الخرائطى.

صارت العبادة عادة وانقلب المألوف إلى معروف . والأمر المحبوب إلى النفس المشتهَى عادة والمطلوب طبيعة هو الأمر المحبوب المطلوب إلى الله سبحانه وتعالى والمطلوب شريعةً . وفى هذا غاية العناية بهذه الأمة المحمدية .

جاء فى الحديث عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال:يارسول الله أى الدعاء أفضل؟ قال :«سَلْ رَبَّكَ العافِيَةَ والمُعَافَاةَ فى الدنيا والآخِرَةِ . ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال : يارسولَ الله أىُّ الدعاء أفضلُ ؟ فقال له مثل ذلك . ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك قال: فإذا أُعْطِيتَ العافيةَ فى الدُّنيا وأُعْطِيْتَهَا فى الآخرةِ فقَدْ أُفْلَحْتَ » [(١)].

ومعنى (العافية) أن تسلم من الأسقام والبلايا وهى الصحة وضد المرض ، (والمعافاة) أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك : أى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم ، وقيل هى مفاعلة من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفوهم عنه . والعَفُوُّ اسم من أسماء الله تعالى وهى فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه اهـ.

وقد قام أبو بكر على المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامَ أولَ على المنبر ثم بكى فقال : « سَلوا الله العفْوَ والعافيةَ فإنَّ أحداً لم يُعْطَ بعدَ اليَقينِ خيراً من العافيةِ » [(٢)].

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله كيف أقول حين أسأل ربى ؟ قال : « قل اللّهُمَّ اغفر لى وارْحَمْنى وعافنى وارْزُقْنى . ويجمع أصبعه إلى الإبهام . فإنَّ هؤلاءِ تَجْمَعُ لك دنياك وآخِرَتَكَ » [(٣)].

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الترمذى والنسائي.

(٣) رواه مسلم .

وأوصى صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس قائلا : يا عباس يَا عَمَّ النبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَكْثِرْ من الدعاءِ بالعافيةِ » [(١)].

وأخبر أن سؤال العافية هو من أحب الدعاء إليه سبحانه قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما سُئِل اللهُ شيئاً أَحَبَّ إليه من العافيةِ » [(٢)].

وفى سبيل المحافظة على العافية واستمرارها أمرصلى الله عليه وآله وسلم من رأى مبتلى أن يحمد الله ويشكره على نعمة العافية وأخبر أنه بحمده وشكره يُحفظ من ذلك البلاء فقال : « مَنْ رَأى صاحبَ بلاء فقال : الحمدُ لله الذى عافانى مما ابتلاكَ به وفَضَّلَنى على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقَ تفضيْلاً لم يُصِبْهُ ذلك البلاءُ» [(٣)].

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى.

(٢) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه والبزار والطبرانى .

فوائد الصلاة على النبى
عليه أفضل الصلاة والسلام

ومما أكرم الله به هذه الأمة المحمدية من الفضل والشرف ماجعله من الثواب الكبير والأجر العظيم لمن يصلى ويسلم على سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكر من الأذكار التى يثاب العبد على لفظها ومعناها .

فالمشتغل بها يثاب على مجرد ترديد ألفاظها كما يثاب من يردد لفظ التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح وليس كلامنا في مقدار الثواب بالمقارنة بين هذا وهذا وإنما مقصودنا هو أن نقول أن المشتغل بالصلاة والسلام علي المصطفى مثاب على مجرد تكرار ألفاظ الصلاة والسلام كما يثاب من يردد ألفاظ التهليل والتسبيح والتحميد فهو ذكر متعبَّد بلفظه ومعناه ولذلك كان بعض السلف يلزم نفسه بعدد مخصوص محدد يأتي به من الصلاة والسلام عليه يلتزم به ويتقيد ومعلوم أنه لا شيء في ذلك ما دام أنه لا يعتقد أنه مشروع وارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل يعلم أنه ذلك من نفسه أو من غيره لأن القضية في الحقيقة إنما هي في نسبة شيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحال أنه لم يرد عنه فهذا لا نرضاه بل ونحاربه ونعتقد أنه بدعة سيئة خبيثة لا يرضاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أما من يلزم نفسه شيئا عالما بأنه منه وإليه مبرأ مقام النبوة عنه غير معتقد فيه

سنية أو مشروعية لعينه فلا شىء فى ذلك ألبتة .

وقد كان بعض السلف يفعل هذا فقد جاء عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : (يازَيدُ بنَ وهبٍ لا تدَعْ إذا كان يومُ الجمعة أن تُصَلِّىَ يومَ الجمعة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألف مرة تقول : « اللَّهُم صلِّ على محمدٍ النبىِّ الأُمِّىِّ » .

ونذكر هنا جملة من فوائد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مما ذكره العلماء وخصوصاً العلامة ابن القيم والحافظ ابن حجر الهيتمى مع التهذيب والتلخيص .

الفائدة الأولى : امتثال امر الله سبحانه وتعالى .

الثانية : موافقته سبحانه وتعالى فى الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

الثالثة : موافقة ملائكته فيها .

الرابعة : حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة .

الخامسة : أنه يرفع له عشر درجات .

السادسة : أنه يكتب له عشر حسنات .

السابعة : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

الثامنة : أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها فهى تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين وكان موقوفا بين السماء والأرض قبلها .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرنها بسؤال

الوسيلة له أو أفردها .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها تقوم مقام الصدقة لذى العسرة.

الرابعة عشرة : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامسة عشرة : أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه .

السادسة عشرة : أنها زكاة للمصلى وطهارة له .

السابعة عشرة : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ذكره الحافظ أبو موسى فى كتابه وذكر فيه حديثا.

الثامنة عشرة : أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة ذكره أبو موسى وذكر فيه حديثا .

التاسعة عشرة : أنها سبب لرد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة والسلام على المصلى والمسلّم عليه .

العشرون : أنها سبب لذكر العبد ما نسيه .

الحادية والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفى الفقر .

الثالثة والعشرون : أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة والعشرون : نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة والعشرون: أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يذكر فيه الله ورسوله ويحمد ويثنى عليه فيه ويصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

السابعة والعشرون : أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتُدئ بحمد الله والصلاة على رسوله .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره .

التاسعة والعشرون : أنه يخرج بها العبد عن الجفاء .

الثلاثون : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلّى عليه بين أهل السماء والأرض لأن المصلى طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك .

الحادية والثلاثون : أنها سبب للبركة فى ذات المصلى وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلى داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء

مستجاب والجزاء من جنسه .

الثانية والثلاثون : أنها سبب لنيل رحمة الله له لأن الرحمة إما معنى الصلاة كما قاله طائفة وإما لوازمها وموجباتها على القول الصحيح فلابد للمصلى عليه من رحمة تناله .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وزيادتها وتضاعفها . وذلك عقد من عقود الإيمان التى لا يتم إلا بها لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره فى قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه . ولا شىء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوى هذا فى قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه فى قلبه والحِسُّ شاهد بذلك حتى قال الشعراء بذلك :

عجبت لمن يقول ذكرت حبى وهل أنسى فأذكر من نسيتُ

فتعجب هذا المحب ممن يقول : ذكرت محبوبى لأن الذكر يكون بعد النسيان ولو كمل حب هذا لما نسى محبوبه .

الفائدة الرابعة والثلاثون : أن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم سبب لمحبته للعبد فإنها إذا كانت سبباً لزيادة المصلى عليه له فكذلك هى سبب لمحبته هو للمصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه . فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى فى قلبه معارضة لشىء

من أوامره ، لا شك في شيء مما جاء به بل يصير ماجاء به مكتوبا مسطورا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه وكلما ازداد في ذلك بصره وقوة معرفته ازدادت صلاته عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم وذكره عنده كما جاء من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إنَّ صلاتَكم مَعْروضَةٌ عَلَيَّ » وقوله : « إن الله وكَّلَ بقبْرِي ملائكةً يُبَلِّغُونى عَنْ أمتي السَّلامَ » وكفى بالعبد نبلا أن يذكر اسمه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قيل في هذا المعنى :

ومن خطرت منه ببالك خطرة　　　حقيق بأن يسمو وأن يتقدما

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبت القدم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذى رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم « وَرَأيتُ رجُلاً منْ أمتي يَزْحَفُ على الصراط ويَحْبُو أحياناً ويتَعلَّقُ أحيانا فجاءتْه صَلاته علَيَّ فأَقامَتْه على قدَميه وأنقذته »[1] .

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم أداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا ، مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يحصى علما ولا قدرة ولا إرادة ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره وأداء حقه .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ، ومعرفة إنعامه على

---

(١) رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب وقال : هذا حديث حسن جدا .

عبيده بإرساله فالمصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله وسؤاله أن يجْزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلى طريق مرضاته وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه فهي متضمنة لكل الإيمان بل هي متضمنة للإقرار وإرسال رسوله وتصديقه وأخباره كلها وكمال محبته ولا ريب أن هذه أصول الإيمان. والصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه له ومحبته له فكانت من أفضل الأعمال .

فضل الحب فى الله والبغض فى الله

ومن مناقب هذه الأمة ومزاياها ماجاء من الفضل الكبير والخير الكثير لمن يحب أخاه المسلم لله لا غرض ولا هوى سوى ذلك ، فإذا تحقق بذلك زاد إيمانه وقوى يقينه حتى كأنه يشاهد بعينه حقائق الإيمان ويشعر بأنواره الفياضة فى قلبه ويدرك إدراكا خاصا لا يجده إلا من تحقّق بذلك المعنى . ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوةَ الإيمان: مَنْ كانَ اللهُ ورسولُهُ أحَبَّ إليه ممَّا سواهُما ، ومَنْ أَحَبَّ عَبْداً لا يحبُّهُ إلاّ لله . ومَنْ يَكْرَهُ أنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كما يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ فى النار.

والمحبة ينال بها صاحبها في الآخرة أنه ينادى عليه المولى جل شأنه على رؤوس الأشهاد فيقول : أيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلى يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلّى »[(١)] .

والمحبة فى الله يكون بها صاحبها فى الآخرة تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، كما جاء فى الحديث .

« سَبْعَةٌ يُظلُّهُمْ اللهُ فى ظلّه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه قال ومنهم رَجُلان تحَابَّا فى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيه وتَفَرَّقا عَلَيْه » الحديث .

والمحب الصادق المُخلص ينال منزلة عالية فى الجنة تزيد على منزلة محبوبه إذا لم يبادله نفس الشعور . فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ أحَبَّ رَجُلاً لله فقالَ: إنّى أُحبُّكَ لله فدَخَلا جَميْعاً الجنةَ فكان الذى أحَبَّ أرْفَعَ من الآخَرِ وأحَقَّ بالّذى أَحَبَ لَله »[(١)] .

---

(١) رواه البزار بأسناد حسن .

والمحب الصادق يستحق أن يبشَّر بمحبة الله له على لسان رسول خاص له ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« أن رَجُلاً زارَ أخاً لَهُ فى قرية أخرى ، فأرْصَدَ اللهُ على مَدْرَجَته ملَكاً ، فلما أتى علَيه قالَ: أيْنَ تُريْدُ؟ قال: أُريْدُ أخاً لى فيه هذه القرية قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْه منْ نعْمَة تَرُبُّها ؟ قال : لا ، غَيْرَ أنِّى أُحِبُّهُ فِى اللهِ قال : فإنِّى رسولُ اللهِ إليكَ إنَّ الله قَدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَه فيْه » [١].

والمتحابون هم جلساء الله يوم القيامة عن يمين العرش على منابر من نور ليسوا بأنبياء ولا شهداءَولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيُّها الناسُ اسْمَعُوا واعْقلُوا أنَّ لله عزَّ وجلَّ عِباداً ليسُوا بأنْبيَاءَ ولا شُهداءَ ، يَغْبطُهُمُ النَبيُّونَ والشُّهَدَاءُ على منازِلِهِمْ وقربِهِمْ مِنَ الله فَجَثى رَجُلٌ مِنَ الأعْراب مِنْ قَاصيَةِ النَّاسِ وألوى بيده إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسولَ الله ناسٌ من النَّاسِ ليسُوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغْبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ علَى مَجالسهم وقُرْبِهمْ مِنْ الله إنْعَتْهُمْ لنا جَلِّهِمْ لنا ـ يعنى صِفْهم لنا شَكِّلْهم لنا ، فسُرَّ وجهُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال الأعرابى فقال رسول الله : هُمْ ناسٌ من أفْناء الناس ونوازِع القبائِلِ لم تُصَلْ بينهم أرحامٌ متقاربَةٌ تحَابُّوا فى الله وتَصافُوا ، يَضَعُ الله لَهُمْ يَوْمَ القيامَة منابرَ مِنْ نُور فيُجْلسُهُمْ عَلَيْها فَيَجْعَلُ وُجوهَهم نُوراً وثيابَهُمْ نُورا يَفْزَعُ النَاسُ يومَ القيامةَ ولا يَفْزَعونَ . وهُمْ أولياءُ اللهِ لاخوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزَنونَ » [٢]. والمتحابون فى الله لهم فى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

الجنة غرف من زبرجد على عمد من ياقوت لها أبواب مفتحة تضىء كما يضىء الكوكب الدرىُّ [١].

« ولَهُمْ غُرَفٌ يُرى ظَواهِرُهَا مِنْ بَواطِنِها وبَواطِنُها من ظَواهِرِها » [٢].

« وقد شهد صلى الله عليه وآله وسلم لمن أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله بأنه قد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ » [٣].

ومن شرف المحبة الصادقة أنها تجبر الكسر ، وتأخذ بيد الضعيف فتلحقه بالأقوياء، وتقدم المتأخر إلى الصف الأول ، فيلبس ثوبا يتأهل به لينقلب من حال إلى أحسن حال ببركة تشبهه بأهل الكمال من أفاضل الرجال وإليك هذه الأحاديث التى تؤيد هذا المعنى :

« عن أنس رضي الله تعالي عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة ؟ قال : وما أعْدَدْتَ لَها ؟ قال لا شَيْءَ إلا أني أُحبُّ الله وَرَسولَهُ . قال : أنْت مع مَنْ أحْبَبْتَ ، قال أنس : فما فَرِحْنا بِشيْءٍ فَرَحَنَا بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أَنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ ، قال أنسٌ : فانا أُحبُّ النَّبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بَكْرٍ وعُمَرَ وأرجُو أنْ أكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إيَّاهُمْ » [٤].

وفي رواية : أن رجلا من أهل البادية أتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسولَ الله ، متي الساعةُ قائمةً ؟ قال : وَيْلَكَ ، وما أعدَدْتَ لها ؟ قال : ما أعدَدْتُ لها إلا أنّى أُحبُّ الله ورسولَهُ. قال : إنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال: ونحنُ

(١) رواه البزار عن أبى هريرة مرفوعا.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن بريدة مرفوعاً.

(٣) رواه أبو داود.

(١) رواه البخارى ومسلم.

كذلك ؟ قال : نَعَمْ فَفَرِحْنا يَوْمَئِذٍ فَرَحاً شَدِيْداً » (١) .

ورواه الترمذي ولفظه قال : « ما رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجل : يارسول الله الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُل على العَمَل منَ الخير يَعْمَلُه ولا يعمَلُ بِمثْله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسولَ الله كَيْفَ تَرى في رَجُلٍ أحَبَّ قَوْماً ولم يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ » (٢) .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : « يارسولَ الله الرَّجُلُ يُحِبُّ القومَ ولا يستطيعُ أن يَعْملَ بَعَملهِمْ ، قال : أنْتَ يا أبا ذَرٍّ مع مَنْ أحببتَ . قال : فإني أُحِبُّ الله ورسولَه ! قال : فإنَّكَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ . قال : فأعادَهَا أبو ذَرٍّ فأعادها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم » (٣) .

---

(١) للبخارى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أبو داود .

الخصال المكفرة للذنوب

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالي فتح لها من أبواب الخير والبر ما يغفر لها الذنب ويستر لها العيب ، وبعض تلك الأعمال فيه ضمانة المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة .

فمن تلك الأعمال إسباغ الوضوء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يُسْبغُ الوضوءَ عَبْدٌ إلا غفَرَ اللهُ لهُ ما تَقدّمَ مِنْ ذَنْبه وَما تَأخَّرَ »[١].

ومن ذلك إجابة المؤذن : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ قال حينَ يَسْمَعُ المُؤذِّنَ يقولُ أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله .. قالَ : أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ . رَضيْتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نَبيّاً ورسولاً .. غُفِرَ له مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبه »[٢]. وفي مستخرج أبي عَوانة الاسفرايني علي صحيح مسلم من رواية سعد بن أبي وقاص « غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِه ومـا تأخَّرَ » فقال رجل متعجبا: يا سعدُ ، ما تقدَّمَ من ذَنْبِه ومـا تأخَّرَ؟ فقال : هكذا سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ذلك ــ صلاةُ التسابيحِ ، وفيها أن من فعلها يغفر له ذنبه أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطؤه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

وقد ذكرنا هذه الصلاة في موضع سابق من هذا الكتاب ومن ذلك التأمين في الصلاة ــ فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأمِّنُوا فإنّ

(١) أخرجه النسائى والبزار فى مسنده، وأصل الحديث فى الصحيح لكن ليس فيها وما تأخر.

(٢) هكذا فى الصحيح.

الملائِكَةَ تُؤَمِّنُ فَمَنْ وافَقَ تأمينُهُ تأمينَ الْملائكةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه »[١] .

وفي مصنف ابن وهب « غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

ومن ذلك صلاة الضحي ــ فقد روي « أن من صلاها غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر إلا القِصَاصَ » .

قال ابن حجر : إن إسنادَه ضعيف جداً .

ومن ذلك ــ القراءة بعد الجمعة .

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :« إذا سَلَّمَ الإمامُ مِنْ صلاة الجُمُعَة قَبْلَ أن يَثْنِيَ رِجْلَهُ يقرأُ فاتحةَ الكتاب وقل هو الله أحَد وقُلْ أعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وقل أعوذ برب النَاسِ سبعاً سبعاً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ ، وأُعْطِيَ مِنَ الأجْرِ بِعَدَدِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ »[٢] .

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالي عنهما :

« من قَرأ بعدَ صلاة الجمعة فاتحةَ الكتاب ، وقل هو الله أحدٌ ، وقُلْ أعوذ برَبِّ الفَلَقِ ، وقل أعوذُ برَبِّ الناسِ ، حُفِظَ ما بينَه وبين الجمعةِ الأخْرىٰ » .

وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر الفاتحة وقال حُفِظَ أو كُفِيَ من مجلسه ذلك إلي مثله .

ومن ذلك ــ فضل القيام في رمضان .

فقد جاء « أنّ من قام في رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : هكذا رواه ابو الأسعد القشيرى وفيه ضعف.

(٢) أخرجه مسلم وهو عند البخارى ومالك وأصحاب السنن.

ذنبه »[١].

وفي رواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[٢].

ومن ذلك ـــ فضل القيام ليلة القدر .

فقد جاء في الصحيح « أن من قامها غفر له ماتقدم من ذنبه » وفي رواية « ماتقدم من ذنبه وما تأخر »[٣].

ومن ذلك فضل صيام عرفة .

فقد جاء في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « أن صيامَ يومِ عرفَةَ يُكَفِّرُ ذنوبَ السَّنَةِ الماضيةِ والمستقبَلَةِ .

وفي رواية الحافظ أبي سعيد النقاش عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من صام يوم عرفة غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر » نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « الخصال المكفرة للذنوب » .

ومن ذلك ـــ الإهلال من المسجد الأقصى . فقد جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله تعالي عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مَنْ أهَلَّ بحَجَّةٍ أوْ عُمْرَةٍ منَ المَسْجد الأقْصى إلى المَسَجِدِ الحرامِ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأَخَّرَ أو وَجَبَتْ لهُ الجَنَّةُ » شك عبد الله . ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال فيه : « غُفِرَ له ماتقدَّم من ذَنْبِه وما تَأَخَّرَ ووجَبَتْ له الجنةُ ».

(١) هكذا رواه أصحاب الصحيح.
(٢) رواه الإمام أحمد والنسائى .
(٣) رواه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير .

ومن ذلك ما جاء في فضل الحج الخالص .

جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا خرَجَ الحاجُّ من بيته كانَ في حرْز الله تعالي فإن ماتَ قبل أنْ يقْضِيَ نُسُكَهُ وقع أجرُهُ على الله وإنْ بَقَيَ حتّي يَقْضِيَ نُسُكَهَ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبه وما تَأَخَّرَ وإنفاقُ دِرْهَمٍ في ذَلكَ الوجْهِ يَعْدِلُ ألفَ ألْفٍ فيما سِواه في سبيل اللهَ » .

وفي رواية : « من قَضى نُسُكَهُ وسَلِمَ المسلمونَ من لِسانِه ويَدِه غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبه وما تَأَخَّرَ » .

ومن ذلك ـــ الصلاة خلف مقام إبراهيم .

فقد ذكر القاضي عياض في الشفا: « أن مَنْ صلّى خَلْفَ مقامِ إبراهيمَ ركعتينِ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّرَ وحُشِرَ يومَ القيامةِ من الآمِنِيْنَ »[١] .

ومن ذلك ـــ قراءة سورة الحشر وتعليم الرجل ولده القرآن وفي ثبوتهما خلاف كبير بين المحدثين .

ومن ذلك ـــ فضل التسبيح والتهليل والتكبير .

بأن من سبَّحَ مِائَةً وَحمِدَ مِائةً وكبرَ مائةً غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّر »[٢] .

ومن ذلك ـــ « أن من قادَ مُكْفُوفاً أربعينَ خَطْوَةً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما

---

(١) ورواها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه (الخصال المكفرة للذنوب) ولم يذكروا تخريجا لها.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن حجر : رواه ابن حبان فى فوائده (قلت) وقد رواه أحمد والنسائى بألفاظ مختلفة .

تأخَّــر »(١).

ومن ذلك فضل السعي في حاجة المسلم .

وقد جاء في الحديث : « أن من سَعى لأخيه المسلم في حاجة قُضيَتْ لَهُ أو لم تقْضَ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ وكُتبَ له براءتان بَراءةٌ من النارِ وبراءةٌ من النفاقِ » والحديث بشواهده يصلح للاعتبار .

ومن ذلك ــ ما جاء في فضل المصافحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال : « ما منْ عبدَيْن مُتحَابَّيْن في الله ــ « وفي رواية »ما من مُسْلمَيْن يسلْتَقيَان فيَتصَافَحَان ويُصَلِّيَان على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ لَمْ يَفْتَرِقا حتّى يُغْفَرَ لَهُما ذنوبُهُما ما تقدَّمَ منها وما تأخَّرَ »(٢).

ومن ذلك ما جاء في فضل الحمد عقب الأكل .

فقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من أكَلَ طعاماً ثم قال : الحمدُ لله الذي أطعَمَني هذا الطعامَ ورزَقَنيه من غيرِ حَوْلٍ منيّ ولا قُوَّةٍ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ »(٣).

ومن ذلك فضل التعمير في الإسلام .

فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا بلَغَ المرءُ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر قال ابن منده : وهو غريب ، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود رواته ثقات .

(٢) اخرجه ابن حبان ورواه أيضا الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى باختلاف بعض ألفاظه عن أنس ورجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وثقه ابن حبان ولم يضعفه أحد قاله الهيثمى .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن غريب قال الحافظ ابن حجر فى كتابه الخصال المكفرة للذنوب : إسناده حسن .

المسلمُ أربعين سَنَةً صَـرَفَ اللهُ عَنْهُ ثلاثةَأنواعٍ من البلاء، الجنونَ والجُـذامَ والبَرَصَ فإذا بَلَغَ خَمْـسِيْنَ سَنَةً خَفَّفَ اللهُ عَنْهُ ذنوبَهُ فإذا بلَغَ سـتينَ سنةً رزَقَهُ اللهُ الإنَابةَ إليه فإذا بلَغَ سبعينَ سنة أحَبَّه الملائكةُ » وفي رواية : « أهَلُ السماء » فإذا بلَغَ ثمانين سَنَةً أُثْبِتَتْ حسَناتُه ومُحيَتْ سيِّئَاتُه فإذا بَلَغ تسْعين سنةً غفَرَ اللهُ له مـاتقدَّمَ من ذنبه ومـا تأخَّرَ وسُمِّيَ أسـيرَ اللهِ في أرْضِه وشُفِّعَ لأهل بيْته » والحـديث بطرقه يصلح للاعتبار .

سعة رحمة الله لهذه الأمة بفتح أبواب التوبة

ومن شرف هذه الأمة وفضلها ماجعله الله تعالى لها من سعة أبواب رحمته وعظيم تفضّله بفتح أبواب التوبة والترغيب فيهاوالحث على المبادرة إليها .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ الله عز وجل يبْسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مُسيءُ النهارِ ، ويبْسُطُ يدَه بالنهارِ ليَتُوبَ مُسيءُ الليلِ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغرِبِها » (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من تابَ قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مغرِبِها تابَ اللهُ عليه » (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ منْ قِبَلِ المَغْرِبِ لَبَاباً مَسيرةُ عَرْضه أربعون عاماً أو سبعون سَنَةً فَتَحه الله عز وجل للتَّوبة يومَ خَلقَ السماواتِ والأرضَ فلا يُغْلِقُه حتى تطلُعَ الشمسُ منه » (٣).

وقد فتح لنا صلى الله عليه وآله وسلم باب الرجاء وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لو أخْطَأْتُمْ حتَّى تَبْلُغَ السَّماءَ ثم تُبْتُمْ لتابَ اللهُ عليكم﴾ (٤).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « كُلُّ ابن آدمَ خطَّاءٌ وخير الخطَّائين

---

(١) رواه مسلم والنسائى.

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه الترمذى والبيهقى واللفظ له وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

(٤) رواه ابن ماجه .

التَّوَّابُونَ » [١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن عبداً أصابَ ذنباً فقال : يارب إنِّى أَذْنَبْتُ ذنباً فاغْفرْه . فقال له ربُّه : علِم عَبْدى أنَّ له ربّاً يغفرُ الذنبَ ويأخُذُ به . فغَفَر له . ثم مكثَ ما شاء الله ثم أصاب ذَنْباً آخَرَ ــ وربما قال ــ ثم أذْنب ذنْباً آخر فقال يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى . قال ربه علم عبدى أن لهُ ربّاً يغفرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ به . فغفَر له . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر ـ وربما قال ثم أذْنَب ذنبا آخرفقال : يارب إنى أذنَبْتُ ذنبا فاغفرْه لى فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفرُ الذنبَ ويأخُذُ به ، فقال ربه : غفَرْتُ لعبدى فَلْيعمَلْ ما شاء » [٢].

ومعنى قوله : فليعمل ما شاء ، أى أنه بعد هذا العفو المتكرر وتلك المغفرة المتتابعة سيحصل عنده بفضل الله من الحياء ما يمنعه عن المخالفة ويحجزه عن المعصية . وذلك ببركة استغفاره وتوبته . وهذا يدل على فضل الاستغفار والتوبة . وأن ملازمتها والحرص عليها والاشتغال بها تعود على العبد بخيرات كبيرة وبركات عظيمة . منها عظيم حيائه من الله الذى يعفه عن المعاصى والمخالفات حتى لو قيل له فرضا افعل ما شئت من المعاصى فإنه لا يفعل .هذا هو المعنى الذى وقع فى قلبى وقيل غير ذلك .

ومن خصائص هذه الأمة أن التوبة الصادقة ترفع العبد إلى أعلى درجات الكمال وأرفع مراتب الجلال فيعلو ويعلو بل قد يزيد على كثير من أرباب الأعمال والمجاهدات .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

عن عمران بن حُصَيْن رضى الله تعالى عنه « أن امرأةً من جُهينةَ أتت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى حُبْلى من الزِّنا فقالت يارسولَ الله أصبْتُ حداً فأقمْهُ علَيَّ فدعا نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم وليَّها فقال : أَحْسِنْ إليها فإذا وضَعَتْ فأْتني بها ففَعَل فأمَر نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم فشُدَّتْ عليها ثيابُها ثم أمرَ بها فرُجمت ثم صَلَّى عليها ، فقال له عُمر : تُصلّى عليها يارسول الله وقد زَنَتْ ؟ قال لقد تابَتْ توبةً لو قُسِّمَتْ بين سبعينَ من أهل المدينةِ لوَسِعَتْهم ، وهل وجدْتَ أفضلَ من أن جادَتْ بنفْسِها لله عز وجل »[١].

ومن مزايا هذه الأمة « أن العبد إذا تاب أنسى اللهُ تعالى الملائكةَ الذين يُحْصُون سيِّئاته ذنوبَه وأنسى جوارحَه وآثارَه ذلك . حتى يلْقى الله تعالى يومَ القيامةِ وليس عليه شاهدٌ من الله بذنب »[٢].

وقد جاء فى الحديث : « التائبُ من الذنْب كمن لا ذنْبَ له »[٣].

« بل إنّ مجرد الندم توبة »[٤]. وجاء عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أنه قال : ما علم الله من عبدٍ ندامةً على ذنبٍ إلا غفرَ له قبل أن يسْتَغْفِره منه »[٥].

وقد بشّر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بقبول التوبة والترغيب فى عدم

---

(١) رواه مسلم .

(٢) جاء ذلك فى حديث رواه الأصبهانى .

(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٥) رواه الحاكم

اليأس وقذف الرجاء والأمل في قلوب العصاة فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وقال في الحديث : « والَّذي نفْسي بيده لو لم تُذْنبوا وتستَغْفِروا لذهَبَ اللهُ بكم ولجَاء بقومٍ يُذْنِبون فيسْتغفِرون الله فيغفِرُ لهم »[1] .

وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن المولى عز وجل يفرح بتوبة عبده أشد الفرح فقال : قال الله عز وجل : [أنا عندَ ظنِّ عبدي بي وأنا معَه حيثُ يذْكُرُني . والله لَلّهُ أفْرحُ بتوبة عبده منْ أحدكم يَجدُ ضالَّتَه بالفَلاة ومن تقَرَّبَ إليَّ شبْراً تقَرَّبْتُ إليه ذراعاً ومَن تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقرَّبْتُ إليه باعاً ، وإذا أقبَل إليَّ يمشِي أقبَلْتُ إليه أُهَرْوِلُ][2] .

ومعلوم أن هذا التقرب المشار إليه بالشبر والذراع والباع والمشي والهرولة ليس على حقيقته المتصورة في الذهن البشري . والدليل على ذلك ماجاء في الحديث الآخر وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن نقَل هذا الحديثَ قال : (واللهُ أعْلى وأجَلُّ واللهُ أعْلى وأجَلُّ واللهُ أعْلى وأجَلُّ)[3] .

فقوله : والله أعلى وأجل أكبر دليل وأعظم برهان على أن حقيقة اللفظ المتبادرة إلى الذهن غير مرادة قطعا.

ومعنى الحديث أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده ويفرح أشد مما يرضى ويفرح رجل ضاعت عليه ناقته بصحراء منقطعة ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه

(٣) رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن.

ومتاعـه وكان قد يئس منها يأسـاً استسلم معه إلى الموت ويصـوّر صلى الله عليه وآله وسلم شـدة فرح هذا الرجل بقـوله : ثم قـال من شدَّة الفـرَحِ. « اللَّهُمَّ أنت عبدى وأنا ربُّك ، أخطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفرحِ »[١].

وجاء فى الحـديث : « عن أبى طويل شطب المـمدود أنه أتى النبى صلى الله عليه وآله وسـلم فقال : أرأيت مَنْ عـملَ الذنوبَ كلَّها ولم يتـرُكْ منهـا شيـئاً وهو فى ذلك لم يتْـرُكْ حاجَـةً ولا داجةً إلاَ أتاها فـهل لذلكَ مـنْ توبة ؟ قـال : فـهل اسلَمْتَ؟ قال : أمّـا أنا فـأشْهـدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسـول الله . قـال : تفـعـلُ الخـيراتِ وتتـركُ السـيِّئـات فيـجـعلُهُنّ الله لك خـيرات كلَّهُنَّ. قـال : وغَدَراتى ؟ قال : نَعم . قال : اللهُ أكبرُ. فما زال يكبِّرُ حتى تَوارىً »[٢].

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبرانى .

ومعنى قوله : ولم يترك حاجة ولا داجة أى الحاجة الصغيرة والحاجة الكبيرة .

ومعنى غدراتى . اى أفعالى الذميمة التى نقضت فيها العهد وخننت .

ومعنى : فجراتى : ارتكابى المعاصى وفعل الموبقات .

ومعنى : حتى توارى : أى اختفى عن أعين الناظرين .

فضل البكاء من خشية الله

ومن شرف هـذه الأمة ما جـاء فى فضل البكاء من خـشيـة الله . وقد أخـبر صلى الله عليه وآله وسلم أن الباكى من خشية الله هو من السبعة الذين يُظلُّهم الله تعالى فى ظِلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه وأنه لا يعذب يوم القيامة .

عن ابن عباس رضى الله تعـالى عنهما قال : « سـمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يـقول : عينانِ لا تمسـهما النارُ . عـينٌ بكتْ من خشيـةِ الله وعين باتتْ تحرُسُ فى سبيلِ اللهِ »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكى من خـشيـة الله حتَّى يعودَ الـلَّبَنُ فى الضَّرْعِ . ولا يجْـتمع غبارٌ فى سبيل الله ودخانُ جهنَّمَ »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عـنه قـال : لما نزلت : ﴿ أَفَـمِنْ هَذَا الْحَـدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ ﴾ بكى أصحاب الصُّفَّة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم حَسَّهم بكى معهم فبكيـنا ببكائه فقـال رسولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « لا يَلِجُ النارَ مَنْ بَكى من خَشْيَةِ الله ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مُصِرٌّ على مـعصِيَـةٍ ، وَلَوْ لَـمْ تُذْنِبُوا لجَـاءَ اللهُ بقومٍ يُذْنِبُونَ فيستغفرون فَيَغْفِرُ لهم »[3] .

---

(١) رواه الترمذى: وقوله تحرس فى سبيل الله. أى ظلت طول ليلها يقظة ساهرة ترقب جيوش الأعداء على كثب وتحفظ مكامن جيوشها.

(٢) رواه الترمذى والنسائى والحاكم : ومعنى ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم أى أن من جاهد فى سبيل الله وحضر المعارك وجاهد لا يشم دخان النار أبداً .

(٣) رواه البيهقى.

« عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عين باكيةٌ يومَ القيامةِ إلا عينٌ غَضَّتْ عن محارمِ الله . وعين سهَرت فى سبيلِ اللهِ . وعينٌ خرجَ منها مثلُ رأسِ الذُّباب من خشية الله عز وجل »[(١)].

عن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « مَا اغرَوْرَقَتْ عينٌ بمائها إلاَّ حرَّم اللهُ سائرَ ذلك الجسد عَلى النارِ . ولا سالَتْ قطرةٌ على خدِّها فيرهَقَ ذلك الوجْهُ قَتَرٌ ولا ذلَّةٌ ، ولو أَن باكيا بكَى فى أمَّة من الأممِ رُحمُوا . وما من شىءٍ إلاّ له مقدارٌ وميزانٌ إلا الدَّمْعه فإنه تُطْفَأ بها بِحارٌ من نارٍ »[(٢)].

وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم أن تلك الدموع التى تكون بسبب الخوف من الله هى أحب إلى الله سبحانه وتعالى . فقال : ليس شىءٌ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وأثَرَيْنِ قَطْرَة دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ الله ، وقطرة دمٍ تُهْراقُ فى سبيل اللهَ . وأما الأثَران فأثرٌ فى سبيل الله . وأثَرٌ فى فريضةٍ من فرائض اللهِ عزَّ وجل »[(٣)].

(١) رواه الأصبهانى.
(٢) رواه البيهقى : قوله يرهق . أى يغطى بشدة . وقوله قتر: دخان صاعد.
(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

فضل حسن الظن بالله وعظيم الرجاء فيه

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية ماجعله الله تعالى لها من الثواب العظيم والأجر الكبير على حسن الظن به وعظيم الرجاء فى فضله .

جاء فى الحديث القدسى أن الله تعالى يقول : { **يا ابْنَ آدم إنَّكَ ما دعوتَنى ورجوتَنى غفَرْتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالى ، يا ابنَ آدمَ لو بلَغتْ ذنوبُك عَنانَ السماء ثم استغْفَرتَنى غفرتُ لك ، يا ابنَ آدمَ لو أتيتَنى بقُراب الأرْضِ خَطايا ثم لقيتَنى لا تشركُ بى شيئاً لأتَيْتُكَ بقرابها مغفرةً** }[١] .

« وجاء أن حُسْنَ الظنِّ من حُسْنِ العبادةِ »[٢] .

وحسن الظن بالله مُحَتَّمٌ عند الموت . لذلك جاء فى الحديث « عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله عز وجلَّ »[٣] .

« ودخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو فى الموت فقال : كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يارسولَ الله وإنى أخافُ ذنوبى . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجتمعان فى قلبِ عبدٍ فى مثلِ هذا الموطِنِ إلا أعطاه ما يرْجو وأمَّنَه مما يخافُ »[٤] .

---

(١) رواه الترمذى : وقوله قراب الأرض أى ما يقارب ملأها.

(٢) رواه أبو داود وابن حبان.

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا.

وعن حيّان ابى النضر قال : خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهويريد عيادته فدخلنا عليه . فلما رأى واثلةَ بسط يده وجعل يشير إليه فأقبل واثلةُ حتى جلس فأخذ يزيد بكفَّيْ واثلة فجعلهما على وجهه . فقال له واثلة كيف ظنك بالله ؟ قال : ظنى بالله والله حسنٌ . قال : فأبشرْ فإنى سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال الله جلّ وعلا أنا عنْدَ ظَنِّ عبدى بى إنْ ظَنَّ خيراً فله . وإن ظنَّ شراً فله »[1].

ومعنى قوله : أنا عند ظن عبدى بى أى أحقّق له ما يظنه فى من قبول رجعته ومغفرة خطيئته وإجابة دعوته .

ومعلوم أن العبد لا يحصل له ذلك إلا إذا كمل فيه حسن ظنه بربِّه . فإذا كمل حسن ظنه بربِّه حصل منه ما يناسب ذلك من صدق الإقبال وصحة التوبة وكثرة الاستغفار والدعاء وطرق أبواب الخير . فهذا كله من ثمرات حسن الظن وإذا حصل ذلك منه كيف لا يكون عنده مولاه ؟ وكيف لا يحقق ظنَّه ورجاه ؟ .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : « والذى لا إلهَ غيرهُ لا يُحسِنُ عبدٌ باللهِ الظنَّ إلا أعطاه ظَنَّهُ وذلك لأنَّ الخيرَ فى يدِه »[2].

وعن أبى هريرة رضى الله قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمَرَ الله عز وجل بعبد إلى النار فلما وقَف على شفَتها التفتَ فقال : أما والله ياربِّ إن كان ظنى بكَ لحَسَن فقال الله عز وجل : رُدُّوه أنا عند حُسْنِ ظَنِّ عبدى بى»[3].

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البيهقى .

مضاعفة ثواب العاملين فى زمان الفتنة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن العمل الصالح يتضاعف ثوابه عند فساد الزمان حتى إن العامل فى زمن الفتنة له أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :« ائْتَمروا بالمعروفِ وانْتَهُوا عن المنكر حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً وهوى مَتَّبعاً ودنيا مُؤْثَرَةً وإعجابَ كلِّ ذى رأى برأيه فعليكَ بنفسِك ودَعْ عنك العوامَّ . فإن من ورائكم أيامَ الصَّبر.الصبرُ فيهنَّ مثلُ القبضِ على الجمْرِ للعاملِ فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجُلاً يعملون مثلَ عملِه» [1].

وفى رواية : قيل يارسول الله « أجر خمسين رجلا مِنّا أو منهم ؟ قال: أجرُ خمسين منكم» [2].

وقوله فى الحديث : فإن من ورائكم أيام الصبر ــ الحديث أى أن كبح جماح النفس عن المعاصى صعب مر ومحرق مثل القبض على النار ولكنَّ فى ذلك ثوابا لمن اتقى الله واجتنب صحبة الفساق والأشرار فالعابد يعطيه الله أجر خمسين ممن عمل مثله .

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن العبادة فى زمنِ الفتنةِ تُساوى فى الثَّوابِ الهجرةَ إليه » [3].

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وأبو داود بزيادة.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم .

فضل الغني الشاكر والفقير الصابر

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الفضل والثواب يشمل الغنىَّ الشاكر والفقير الصابر. فأما الغنىُّ فبإنفاقه السَّخى وإحسانه إلى إخوانه يقرض هذا ويجبر كسر هذا ويسد دين هذا ويبذل فى سبيل الإسلام ونصرة الدين ومساعدة المجاهدين .

وأما الفقير فبصبره وقناعته ورضاه مع توفر دواعى الشر عنده من الحقد والحسد والطمع والاعتراض والقلق وارتكاب المحرمات من السرقة والربا والخداع وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك . ويحتمل أنه طرق أبواب الدنيا وحاول الوصول ونافس الفحول ولكنه لم يفلح ولم ينجح كما هو المشاهد من الواقع الناطق المحسوس فكم من الفقراء لم يُقَصِّروا فى الأخذ بالأسباب بذلوا وسعهم وأتعبوا فكرهم فى الاحتيال فباؤا بالفشل وسوء الحال فهؤلاء بشرهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببشارات تعوضهم ما فاتهم وتجمع لهم ما ذهب عنهم وتجبر خاطرهم المنكسر فى الدنيا بخير الآخرة لأن الله تعالى أكرم من أن يجمع عليهم خسارتين ويتعسهم مرتين .

ولذلك يقول صلى الله عليه وآله وسلم :« اطَّلعْتُ فى الجنةِ فرأيتُ أكثَر أهلِها الفقراءَ »(١) .

« وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : هل تدْرُون أوْلَ من يدخُلُ الجنةَ مِنْ خلقِ الله

(١) رواه احمد .

عز وجل ؟ قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال : الفقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المَكارهُ ويموت أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً فيقول الله عز وجل لمن يشاءُ من ملائكته : ائْتُوهم فَحيُّوهم فتقول الملائكة : ربَّنا نحن سُكّانُ سمائك وخيرَتُك من خلْقك أفتأمُرنا أن نَأتيَ هؤلاء فنسلِّمَ عليهم . قال : إنهم كَانوا عبَادا يعبدُونني ولاَ يشركون بي شيئاً وتُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقى بهم المكَارهُ ، ويموت أحدهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قضاءً. قال : فتأتيهم الملائكةُ عند ذلك فيدخلون عليهم من كلِّ بابٍ سلامٌ عليكم بما صبَرْتم فنِعْمَ عُقْبى الدارِ » (١).

عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : : إنَّ حوضي ما بين عَدْن إلى عمَّانَ أكْوابُه عددُ النجومِ ماؤه أشَدُّ بياضاً من الثلجِ وأحلى من العسلِ وأكثرُ الناس وُروداً عليه فقراءُ المهاجرين .قلنا يارسول الله صفْهُم لنا . قال : شُعْث الرؤُوسِ دُنْسُ الثيابِ الذين لا ينْكحون المتنَعِّماتِ ولا تُفْتَح لهم السُّدَد الذين يُعْطون ما عليهم ولا يُعْطَوْن مالهم » (٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراءُ هذه الأمَّة ؟ قال : فيقال لهم :

---

(١) رواه أحمد والبزار وابن حبان .

قوله : تسد بهم الثغور أي يكونوا عرضة لصد هجمات الأعداء وحصونا قوية منيعة لرد الخصوم الكفار الفجار.

(٢) رواه الطبراني . وابن ماجه والترمذي بنحوه.

قوله : شعث الرءوس أي رؤوسهم متغبرة متلبدة.

قوله : دنس الثياب أي ملابسهم بالية قذرة .

قوله : المتنعمات أي السيدات المترفات اللاتي لا يساعدن على تقوى الله .

ومعنى قوله : ولا تفتح لهمالسدد ..الخ أي يؤدون الواجب وحقوق الناس كاملة وحقوقهم مهضومة وأموالهم يطمع الناس فيها لتسامحهم ولعكوفهم على العبادة .

ماذا عـملْتم؟ فـيقولـون : ربَّنا ابْتُلينا فصـبَرْنا ووَلَّيتَ الأمـوالَ والسلطانَ غيـرَنَا ، فيقـولَ الله جل وعلا : صدقْتُم. قـال : فيدخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الناسِ. ويـبقى شدَّةُ الحساب على ذوى الأمـوال والسلطان . قالـوا : فأين المؤمنون يومـئذ ؟ قـال : يوضَعُ لهَم كـراسِيٌّ من نور ويظَلَّل عليهم الـغمامُ يكون ذلـك اليومُ أقصَـر على المؤمنين من ساعةٍ من نهار»[١].

وعن سـعيـد بن عـامـر رضى الله تعالـى عنه عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم قال : « إن فـقراءَ المسلمـين يزِفُّون كـما تزِفُّ الحـمامُ . فيـقال لهم : قـفوا للحسـابِ فيـقولون : والله ما تركْنا شـيئـا نحاسَبُ عليه فـيقـول الله عز وجل : صدَقَ عبدَى. فيدخُلُون الجَنَّةَ قبلَ الناسِ بسبعينَ عاماً »[٢].

عن عبـد الله بن عمرو رضى الله تعـالى عنهما قـال : « كنت عند رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم يومـا فطلعتْ الشـمسُ فقـال : يأتى قـومٌ يومَ القـيامـة نورُهم كنورِ الشمْس . قـال أبو بكر : نحن هم يارسول ا؟ ؟ قال : لا ولكم خـيرٌ كثيرٌ ولكنهم الفقراءُ المهاجِرون الذين يُحْشَرون من أقطارالأرض»[٣].

وعن حارثة بن وهب رضى الله تعـالى عنه قال : سـمـعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمِ يقـول : ألا أُخبِرُكم بأهلِ الجَنَّة ؟ كلُّ ضـعيف مُسْتَـضْعَف لو يُقْسِمُ على الله لأبَرَّه ، ألا أخبركـم بأهلِ النارِ ؟ كلَ عتُلٍّ جَوّاظٍ مسّتكبرٍ »[٤].

وقد بيّن صلى الله عليـه وآله وسلم حقيـقـة الغنى وحقيـقة الفقـر بقولـه لأبى ذر:

---

(١) رواه الطبرانى وابن حبان.

(٢) رواه الطبرانى وابن حبان.

(٣) رواه أحمد والطبرانى .

(٤) رواه النسائى وابن حبان.

« يا أبا ذر أتَرىٰ كثرةَ المال هو الغِنى ؟ قلت نعم يارسول الله قال : فترى قلة المالِ هو الفقر؟ قلت : نْعم يارسولَ الله قال : إنَّما الغِنَى غنى القلبِ والفقرُ فقرُ القلَب » الحديث .

عن فضالة بن عبيد رضى الله تعالى عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى بالناس يَخرُّ رجالٌ من قامَتِهم فى الصلاة من الخَصاصةِ وهم أصحاب الصُّفَّة حتى يقول الأعرابُ : هؤلاَء مجانينُ أو مجانُونَ فإذا صَلّى صلى الله عليه وآله وسلم انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لَكم عند الله لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تزْدادوا فاقةً وحاجةً »[1] .

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان .

فضل الزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة

ومن فضل هذه الأمة ما بشر به صلى الله عليه وآله وسلم المقبلين على طاعة الله المشمرين فى رضاه وطلب جنته المسارعين إلى مغفرته ورحمته الراغبين فى الآخرة المعرضين عن الدنيا ــ بشرهم بالغنى وجمع الشمل ومحبة الناس ومودتهم لهم . وتيسير أمرهم وتسخير الدنيا لهم وكفاية الله لهم .

جاء فى الحديث القدسى : « يا ابنَ آدمَ تفرَّغْ لعبادتى أمْلأُ قلبَك غنًى. وأَمْلأُ يديكَ رِزقا . با ابنَ آدمَ لا تُباعِدْ منى أمْلأُ قلبك فقراً وأملأُ يديك شُغْلا » (١) .

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم « تفرَّغوا من همومِ الدنيا ما استطعْتُم فإنه مَنْ كانت الدنيا أكْبَر همِّه أفْشى الله ضَيعته وجعلَ فقْرَه بينَ عينيه ومن كانت الأخرةُ أكبرَ همِّه جمعَ اللهُ عز وجل له أمورَه وجعل غناه فى قلبه وما أقبلَ عبدٌ بقلبِه إلى الله عز وجل إلا جعَل الله قلوبَ المؤمنين تَفدُ إلَيه بالوُدِّ والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خيرٍ أسْرَعَ » (٢) .

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كانت الدنيا نِيَّتَهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْه أَمْرَهْ وجَعَلَ فَقْرَهُ بيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يأْته مِن الدنيا إلا ما كُتِب له ومَن كانت الأخرَة نيَّتَه

---

(١) رواه الحاكم .

قوله : أملأ قلبك غنى ، أى قناعة وبسطة ورخاء وسعة .

وقوله : أملأ يديك شغلا أى اجعل اعمالك كثيرة بلا فائدة وأسلط عليك الدنيا تسخرك بجشعها

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى فى الزهد .

جمع الله له أمرَه وجعَل غناه فى قلبه وأتتْه الدنيا وهى راغِمةٌ »[١].

واعلم أنـه ليس المراد من هـذه الأحـاديـث حث الناس علـى ترك العـمل والسعى فى الدنيا والأخذ بالأسباب ــ لا ! .

بل إن العمل والسـعى فى طلب الدنيـا فى اعتبار الإسلام عبـادة مادام أنه يحفظ به نفسه وأهله وماله وينفع إخوانه .

والمقصود المعتبر عند ذوى البصائر هو ذم المقبلين على الدنيا إقبالا يقطعهم عن الآخرة بحيث تتمكن من قلوبهم فتـعظم من قلوبهم فتعظم عندهم حتى يعز عليـهم إنفاقـهـا ويؤلمهم إخراجـها وتمـلأ عليه فـراغهم حـتى تقطعـهم عن أهم الواجبات الشخصية والفرائض العينية .

وهذا معنى قوله فى الأحـاديث السابقة (فإنه من كانت الدنيا أكـبر همه) أى نهاية مـا يرجو من كده . ويقـابله قوله (ومن كـانت الآخرة أكبـر همه) ولم يقل همه ـ ليبين أن من اشتغل بشىء من الدنيا للمقاصد المحمودة فعمله محمود خارج عن المذمّة .

وعلى هذا تحمل جميع ألفـاظ الأحـاديث الواردة فى هذا البـاب كقـوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ كانت الأخِرَةُ هَمَّـه جَعلَ اللهُ غناه فى قَلْبه وجَمَعَ له شَمْلَه وأتَتْه الدُّنْيا وهى راغمَةٌ ، ومَن كانت الدُّنْيا هَمَّه جعلَ اللهُ فَقْرَه بينَ عَيْنَيْه وفَرَّقَ عليه شَمْلَه ولم يَأتِه من الدنيا إلاّ ما قُدِّر له »[٢].

ومعنى قـوله جعـل الله فقـره بين عينيه أى أنه مهـما سعى وجـمع فإنــه لا يرى نفـسه إلا فقـيراً ومـهـمـا اجتهـــد فى الدنيـا وتعب فإنه لا يرى نفـســه إلا

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى .

(٢) رواه الترمذى .

مقـصراً ومهـمـا سهر وكـدّ فإنـه يرى أنه لا زال محـتاجا فـيواصل كده وجـهده وتعبه مع هـذا الشعور والإحساس حتى لا يستقر له بال ولا تهـدأ لــه نفس ولا يطمئن لـه قلب ولا تثبت له غاية بـل يجرى فى هذه الدنيا كـالحمـار حتى إنه لا يستفـيد هو من دنياه هذه بفائدة تجمع علـيه نفسه وتقرّ له عـينه ، وبهذا يكون قد خسر الدنيا والآخرة .

فضل الصبر على البلايا

ومن فضائل هذه الأمة وشرفها ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على الصبر .

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الطُّهُوْرُ شَطْرُ الإيمانِ ، والحمدُ لله تَمْلأُ الميزانَ وسُبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ أو تملأُ ما بين السماء والأرضِ ، والصَّلاةُ نورٌ والصَّدَقَةُ برهانٌ والصبرُ ضياءٌ والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليكَ كلُّ النَاسِ يَغْدُو فبائِعٌ نفْسَه فمُعْتِقُها أو مُوْبِقُها» (١) .

قال العلقمى : قال النووى : معناه الصبر المحبوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره فى الدنيا ، والمراد أن الصبر المحبوب لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب .

قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة. وقال الأستاذ أبو على الدقاق : حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافى الصبر . قال تعالى فى أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً ﴾ مع أنه قال: ﴿رَبَّ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ ﴾ .

ومعنى (والقرآن حجة لك) أى تنتفع به إن تلوته وعملت به ، أو عليك إن

---

(١) رواه مسلم .

أعرضت عنه .

ومعنى (كل الناس يغدو) أى يتوجه نحو ما يريد.

وقوله : (فمعتقها أو موبقها) أى فمبعدها من النار أو مهلكها . قال العلقمى : معناه أن كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها: أى يهلكها ؛ كأنه قيل : ما حال الناس بعد ذلك ؟ فأجيب : كل الناس كذا وكذا .

وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن الصابر من المهتدين الآمنين.

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أُعْطِىَ فشكَرَ وأُبْتُلِيَ فصَبَرَ وظَلَمَ فاسْتَغْفَرَ وظُلِمَ فغَفَرَ . ثم سَكَتَ. فقالوا يارسولَ الله مالَهُ؟ قال أولئك لَهُمُ الأمنُ وهم مُهْتَدُونَ » [١].

والصبر هو باب الفرج : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الصَّبْرُ مِعْوَلُ الْمُسْلِمِ » [٢].

والصبر على البلاء كفارة وطهرة للعبد.

عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما ابْتَلى الله عَبْداً ببلاء وهو على طريقة يكْرَهُها إلا جَعَلَ اللهُ ذلك البلاءَ كَفّارَةً وطَهُوراً مالَمْ يُنْزِلْ مَا أَصابَه من البلاءِ بغيرِ اللهِ عز وجل أو يَدْعُو غيرَ اللهِ فى كَشْفِه » [٣].

ومن فضائل هذه الأمة أن شدة البلاء على الواحد منها بحسب قوة الدين.

---

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه رزين : وقوله معول المسلم : أى الذى يعتمد عليه ويستعين به فى إزالة همومه.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا.

عن ابن المسيب عن أبيه عن سعد قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياءُ ثم الأمْثَلُ فالأمثلُ يُبْتَلَىٰ الناسُ على حسَبِ دِينهم. فمَنْ ثَخُنَ دِيْنُهُ اشتَدَّ بلاؤُه . ومن ضَعُفَ دينُه ضعُفَ بلاؤُه . وإن الرَّجُلَ لَيُصِيْبُهُ البَلاَءُ . حتّى يَمْشِيَ في الناسِ مَا عليه خَطِيْئَةٌ »[١].

أما في الآخرة فقد جاء في حق أهل البلاء من الثواب ما يتمنى معه أهل العافية أن لو انغمسوا في البلاء انغماساً .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يُؤْتى بالشهيد يومَ القيامة فيُوقَفُ للحساب ثم يُؤْتَى بالمُتَصَدِّق فينصَبُ للْحسَاب ثُمَّ يُؤْتى بأَهْلِ الْبَلاء فَلا يُنْصَبُ لهم مِيْزانٌ ولا يُنْصَبُ لهم دِيْوانٌ . فَيُصَبُّ عليهم الأجْرُ صَبّاً مِنْ حُسْنِ ثَوابِ الله »[٢].

وقد بشر الله سبحانه وتعالى المؤمن المبتلَى بما يطمئن قلبه ويسليه ويثبته ويواسيه .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا أحَبَّ اللهُ عَبْداً أو أرادَ أنْ يُصَفِّيَهُ صَبَّ عليه البَلاءَ صَبّاً . وثَجَّهُ عليه ثَجّاً. فإذا دعَا العبدُ قال : يا رَبَّاهُ قال الله : لَبَّيْكَ يا عَبْدِي لا تَسْأَلُني شيئاً إلاّ أعْطَيْتُكَ إمَّا أنْ أُعَجِّلَهُ لكَ وإمّا أنْ أدَّخِرَهُ لك »[٣].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْه »[٤].

---

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) رواه ابن ابي الدنيا .

(٤) رواه مالك والبخاري : قوله يصب منه : يوجه إليه مصيبة.

وبَشَّر الله المبتلى الصابر بمنزلة فى الجنـة لا يدركهـا إلا بذلك البـلاء فقال : « إنَّ العَبْـدَ إذا سَبَقَتْ لـهُ منَ الله مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْـهـا بَعَمَلِ ابْتَلاهُ اللهُ فى جَـسَدِه أو مَاله أو فى ولَـده ثُمَّ صَبَرَ عَلى ذَلِكَ حـتَّى يُبَلِّغَهُ المَـنْزِلَةَ الَّتى سَبَقَـتْ لَهُ من اللهِ عزَّ وجَلَّ »[1].

والبلاء اخـتبار من الله سبـحانه وتعالى ليظهـر الصافى الصادق من غـيره . ولذلك جـاء عنه صلى الله عليـه وآله وسلـم أنه قال : « ان الله لَيُـجَـرِّبُ أحَـدَكُمْ بالبلاء كَـما يُجَـرِّبُ أحَدُكُمْ ذَهَبَـهُ بالنار ، فمنْهُ مـا يَخْرُجُ كالذهـب الإبْريز فَذَاكَ الذَّى حَـماهُ منَ الشُّـبُـهَات ، ومنه مـا يَخرُجُ دُونَ ذلك فـذلكَ الذَّى يَشُكُّ بعضَ الشكِّ ، ومنه ما يخرُجُ كالذَهبَ الأسْود فذَاكَ الذى أُفْتُنَ »[2].

« فإذا أُصيْبَ بمصيـبة فى ماله أو نَفْسِه وكَتَمَـها ولـم يَشْكها إلى الناسِ كانَ حقا على الله أنْ يَغْفِرَ لَهُ »[3].

« وإذا كثُرَتْ ذنوبُ العبدِ ولم يكن له مـا يكفرها ابتلاه الله بالحزن لُيكَفِّرَها عنه »[4].

ولا غرابة فى صبـر الصابرين على شدة البلاء تطلعـا إلى ما عند الله مما هو خبر وأبقى .

فقـد جاء فى الحديث عن عطاء بن أبى رَباح رضى الله عنه قـال : « قال لى ابنُ عباس رضى الله عنهمـا : ألا أُريْكَ امرأةً من أهلِ الجَنَّةِ ؟ فقلتُ : بَلى. قال :

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) جاء هذا فى الحديث المرفوع الذى رواه الطبرانى .

(٦) جاء هذا فى حديث رواه أحمد.

هذه المَرْأةُ السَّوْداءُ أتَتْ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلـم فقالت : إنى أُصْرَعُ وإنّى أتَكَشَّفُ فَادْعُ الله لى . قال : إن شئْت صَبَرْت ولَك الجَنَّةُ . وإن شئْت دعوتُ الله أن يُعَافيَك ؟ قالتْ : أصْبِرُ فقالَتْ : إنّى أتَكَشَّفُ فادْعُ الله لى أنْ لاَ أتَكَشَّفَ ، فدعا لَها »[١] .

ومن البشائر العظمى التى بشر بها صلى الله عليه وآله وسلم المبتلى ــ أن الله تعالى يتكرم عليه فيجزى له ثواب عمله الذى كان يعمله قبل مرضه .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا ابْتَلى الله عز وجل العبدَ المُسْلمَ ببَلاء فى جَسَده قال اللهُ عزَّ وجلَّ للْملَك : اكْتُبْ لَهُ صَالحَ عَمَله الذى كان يَعْمَلُ . وإن شَفاهُ غَسَلَهَ وطهَّرَهُ ، وإن قَبَضَهُ غفَرَ له ورَحمَهُ »[٢] .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عَجَبٌ للمؤمنِ وجَزَعه من السَّقَم ، ولو كان يعلَمُ ما لَهُ من السَّقَم أحَبَّ أن يكون سقيماً الدهرَ ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع رأسه إلى السماء فضحكَ ، فقيل يارسول الله ممَّ رفَعْتَ رأسك إلى السماء فضحكت؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عَجبْتُ من مَلَكَيْن كانا يلتمسان عبدا فى مُصَلّى فيه فلم يجداهُ فرجَعا فقالا: ياربَّنا عَبْدُكَ فلانٌ كنّا نَكْتُبُ له فى يومه وليلَته عملَه الذى كانَ يَعْمَلُ فوجدْناه حَبَسْتَهُ فى حبالك (أى أمرضْتَه) قَال الله تبارك وتعالى : [أُكْتُبُوا لعبدى عملَه الذى كان يعمَلُ فى يومه وليلَته ولا تَنْقُصُوا منه شيئاً وعلىَّ أجرُ ما حَبَسْتُهُ وله أجرُ ما كان يعمَلُ »[٣] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد

(٢) رواه أحمد

(٣) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط .

وبشر الله سبحانه وتعالى العبد الذى فقد بصره بالجنة إذا رضى وحمد.

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنّ الله عز وجل قال إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدى بِحَبِيبَتَيْهِ (أى عينيه) فصَبرَ عَوَّضْتُه مِنْهُما الجَنَّة »[١].

وعن عائشة بنت قدامة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« عَزِيزٌ على الله أن يَأْخُذَ كَرِيمَتَىْ مُؤْمِن ثُمَّ يُدْخِلَهُ النارَ»[٢].

وعن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما ابْتُلِىَ عبدٌ بعدَ ذهابِ دينه بأشدَّ من ذهابِ بَصَرِه . ومن ابْتُلِىَ بِبَصَرِه فصَبرَ حتّى يَلْقَى الله لَقِىَ الله تبارَكَ وتَعالى ولا حسَابَ عَلَيه »[٣].

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن يُبْتَلَى عَبْدٌ بشىء أشدَّ عليه من الشِّرْك بالله ولَنْ يُبْتَلى عَبْدٌ بشىء بعد الشِّرْك بالله أشدَّ عليهِ مِنْ ذهابِ بَصَرِهِ ولن يُبْتَلَى عبدٌ بذهابِ بَصرِه فصَبَر إلاَّ غفرَ اللهُ له »[٤].

وقد بشر الله تعالى المريضَ ببشارات كثيرة منها أنه إذا قال : (لا إلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكْبَرُ لا إله إلا الله وحده ، لا إله إلا الله ولا شريكَ له ، لا إله إلا الله ، له المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ــ ثم ماتَ فى ذلك اليوم أو فى تلك اللَّيْلَه أو فى ذلك الشَّهْرِ غُفِرَ ذَنْبهُ)[٥].

---

(١) رواه البخارى والترمذى.

(٢) رواه أحمد والطبرانى

(٣) رواه البزار.

(٤) رواه البزار

(٥) رواه النسائى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها أنه إذا قال : « لاَ إلهَ إلا أنتَ سُبْحانَكَ إنىّ كنتُ من الظالمينَ ودعا بها فى مرضـه أربعين مرة فـمات فى مرضه ذلك أُعْطِـىَ أجرَ شهيـدٍ وإن بَرأ برأ وقد غُفِرَ له جميعُ ذنُوبِه » [١].

وجاء عَن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهـدا على رسول الله صلى الله عليــه وآله وسـلم أنه قـال : « مـــن قـال لا إلـه إلا الله والله أكـبـر صـدَّقَهُ رَبُّهُ فـقــال : لا إله إلا أنَا وأنـا أكْـبَـرُ ، وإذا قال : لا إله إلا هو وَحْـدَه قال: يقـول لا إله إلا أنا وحْدى .وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شـريكَ له قال يقول : صدَقَ عبـدى لا إلـه إلا أنا وحــدى لا شريكَ لى ، وإذا قال : لا إلـه إلا الله وحـدَه لا شـريك له ، له المُلْكُ ولهُ الحْمدُ قـال : يقـول لا إله إلا أنا لى المُلْكُ ولى الحـمدُ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حـولَ ولا قوة إلا بالله . قـال : لا إله إلا أنا ولا حـول ولا قوة إلاَّ بـى . وكان يقـول : من قـالهـا فى مرضـه ثم مـات لم تَطْعَمْهُ النارُ » [٢].

ومنها أنه إذا قـال : « سبحـانَ المَلك القُـدُّوسِ الرحـمـن الدَّيْان لا إلــه إلا أنْتَ مُسكِّـنِ العُـروقِ الضَّارِبَةِ ومُنِيْم العُيونِ السَّاهِرَةِ ــ شفاهُ الله تعالَى » [٣].

ومنهـا أن دعـوتــه مـسـتـجـابـة ، ولذلك قـال النبى صلـى الله عليـه وآله وسلم : « إذا دخلـــتَ على مـريـض فـمُـرْهُ يدْعُــو لَكَ ! فـإنَّ دُعـاءَه كـدُعـاءِ الـمَلائِكَةِ » [٤].

---

(١) رواه الحاكم عن سعد بن مالك عن النبى صلى اللهعليه وآله وسلم.
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم.
(٣) رواه ابن أبى الدنيا .
(٤) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

وقال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « عُودُوا المرضى ومُروهم فليَدْعوا لكم فإنّ دعوة المريضِ مُسْتَجَابَةٌ وذنْبُه مغفورٌ » [١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تُرَدُّ دعوةُ المَرِيْض حتّى يبْرأَ » [٢].

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا .

فضل عيادة المرضَى

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على عيادة المريض .

قد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : « من عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماء: طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ مَنْزِلا » (١).

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ المُسْلِمَ إذا عادَ أخاه المُسْلِمَ لم يزَلْ في خُرفَةِ الجنَّةِ حتّى يَرْجعَ قيل: وما خُرْفَةُ الجنةِ؟ قال : جَناها » (٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوْءَ وعادَ أخاهُ المُسْلِمَ مُحْتَسِباً بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ سبْعِينَ خَرِيفاً . قلتُ يا أبا حَمْزَةَ ما الخَرِيْفُ ؟ قال : العَامُ » (٣).

وعن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما مِنْ مُسْلِم يَعُودُ مُسْلماً غُدْوَةً إلاّ صَلَّى عليه سَبْعونَ ألفَ مَلَك حتَّى يُمْسِيَ. وإنْ عادَهُ عَشِيَّةً صَلى عَلَيهِ سبعون ألفَ مَلَكٍ حتَى يُصْبِحَ ، وكانَ لهُ خَرِيفٌ في الجنَّة » (٤).

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي : قوله خرفة الجنة أي ما يجتنى من نخلها .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه الترمذي.

وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أيمـا رجُلٍ يعودُ مريضاً فإنَّمـا يَخُوْضُ فى الرَّحْمَةِ فـإذا قَعَدَ عِنْدَ المريض غَمَرَته الرَّحْمَةُ .

قال فقلتُ : يارسـولَ الله هذا للصَّحِيْحِ الذى يَعُودُ المريضَ فَـما للمَرِيْضِ؟ قال تُحطُّ عنه ذُنُوبُه »[١].

وعن جابر بن عبـد الله رضى الله عنهما قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن عاد مريضاً لم يَزَلْ يَخُوضُ فى الرَّحْمَةِ حتّى يَجْلِسَ فإذَا جَلَس اغْتَمَسَ فيها »[٢].

(١) رواه أحمد ورواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٢) رواه مالك بلاغا وأحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان والطبرانى

فضل من مات غريبـــا

ومن خصائص هذه الأمـة الحميدة ومزاياها العديدة مـا جعله الله تعالى من الثواب لمن مات غريبا منهم .

فـمن ذلك أنه يعطى فى الجنة مكانا خـاصا زائدا علـى غيـره بمقدار مـا بين مولده وبين مكان موته .

فعن عبد الله بن عمرو بن العـاص رضى الله عنهما قال : مات رجل بالمدينة ممن وُلد بهـا . فصلى عليـه رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ثم قال : « ياليـتهُ مات بغيرِ مولِده قالوا : ولِمَ ذَاكَ يارسولَ الله قال : إن الرَّجُلَ إذَا ماتَ بغيرِ مَولِده قِيْسَ بينَ مولِدِه إلى مُنْقَطَعِ أثرِه فى الجَنَّةَ »[(١)] .

ومنها أن الذى يموت غريبا فإنه شهيد.

عن ابن عبـاس رضى الله تعالى عنهمـا قال : قال رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « موتُ غُرْبَة شهادةٌ »[(٢)] .

قـال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ذات يوم : « مـا تعدُّون الشـهيـدَ فيكم؟ قلنا يارسـول الله . من قُتل فى سبـيل الله قال : إن شُهـداءَ أُمّتى إذا لَقليلٌ . من قُتِل فى سـبيل اللهفهو شهـيدٌ والمتَردِّى شهـيدٌ والنُّفَساءُ شـهيد والغَرِيْقُ شَـهيد والسِّلُّ شهيدٌ والحريقُ شهيد والغريبُ شهيد »[(٣)] .

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه النسائى واللفظ له . وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

فضل القيام بأمور الموتى وشفاعة المصلين لهم وإن خيار هذه الأمة شهداء الله فى الأرض

ومن الفضائل التى أخبر بها صلى الله عليه وآله وسلم ماجاء فى فضل تغسيل الموتى وتكفينهم وحفر القبور لهم والصلاة عليهم.

فقدجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من غسَل مَيْتاً فكتَم عليه غَفرَ اللهُ له أربعين كَبيرةً . ومن حَفَر لأخيه قبراً حتى يُجنَّه (أى يَدفنَه) فكأنَّما أسْكنَه مَسكناً حتى يُبْعَث »[١].

وفى رواية : « من غسَل ميّتاً فكتَمَ عليه غَفر اللهُ له أربعين مرةً ومن كفَّن ميتاً كسَاه الله من سُنْدُس وإسْتَبْرَق فى الجنة ، ومن حفَر لميت قبراً فأجَنَّه فيه أجْرَى الله له من الأجرِ كأجر مسكن أسكَنه إلى يومِ القيامة »[٢].

وفى رواية : « من حَفَر قبراً بَنَى اللهُ له بيتاً فى الجنة. ومَنْ غَسَل ميتاً.. خَرج من ذنوبه كيومِ ولَدتّه أمُّه ، ومَن كفّنَ ميْتاً كَساه الله من حُلَل الجنة ، ومن عَزَّى حَزيناً ألْبسَهُ الله التَّقْوى وصَلَّى على رُوحه فى الأرْوَاحِ ومن عَزّى مُصَاباً كساهُ الله حُلَّتَين من حُلَل الجنة لا تَقُومُ لهما الدنيا ومن تَبع جَنَازة حتى يُقضَى دَفْنُها كَتَب اللهُ ثلاثةَ له قَراريط. القيراط منها أعظَمُ من جبل أُحُدٍ . ومن كفلَ يتيماً أو أرْملةً أظَلَّه اللهُ فى ظِله وأدْخَلَه الجنة »[٣].

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.

وجاء فى فضل تشييع الجنائز : « أنّ مَنْ شَـهد الجَنازةَ حتى يُصلَّى علَيها فَله قيراطٌ ، ومن شـهدَها حتى تُدْفنَ فله قِيـراطان . قِيل : وما القِيْـراطانِ؟ قال مِثْلُ الجبَلَيْن العَظِيْميْن » [١].

وقد أكـرم الله تعالـى الميتَ من هذه الأمة بأن جـعل صلاة من يصلى علـيه شفاعة له .

يقول صلى الله عليه وآله وسلم : « مامنْ مَيْت يُصلِّى عليه أُمَّةٌ من المسلمين يَبْلُغون مِائةً كُلّهم يَشْفَعون له إلا شُفِّعُوا فيه » [٢].

وقول صلى الله عليه وآله وسلم : « ما مِنْ رجُل يُصلّى عليه أُمّةٌ إلا غَفَر الله له » [٣].

وعن مالك بن هبـيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول:« مامن مُسْلم يَموت فُيـصلِّى عليه ثلاثةُ صُفُوف من المسلمين إلا أوْجبَ ــ أى استَحقَّ دخولَ الجنة ــ » [٤].

وكان مالك إذا استقبل أهل الجنازة جَزّأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث .

وروى عن عبـد الله قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ عَزَّى مُصاباً فلَهُ مِثلُ أجْرِ صاحِبه » [٥].

وعن كُرَيْب « أن ابن عباس رضى الله عنهما مات له ابنٌ بقُدَيد أو بعُسْفان فقـال : يا كُرَيْبُ انْظُر مـا اجتـمعَ له من الناس ؟ قال : فـخرجْتُ فـإذا ناسٌ قد

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم والنسائى والترمذى.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى.

(٥) رواه الترمذى .

اجتَمعوا فأخبَرتُه فقـال : تقول هُمْ أربُعون ؟ قال : قلتُ نَعم قال : أخْرجوه. فإنّي سمـعتُ رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم يقـول : ما من رَجُلٍ مُسلـم يَموتُ فيَقوم على جَنازتِه أربعُون رجُلاً لا يُشرِكون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُمُ اللهُ فيه » (١).

واكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة أيضاً فجعَل ألسنةَ الخيار منهم علامات على الخير ودلائل على الهدى وشهادة صادقة على حسن الحال وخير المآل .

عن أنس رضى الله عنه قـال : « مُرَّ بجنَازة فـأُثْنى عليَها خيـرٌ فقـال نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم : وجَبتْ وجبتْ وجَبتْ ، ومُـرَّ بجنازة فأثْنى عليها شرٌّ فقال نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم :وجَبتْ وجبَتْ وجَبتْ . فقال عمر : فدَاكَ أبى وأُمى. مُرّ بـجنازة فأثنى عليـها خيْـرٌ فقلتَ : وجَـبتْ وجبَتْ وجَـبتْ . ومر بجنازة فأثْنىَ عليهـا شر فقلت وجَبتْ وجبَتْ وجَبتْ . فـقال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم: مَن أثْنَيْـتم عليـه خيـراً وجَبـتْ له الجَنّةُ ومن أثنيْـتم عليه شـراً وجَبتْ لَه النارُ . أنْتُم شُهداءُ الله فى الأرض » (٢).

وفى رواية : قـال النبى صلى الله عليـه وآله وسلم : « أيُّما مُـسْلمٍ شَهِـدَ له أربعـةُ نَفر بخَـيْرِ أدخلَه اللهُ الجنّة قـال : فقُلْنا : وثلاثةٌ ؟ فـقال : وثَلاثَةٌ . فـقلنا : واثنانَ ؟ قال : واثنانِ. ثم لَمْ نسألَه عن الواحِد » (٣).

وفى رواية : قال النبى صلـى الله عليه وآله وسلم : « ما من مُـسْلم يَمُوتُ فيَشْهَدُ له أربعةُ أهـلِ أبيات من جيـرانه الأدنَيْنَ أنَّهـم لا يَعْلَمُون إلا خَيْراً إلا قال الله : قدْ قبِلْتُ عِلمكُم فيه وغَفرْتُ له مَا لا تَعْلمون.

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماحه .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه البخارى .

تعريف الأمة المحمدية بأمور البرزخ

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمـة أنه حصل عندها العلم الكامل بما سيكون في البرزخ وما يجرى فى ذلك العالم حتى صار الأمر المغيب كالمشهود المرئى.

عن أنس رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قـال: « إنّ العبْدَ إذا وُضِع فى قبره وتَولَّى عنه أصْحَـابُه. وإنّه لَيَسمَعُ قَرْعَ نعالهم أتاهُ مَلَكان فَيُقْعِـدَانه فيَقولان له :ما كُنْتَ تَقـولُ فى هذا الرجل مُحَمَّد؟ فأمَّا المُؤْمِـنُ فيقولُ : أشْهَدُ أنَه عبدُ الله ورَسُولُه فَيُقال له : أنْظُرْ إلى مَقْعَدك من النّار أبْدَلكَ اللهُ به مَقْعَداً من الجنة قال النبـى صلى الله عليه وآله وسلم : فيـرَاهُما جمـيعاً، وأمـا الكافرُ أو المنافقُ فيَقولُ لا أدْرى كنْتُ أقولُ ما يَقولُ الناسُ فيه . فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ثم يُضرَب بمطْرَقةٍ من حديدٍ ضَرْبَةً بين أُذُنَيْه فيَصِـيحُ صَيْحةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيْه إلا الثَّقلَيْن »[(١)].

وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم فى رواية أخرى بما يؤيد ما لهذه الأمة من الكرامة. إذ خصّها بالحديث الذى لم يَرِدْ على لسان نبىٍّ من قبْلُ ، ومَيَّزها بما أطْلعَهَـا عليه من ذلك الغيْب المكْنون فـقال بعد أن اسـتعاذَ بالله من فـتنة الدجال ومن فـتنة عـذاب القبـر: «أمَّا فـتْنةُ الدَجَّـال فـإنّه لم يكن نبـىٌّ إلاّ حَذَّر أُمَّتَـه وسـأحَـدّثكُم بحـديث لم يُحَذّرْه نـبىٌّ أُمَّتَـهُ ، إنّه أعْـوَرُ وإنّ الله ليس بأعْـوَر ، مكتوبٌ بينَ عـينَيْه كافـرٌ ، يقرَؤه كلُ مؤمن فـأمّا فتنـةُ القبرِ فبـى يُفْتَنون وعَنِّى يُسْألون. فـإذا كاَن الرَجُـلُ الصالح أُجلِـسَ فى قبره غيْـرَ فزِعٍ ولا مَشـعوفٍ ثم

---

(١) رواه البخارى واللفظ له ومسلم .

يُقال له : فـما كُنْتَ تقول فى الإسلامِ؟ فـيقول هو ديني فيـقالُ : مـا هذا الرَّجُلُ الذى كان فيكم؟ فيـقول : محمّدٌ رسولُ الله جاء بالبَـيِّنَات من عند الله فَصدَّقْنـاه فتفرَج له فُرْجَـةٌ قبلَ النار فيَنْظُر إليها يُحَطِّـم بعْضُها بعـضاً فيقال له : انْظُرْ إلى ما وقَـاك الله ثم تُفْرَج له فُرْجَةٌ إلـى الجنـة فـيَنْظُر إلى زَهْرتها وما فـيها فيُـقال له : هذا مَقْعَدُك منها ، ويقال : عَلَى اليَـقين كُنْتَ وعَليه مُتَّ وعليه تُبْعَث إن شاء الله . وإذا كان الرجُل السُّوءُ أُجْلِس فى قَبره فَزِعاً مشعوفاً فيُقال له : فما كنتَ تقولُ . فيقول : سمعْتُ الناسَ يقولون قولاً فقُلْتُ كما قالُوا فيُفرَج له فُرجَةٌ إلى الجنة ، فينَظُر إلـي زهَرْتها وما فـيها فـيقـال : له انْظُرْ إلي ما صَرف اللهُ عنـك ثم يُفْرَج له فرجةٌ قبَل النارِ فيَنْـظُرُ إليها يحَطِّمُ بعَضُها بعضاً ويقال : هـذا مَقْعدُك منها ، على الشَّكّ كنتَ وعَليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ إن شاء الله ثم يُعَذَّبُ » [١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم قال : «إنّ الميْتَ إذا وُضع في قَبره إنّه يَسْمع خَفْقَ نعالِهم حين يُوَلُّون مُدْبِرين فإنْ كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسه وكان الصيامُ عن يمينه وكان الزكاةُ عن شماله وكان فعلُ الخـيرات من الصَّـدقةَ والـصِّلات والمعـروف والإحسـانِ إلي الناس عند رِجْلَيـه فيُؤتَى منْ قِبل رأسـه فتقول الصلاةُ : ما قبلي مَدْخلٌ . ثم يُؤتى عن يَمـيْنه فيقول الصيّـامُ : ما قِبَلي مَدْخَـلٌ ثم يُؤْتَى عن يَساره فتقـول الزكاةُ : ما قـبل مَدْخَلٌ ثم يؤْتَى من قِبَلِ رِجْلَيـه فيقول فعلُ الخـيرات من الصدقة والمعـروف والإحسان إلي الناس : ما قِبَلِي مَدْخلٌ . فيقَال له اجلسْ فيجلسُ قد مُثِّلَتْ له الشَّمسُ وقد أَدْنَتْ للغُروبِ فيُـقَال له : أرأيتَك هذا الذى كان قبَلَكُم مـاتقولُ فيه وماذَا تَشْـهَدُ عليه فيَقُول : دَعُوني حتّى أُصلِّيَ فيقولون إنّك ستَفْعَلُ . أخْبِرنْا عما نَسألك عنــه .

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح .

أرأيتَك هذا الرَّجُل الذى كان قبلَكُمْ ماذا تَقُول فيه وماذا تَشْهَدُ عليه ؟قال: فيقول: محمدٌ أشْهَدُ أنه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه جاءَ بالحقِّ من عند الله فيُقال له : على ذلك حَيَيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلى ذلك تُبعَث إن شاء الله ثم يُفتَح له بابٌ من أبواب الجنة فيقال له : هذا مَقعَدُك منها وما أعدَّ اللهُ لك فيها فيَزْدادُ غِبْطةً وسُرُوراً . ثم يُفْتَح له بابٌ من أبوابِ النّار فيقال له : هذا مَقْعدُك وما أعدّ اللهُ لك فيها لو عَصيْتَه فيَزْدادُ غِبْطةً وسُروراً . ثم يُفْسَحُ له فى قبره سَبْعُون ذراعاً ، ويُنوَّر لُه فيه ويُعَاد الجسد كما بدَأَ منه فتُجعَل نسَمتُه فى النَّسم الطَّيِّبِ وهى طَير تَعَلَّقَ فى شجر الجنّة. فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ ـ الأية . وإنّ الكافرَ إذا أُتى من قِبلَ رأسه لم يُوْجَد شَىءٌ . ثم أُتى عن يَمينه فلا يوجَدُ شَىْءٌ ثم أُتىَ عن شماله فلا يُوجَدُ شىءٌ ثم أُتىِ من قَبلَ رجْلَيه فلا يُوجَد شىءٌ . فيقال له : اجلسْ فيَجلس مَرْعُوباً خائفاً . فيقال: أرأيتَكَ هذا الرجلَ الذى كان قبلكم ماذَا تَقُول فيه وماذَا تشْهَد عليه ؟ فيقول : أىُّ رَجلٍ ولا يَهتدى لاسمه . فيقال له : محمدٌ . فيقول : لا أدْرى سَمعتُ الناسَ قالُوا قولاً فقلتُ كمَا قَالَ الناسُ. فيقال له : على ذلك حَيْيْتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعثُ إن شاء الله ثم يُفتَح له بابٌ من أبْوَابِ النار. فيقال له : هذا مَقْعدُك من النار وما أعَدَّ الله لك فيها فيزدادُ حَسْرةً وثُبُوراً ثم يُفتَح لـه بابٌ من الجنة . ويقالَ له : هذا مَقْعدُك منها وما أعدَّ اللهُ لك فيها لو أطعتَه فيزدادُ حسْرةً وثُبوراً . ثم يُضيَّق عَليه قَبْرُه حتى تَختلفَ فيه أضلاعُه فتلْك المعيشةُ الضَّنْكَةُ التى قال الله : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [1].

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه واللفظ له.

وفى رواية للطبـرانى : يُؤتَى الرَجُلُ فى قـبرِه فـإذا أُتىِ قِـبلَ رأسه دفـعَتـّ تلاوةُ القرآن وإذا أُتِى من قِبلَ يدَيْه دفعَتْه الصَّـدقةُ . وإذا أُتىِ مَن قِبلَ رِجْليَه دفعه مَشْيُه إلى المساجد .

البعث وأهوال يوم القيامة

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنا بما يَجرى فى البعث وفى أهوال يوم القيامة فأخبرنا عن الصُّور الذى يُنفخ فيه . وأنه قرنٌ مثلُ البُوق ، والنفخُ فيه هو عبارةٌ عن صَيْحَة إسرافيل. وأخبرنا عن اسرافيل وأنه له أربعة أجنحة جَنَاحان فى الهواء وجَناحٌ قد تَسَرْبَلَ به وجَناحٌ على كاهله والقلمُ على أُذنه . فإذا نَزل الوحْىُ كَتب القَلمُ ثم دَرستْ الملائكة ، ومَلَكُ الصُّور جاث على إحدى رُكْبتَيه وقد نَصَب الأُخرى فَالْتَقَمَ الصُور يَحنِى ظَهْرهُ وقد أُمِرَ إذا رَأى إسرافيلَ قد ضَمَّ جناحَه أن يَنفُخَ فى الصُورِ » [١].

وأخبر أن الساعة تأتى بغتةً فَجْأةً وأقسم على ذلك فقال : تَطْلُع عليكم قَبل الساعة سَحابةٌ سوداءُ من قِبل المَغْرب مثلُ التُّرْس فلا تَزال تَرتَفع فى السَّماء وتَنْتشر حتى تَمْلأ السماء ثم يُنادى مناد : يا أيُّها الناسُ أتَى أمرُ الله فلا تَسْتعجلُوه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فَوالّذى نفسى بيده إنّ الرَجُلَين يَنشُران الثوبَ فلا يَطْويَانه ، وإن الرّجُل لَيَمْدُرُ حَوْضَه فلا يَسقى منه شيئاً أبدا، والرجُل يَحلُب ناقتَه فلا يَشْربهُ أبدا» [٢].

(مدر الحوض أى طيّنه لئلا يتسرب منه الماء) .

وأخبر عن النَّافخِيْن . فقال : « إنهما فى السماءِ الثانية رأسُ أحدِهما

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

بالمَشْـرق ورجْلاه بالمَغـرب. أو قال : رأسُ أحَـدهما بالمَغـرِب ورِجْلاه بالمشـرِق يَنْتَظِرَانِ متى يُؤمَران أن يَنْفُخا فى الصُّوْر فينْفُخانَ » [١].

وأخبر أن الـناس يُحْشرون حُفـاةً عُراةً غُرْلاً [٢]. قد ألجْمـهُمْ العَرقُ وبلغَ شُحومَ الآذانِ . فقالت أُم سلمة وعائشةُ متـعجبتَين : يَنظُر بَعْضُنا إلى بعضٍ فقال صلى الله عليه وآلـه وسلم « الأمر أشدُّ من أن يَهُمَّهُمْ ذلك فقــد شُغِلَ كُلٌّ بنفسه « لِكُلّ امرئٍ يومئذ شأنٌ يُغنيه » [٣].

وأخبـر أن الكافر يُـحْشَر علــى وجهه مـسحُـوبـاً مُستـدلاً بقوله تعـالى : ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾فتعـجّب أنس من ذلك فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « ألـيس الذى أمْشاه على الرجلَيْن فى الدنيـا قادرٌ على أن يُمْشيَه على وَجْهِه ؟ قال قتادةُ حين بلَغه : بَلى وعِزَّةِ ربِّنا » [٤].

وتحـدث صلى الله عليـه وآله وسلم عن صُـوَر مـتعـددة لحشـر الناس يومَ القيامة. فمنهم من يُحْشَر راكباً طاعِماً كاسياً . ومنهم من تَسَحَبُهُم الملائكةُ على وُجُوههِم وتَحْشُرهـم النَّار . ومنهم من يَمشُون يَسْعَون» [٥]. « ومنهم من يُحشَر على صُـورَة الذرِّ (أى النمل الصغير) يَطؤهُم الناسُ بأقـدامهم فـيُقـال : ما بَالُ هؤلاء فى صُورِ الذّرّ؟ فيقال : هؤلاءِ المُتكبِّرُون فى الدنيا » [٦].

وفى رواية :«يُحـشَر المتكبِّـرُون يومَ القـيامـة أمثـالَ الذرِّ فى صُوَر الرِّجـال

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٢) الغرل بضم الغين واسكان الراء جمع اغرل وهو القلف . والقلفة هو الزائد الذى يقطع من الحشفة بعد الولادة فهذا يرده الله تعالى على الناس بعد البعث .

(٣) رواه الطبرانى.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

(٥) رواه النسائى .

(٦) رواه البزار .

يَغْشَاهُـم الذُلُّ من كل مكان يُسَاقُـون إلى سجـن فى جهنم يُقال لـه : بُولَـسُ « تَعْلُوهُم نارُ الأنْيَار يُسْقَون من عُصَارةِ أهلِ النارطِّينة الخَبَال » [١].

« ومنهم من يُحشَر راغِبـاً . ومنهم من يُحشر راهبـاً . واثنان على بَعـير . وثلاثةٌ على بَعير وأربعةٌ على بعير ، وعَشرةٌ على بعير وتَحشر بَقيّتَهم النارُ . تَقيْلُ معهـم حيث قَالُوا ، وتَبيتُ مـعهم حيث باتُوا ، وتُصْبِح مـعهم حيثُ أصبَحُوا . وتُمْسِى معهم حيث أَمْسَوا » [٢].

« ومنهم من يَعْرقـون يوم القيـامة حتى يَذْهَبَ فى الأرض عـرَقُهم سبـعين ذراعاً وإنه يُلْجِمُهُم حتى يَبْلُغَ آذانَهم» [٣].

« وأخبر أن الشـمسَ تدنُو من الناسِ فيَعْرِقون ، فـمن الناس من يَبلُغ عَرَقُهُ عَقِـبَيْهُ ، ومنهم من يبلُغ نصْفَ السـاق ، ومنهم من يَبْلُغ إلى رُكْبَتَـيْه ، ومنهم من يَبلُغ إلى العَجُـز، ومنهـم من يَبلُغ الخاصـرةَ ومنهم مـن يَبْلُـغ منكبَـيْه ، ومنهـم من يَبْلُغ عُنقَــه ، ومنهم من يبلُغ وسَطَه وأشـار بيده ألجْمهـا فَاهُ ، ورأيت رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم يُشير هكذا ، ومـنهـم مـن يُغَطِّيْه عَـرَقُـه : وضربَ بيـده وأشار وَمَـرَّ يَدَه فوقَ رأسِـه من غيـر أن يُصـيبَ الرأسَ دَوَرُ رَاَحتَـيْه يمـيناً وشمالا » [٤].

« وتَبْلُغ الشدّةُ فى ذلـك اليوم بالعبـد مَبْلَغاً عظيـما حتى إنّه لَيـقول: يارِبِّ أرِحْنى ولَوْ إلى الـنار ، فـإرْسَالُك بى إلـى النار أهْوَنُ إلىِّ مما أجِـدُ ـ وهـو يَعْلَم

(١) رواه النسائى والترمذى ، قوله طينة الخبال: أى طينةالفساد الذى يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالجنون المؤثر فى العقل والفكر.

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم

مافيها من شدّة العذاب وذلك اليومُ مقدَارُهُ خمسون ألفَ سنة ولكنه يخفَّف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وينَادَى فُقَراءُ هذه الأمة ومَساكينُها فيَقُومون، فيقال لَهم : ماذا عملْتم ؟ فيقولُون: ربَّنا ابْتَلَيْتَنَا فَصبَرْنا ، وولّيتَ الأموالَ والسلطانَ غَيْرَنا، فيَقُولُ اللهُ عزَّ وجل: صدَقْتُمْ ، فَيدَخْلُون الجنةَ قَبل الناس وتبقى شدة الحسابِ على ذَوى الأموال والسُّلطان. قالوا فَأينَ المؤمنون يومَئذ ؟ قال : تُوضَع لهم كَراسِيٌّ من نُور ويُظَلّل عليهم الغَمامُ يكون ذَلك اليومُ أقْصرً على المؤمِنين من ساعَةٍ من نَهارٍ » (١).

وتختلف أحوالهم فى ذلك المقام باختلاف أعمالهم .

« فمنهم مَن يكونُ نُورُهم مثلَ الجَبَلِ العَظِيم يَسْعى بين يَدَيْه، ومنهم من يُعْطَى نُوره أصغَرَ من ذلك حتى يكونَ أخرهُم رجُلا يُعْطَى نُوْرَه على إبهامِ قَدَمه يُضيءُ مَرّةً ويُطْفَأ مرة ، فإذَا أضاءَ قدَمُه قَدَم ، وإذا أُطْفىء قَامَ، قال والربُّ تباركَ وتعالى يضع الصراط أمامَهُم حتى يُمرَّ بهم إلى النّارِ فيَبْقَى أثرهُ كحَدِّ السَّيْف. قالَ: فيَقُول : مُرُّوا فيمُرّون على قَدْرِ نُورهم ، منهم مَن يَمُر كطَرْفَة العَيْن، ومنهم من يَمُرّ كالبَرْقِ . ومنهم من يَمُرّ كالسَّحاب ، ومنهم من يَمُرّ كانْقضَاض الكوكب ، ومنهم من يَمُرّ كالرِّيحِ ، ومنهم من يَمُرّ كشَدِّ الفَرس ، ومنهم من يَمُرّ كشَدِّ الرَّجْلِ حتى يَمُرَّ الذى يُعطَى نُورَه على ظَهْر قدَمَيه يَحْبو على وَجهه ويَدَيْه ورجلَيْه تُجَرُّ يَدٌ ، وتُجَرُّ رجلٌ وتُعلَّقُ رِجْلٌ وتُصيب جَوانبَه النارُ، فلا يَزالُ كذلك حتى يَخْلُص فإذا خَلَص وَقَف عليه فقَال: الحمدَ لله الذى أعطَانى ما لم يُعْط أحدا إذْ أنْجَانى منها بعد إذْ رَأيتُها ، قال : فينطلقُ به إلى غَدير (أى نهْر) عنْدَ باب الجنةِ فيغْتَسل فيعُودُ إليه رِيْحُ أهلِ الجنة وألْوانُهم فيرَى ما فى الجنَةِ منْ خَلَلِ

---

(١) رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه.

البـاب فيـقولُ : رَبِّ أدْخلْنى الجنةَ ، فـيقـولُ الله : أتَسْألُ الجنة وقـد نَجّيْـتُكَ من النّار؟ فيقول: رَبِّ اجعَلْ بينى وبيْنَها حجَاباً حتَّى لا أَسْمَع حَسيْسَها (أى صوْتَها) قال: فَيدخُل الجنّةَ ويَرى أو يُرفَع له مَنزلٌ أمَام ذلك كأنَّ ما هو فيه بالنسبة إليه حُلْمٌ . فيـقولُ رَبِّ أعْطنى ذلك المَنْزل ، فـيقولُ : لعلك إن أُعطيتَه تَسْألُ غيره؟ فيقـول : لا وَعزّتك لاَ أسْألُ غَيْـرَه ، وأىُّ مَنْزل أحْسَنُ منهُ فيُـعْطَاهُ فَيَنْزلُهُ ويَرى أمامَ ذلك مَنزلا كَأنَّ مـا هُوَ فيه بالنسبة إليـه حُلْمٌ قال : رَبِّ أعْطنى ذلك المَنْزلَ ، فيقول الله تبـارَكَ وتعالى له : لعَلَّك إنْ أُعطيْتَه تَسْألُ غَيْرَه ؟ فـيقول : لاَ وَعزّتكَ، وأىُّ مَنْزل أحسَنُ منه فيُـعْطَاه فَيَنْزلُهُ ثم يَسْكتُ ، فيقـول الله جَلّ ذكرهُ : مَالَكَ لا تَسْألُ ؟ فيَقولْ : ربِّ قد سَألْتُك حتْى استَحْيَيْتُكَ فيقول الله جلَّ ذِكرهُ : ألَمْ تَرْضَ أنْ أُعطيَك مثْلَ الدنيا مُنْذُ خلَقْتُها إلى يوم أفْنَيْتُهـا وعشْرةَ أضعافه ؟ فيقول: أتهْزأُ بى وأنتَ ربُّ العزَّة ؟ قال: فيـقولُ الربُّ جلّ ذكرُه : لا ولكنى على ذَلك قادرٌ ، فيقولُ: ألحقْنى بالنَّاس، فيقولُ : إلحقْ بالناس قَال : فيَنْطلقُ يَرْمُل فى الجَنّة حتَّى إذا دَنا من النَاس رُفع لَه قَصـر من دُرَّة فَيـخـرُّ سَاجـداً، فـيقـولُ ارفَعْ رأسك مالَك؟ فـيقول : رأيتُ رَبـى أو تراءَى لى رَبى فيقـالَ : إنما هُو مَنْزلٌ من مَنازلك قال: ثم يأتى رجُلا فيَـتهيأُ للسجُود له ، فيُقال له : مَـــهْ (أى اكفُفْ). فيقول: رأيتُ أنَّك ملَكٌ من الملائكة ، فيقول : إنما أنَا خازن من خُزَّانك وعَبْدٌ من عَبيدك تَحْت يَدى ألفُ قَهْرَمان (هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده) على ما أنا عَليه ، قال فيَنْطلق أمـامَه حتّى يُفتَح له بابُ القَصْر . قـال : وهو من دُرّة مُجوّفَة سقَائفُها وأبْوابُها وأغْلاقُها ومَفَاتيْحُها منها يَستَقْبله جَوْهَرة خضْرَاءُ مبطنةٌ بحَمراءَ فيَها سـبعُون باباً . كل بابٍ يُفْضى إلى جَوْهَرة خَضْـراء مُبطّنَة (أى لها بطانةٌ) كلُّ جـوهرة تُفْضى إلى جَـوْهَرة على غيـر لـونَ الأُخرى، فى كلِّ جـوهرة سُـررٌ وأزْوَاجٌ ووَصَائفُ أدناهُنّ حَـوْرَاءُ عَيْناء علَيْها سَـبعـون حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقـها من

وَرَاء حُلَلِها ، كَبِدُها مِرْآتُهُ وكَبِدُهُ مرآتُها ، إذا أعرَضَ عنهَا إعْراضَةَ ازدَادَتْ في عينه سبعين ضعْفاً عما كانَتْ قبلَ ذلك فيقُولُ لها : والله لقَدْ ازددْت في عَيني سبعين ضعْفاً ، وتَقولُ له : وأنت ازدَدْتَ في عيني سبعينَ ضعْفاً . فيقال له : أشْرَفْ (تَقَربْ واملكْه) فيُشْرفُ . فيقال له : مُلْكُك مَسيرَةُ مائة عامٍ يَنْفذُهُ بَصرُكَ قال: فقال له عُمرُ : ألا تَسْمعُ ما يحَدِّثُنا ابنُ أمِ عبد ياكَعْبُ عن أدنى أهلِ الجنةَ مَنزلاً فكيفَ أعلاهم ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين : ما لا عَيْنُ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ » (١). الحديث .

---

(١) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ له والحاكم.

تعريف الأمة المحمدية بأمور الحشر والنشر

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أيضا أن أطلعها على أمور الحساب وما يجرى فى هذا الباب .

« فقد أخبر أن كلَّ عبدٍ لابُدَّ أن يُسْأَلَ عن أربعٍ لا مَحَالَةَ، عن عُمْرِه فيما أفْناهُ. وعن علْمه ماذا عمِل بهٍ . وعن ماله من أيْنَ اكتسَبَه وفيما أُنفَقَه . وعن جِسْمِه فيما أَبْلاه » [١].

« ويُخرَجُ لابن ادمَ يومَ القيامة ثلاثةُ دوَاوينَ : ديْوانٌ فيه العَملُ الصَّالحُ ، وديوانٌ فيه ذُنُوبُه ، وديوانٌ فيه النْعَمُ من الله علَيْه فيقولُ اللهُ عزَّ وجل لأصْغَرِ نعْمة أحَسبُه قال : فى دِيوانِ النِّعم : خُذِى ثَمنَكِ من عمله الصَّالح . فتَسْتَوعِبُ عَمَلَه الصالحِ ثم تَتَنَحَّى (أى تنصرف) وتقول : وَعزَّتك ما استوفَيْتُ وتَبْقَى الذُّنُوبُ والنِّعَم ، وقد ذهَب العَملُ الصَّالحُ فإذا أرادَ الله أن يَرْحمَ عبداً قال : يا عَبْدى قد ضاعفْتُ لك حسَنَاتكَ وتَجاوَزْتُ عن سَيِّئَاتكَ ، أَحْسبُه قال : ووَهَبْتُ لك نعمى » [٢]. وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم مَقامَ نعَمِ الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعمل العبد وأنّ عَملَ العبد لا يُساوِى شيئا فى مقابَلَةِ أقلِّ نِعْمةٍ من النعم الإلهيّةِ .

فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : « أن رجُلا من الحَبشة أتَى النبىَّ « فقال: يارسولَ الله . فُضِّلتم علينا بالألوان والنبوّة ، أفرأيت إن آمَنْتُ بمثْلِ ما

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البزار .

آمَنتَ به ، وعـملتُ بمثلِ مـا عـملْتَ به إنّـى لَكَائنٌ مَعك فى الجَنَّة ؟ فـقـال النبى صلى الله عليـه وآله وسلم : نَعَمْ ، ثم قال النبى صلى الله عليـه وآله وسلم : مَنْ قـال لا إله إلا الله كانَ لَه بهـا عَـهْدٌ (اى مـيْثَـاقُ تَوْحـيْده) عند الله ، ومَنْ قـالَ : سبـحانَ الله كُتبَ له مـائةُ ألف حَسَنة فـقـال رجلٌ : يارسولَ الله كيـف نَهْلكُ بعْدَ هذا ؟ فقال النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم : والَّذى نفسى بيده إنَّ الرَّجُل لَيَجىْءُ يومَ القـيامـة بعَمل لو وُضِعَ عـلى جَبَل لأثْقَلَه فـتَقُـوم النّعـمَةُ من نعم الله فـتَكادُ تَسْتَنْفـدُ (أى تَرْجَحُ كفَّةُ النعـمة) ذلكَ كُلَّه لولا ما يتـفضَّلُ اللهُ من رحمـته ، ثم نزلَتْ :﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾. فقال الحَبَشى : يارسُولَ الله وهل تَرى عَيْنى فى الجنة مثْلَ ما تَرى عيْنُك؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نَعمْ ، فبكى الحبشىُّ حتى فاضَتْ نَفْسُه (أى خرَجَتْ رُوْحُه قـال ابن عمر : فأنَا رأيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يُدْليه فى حُفْرَته » [1]. (أى يُدخلهُ فى قَبْره) .

(١) رواه الطبرانى .

قصة العابد المغتر بعبــادته

« عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قال جبريلُ : يا محَمَّدُ والَّذى بعثَكَ بالحَقِّ إن لله عَبداً من عباده عَبَدَ الله خمسَمائة سنة على رأسِ جَبلٍ فى البَحْرِ عَرْضُهُ وطُولُه ثَلاثُونَ ذراعاً فى ثلاثين ذراعــاً والبَحرُ محيطٌ به أربعَةُ آلاف فـرْسَخٍ من كُلِّ ناحية وأخْرَجَ له عَيْناً عَذْبَةً بعَـرْضِ الأصْبُع تَفيْض بمـاء عَذْب فيَسْتَنقع (أى يجتمع) فى أسْفَلِ الجبَل وشجَـرةَ رمّـانٍ تُخـرِج له فى كلِّ ليلــة رُمَّانَةً يوْمَـه. فإذا أَمْسَى نَزَل فـأصابَ من الوَضُــوء وأخَـذ تلك الرمّـانةَ فـأكلَهـا ثم قـاَم لصَلاته . فـسـأل ربَّه عند وقت الأجَـل أن يَقْبضَـه سَاجـداً وإن لا يَجْعَـلَ للأرضِ ولا لشىء يُفْسدُه علَيْـه سبيلاً حتى يَبْعَثَـه الله وهـو سَاجدٌ . قــال: ففعلَ فنحّنُ نَمـرُّ عليه إذاً هَبَطْنَـا وإذا عَرَجْنا فنَجدُ لَه فى العلم أنــه يُبْعَثُ يــومَ القيامـة فَيُوْقَفُ بيْنَ يَدَى الله فيقُـولُ لَهَ الربُّ: أدْخلُوا عَبـدى الجنّـةَ برَحْمَـتى فيقـول : رَبِّ بل بعَملى. فـيقولُ: أدْخلوا عَـبْدى الجنَةَ برحمتى فيـقولُ : ربِّ بل بعَمَلى . فيقولُ الله : قايسُوا عَبـدْى بنعْمتى علَيْه وبعَمَله فتُـوجَد نعْمةُ البَصَرِ قـد أحَاطَـتْ بعبـادة خمسمـائة سنة ، وبَقَيتْ نعْمـةُ الجَسَــد فضْـلاً عَليْه فيقـولَ : أَدْخلوا عَبْدى النار فيُجَـرُّ إلى النارَ . فيُنَادى : رَبِّ برَحْمتك أدْخـلْنى الجنَّةَ فيقول : رُدُّوهُ ، فيُـوقَفُ بين يَدَيْه . فيَقـولُ : ياعَبْدى مَنْ خَلَقَكَ ولـم تَكُ شَـيْئاً ؟ فـيقـولُ : أنْـتَ يــاربِّ . فيـقـولُ : مَنْ قَـوّاكَ لعبـادة خمسمائة سَنَة؟ فيقـــول: أنتَ ياربِّ فيقول : مَـنْ أنْزلَك فى جبَلٍ وسَط اللجة ، وأخْرَج لَك المَاءَ العَـذْبَ من الماء المالح ، وأخْرجَ لك كلَّ ليلة رُمَّـانَةً وإنما تَخْرجُ مَرَّجَّةً فى السَّنة ، وسَألته أن يَقبضَكَ ساجداً ففعَل ؟ فيقول : أنْتَ ياربِّ . قال :

فَذلكَ بِرَحْمتى وبرحْمتى أُدْخِلُك الجنة . أدْخلوا عبدى الجَنَّة فَنعْمَ العَبْدُ كنتَ يا عبْدِى . فأدخَلَه اللهُ الجَنَّةَ ، قالَ جبريلُ : إنَّما الأَشْيَاءُ بِرحْمَةِ اللهِ يا مُحَمَّدُ » [١] .

بقية ما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم من أمور الحشر والنشر

« وأخبر أنه اقتصَّ للخلق بعْضِهم من بعض حتى إنّه ليقتَصّ للشاة التى لا قَرْنَ لها من التى لها قرْنٌ إذا نَطَحتْها فى الدُّنْيا . وحَتّى للذَّرّة من الذَرّة ، وللعبْد من مَمْلُوكه ثم يُناديهم الحَقُّ سبحانَه وتعالى بصَوْت يَسْمعُهُ مَنْ بَعُد كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُب : أنا الدَّيَانُ . أنا المَلكُ . لا يَنْبَغى من أَهْلِ النار أن يَدْخُل النَّارَ ولَهُ عند أحَد من أهل الجنة حَقٌّ حَتَّى أقُصّهَ منه ولا ينبغى لأحَد من أهل الجنة أن يَدْخُلَ الجَنَّةَ ولأحدٍ من أهل النار عندَه حَقٌّ حتّى أقُصَّهُ منه حتى اللَّطْمَةُ » .

ويجىء الظالمُ يومَ القيامة حَتَّى إذا كان على جَسْرِ جهنَّم بين الظُّلْمة والوَعرَة لَقيَه المظلومُ فَعَرَفَه وعَرَف ما ظَلمه به فما يبرح الذين ظُلموا يُقَصُّون من الَّذين ظَلَمواْ حتى يَنْزِعُوا ما فى أيْديهم من الحْسَنَات ، فإن لم يَكُنْ لَهُمْ حَسَناتٌ رُدَّ علَيْهم من سيّئاتِهم حتَّى يُورَد الدرْكَ الأسْفَلَ من النّار » .

ويأتى رجُلٌ فى ذلك اليوم بصلاة وزكاة وصيامٍ ولكنَّه قد شتَم هذا وقَذَف هذا وأكَلَ مالَ هذا وسَفَك دَمَ هذا وضَربَ هذًا فيُعطَى هذا من حسَناته وهذا من حَسَناته فإن فَنِيتْ حسَناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخِذ من خَطاياهم وطُرِحَتْ

---

(١) رواه الحاكم .

عليه ثم طُرِح فى النار . وذلك هو المُفْلِس .

ومن صُور الحساب الواقعة فى ذلك الْيوم « أن يَلْقى العبدُ ربَّه فيقول : أى فُلُ (أى يافلان) ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْك وأُزوجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْل والإبَل وأذَرك تَرْأس وتَرْبَعُ ؟ (أى يأخذ ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه وهو ربع المغانم) فيقول : بلى يارب فيقول : أظَنَنْتَ أنك مُلاقىَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإنّى أنْسَاك كما نَسيْتَنى ، ثم يَلقَى الثانى فيقولُ أى فُلُ ألم أكرِمْك وأُسودك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ والإبلَ وأذَركَ تَرْأسُ وتَرْبَع ؟ فيقول : بلى ياربّ . فيقول: أَظَنَنْتَ أنك مُلاَقىَّ ؟ فيقول: لا . فيقول: إنى أنْسَاكَ كما نَسيْتَنى . ثم يَلْقَى الثالث فيَقولُ : أى فُلُ ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْك وأُزَوْجْكَ وأُسَخِّرْ لك الخيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ تَرْأسُ وتربَع ؟ فيقول : بلى ياربّ . فيقول : أَظَنَنْتَ أنك مُلاَقىَّ ؟ فيقول : أىْ ربِّ آمَنْتُ بكَ وبكتابك وبرُسُلك وَصلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصدَّقْتُ ويُثْنى بخير ما اسْتَطَاع . فيقولُ : ههُنا إذًا . ثم يقولُ : الآن نَبْعَثُ شَاهداً عليكَ . فيتفكَّرُ فى نَفْسه مَنْ ذاَ الذى يَشْهَدُ علَىَّ ؟ فيُختَم عَلَى فيْه ويُقَالُ لفَخذه : انطقى ، فيَنْطقُ فَخذُه ولَحمُه وعَظْمُه بَعَمله وذلك ليُعْذَرَ مِنْ نفسه ، وذلكَ المنافق ، وذلك الذى يَسْخَطُ اللهُ عليه »[1].

« ثم يُقامُ الصراطُ على جهَنَّم فيكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو أولَ من يَجُوز ولا يتكلم يومئذ أحدٌ إلا الرُّسلُ ، وكلاَمُهم اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، فيَمرُّ المؤمنون كطَرْف العَيْن وكالبَرْق وكالرِّيحِ وكالطَّيْر وكأجَاويد الخيل (أى الحُصُنِ المُسْرِعَةَ) والرِّكاب، فنَاجٍ مُسَلَّمٌ . ومَخْدُوشٌ (مَخْمُوشٌ ممزّقٌ)

(١) رواه مسلم .

مرْسَلٌ، ومكدوشٌ (أى مَصْروعٌ) فى نار جهنم » .

« ثم يُؤْذَن للمؤمنين الناجين أن يَشْفَعُوا فى إخْوانهم الذين سَقَطُوا فى جهنم فيقولون: رَبَّنا إخوانُنَا كانوا يَصُومُون معنَا ويُصَلُّون ويَحُجُّون ؟ فيقال لهم أخْرجُوا مَنْ عرفتُمْ ، فتُحرَّم صُوَرُهم على النار فيُخْرجون خَلْقاً كثيراً قد أخَذتْ النارُ إلى نصف ساقه وإلى رُكْبَته . ثم يقولُون : رَبَّنا ما بَقى فيها ممنْ أمَرتَنَا به . فيُقال : ارْجعُوا فمن وَجَدْتُمْ فى قلبه مثقالَ دينار من خَبْر فأخْرجُوه ، فُيخْرجون خَلْقاً كثيراً . ثم يقولون ربَّنا لم نَذَرْ فيها أحداً ممن أمرْتَنا ، ثم يقولُ : ارجعُوا فَمنْ وجَدْتُم فى قلبه مثقالَ نصف دينار من خَير فأخْرِجُوه فيُخْرِجون خَلقاً كثيِراً ثم يقولون : ربَّنَا لم نَذَرْ فيهَا ممَنْ أمرتَنَا أحَداً .

ثم يقولُ : ارجعُوا فمن وجَدْتُمْ فى قلبه ميقالَ ذَرْة من خير فأخْرجُوه فيُخرجُون خَلْقاً كثيراً . ثم يَقولُون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها خَيراً . فيقول الله عز وجل : شفَعتْ الملائكةُ وشَفَع النبيون ولم يَبْقَ إلا أرْحمُ الراحمين فيَقْبض قَبْضَةً من النّار فيُخرِج منها قوماً من النار لم يَعْمَلُوا خيراً قط قد عَادُوا حُمماً فيُلْقيهمْ فى نَهر فى أفْوَاه الجنة يُقال له : نَهْرُ الحياة فيَخرُجون كما تَخرُج الحَبَّةُ فى حَميْل السَّيْل . ألا تَروْنَها تكُون إلى الحَجَر أو إلى الشَجَر ما يكون إلى الشَمسِ أُصَيفرَ وأُخَيْضرَ (أى تميلُ إلى لوْن الحَجر فى الصُّفْرَة واللَّمعَان أو إلى الشَجَر فى الخُضْرَة) ، وما يكون منها إلى الظلِّ يكون أبْيَضَ فقالُوا : يارسُولَ الله . كأنك كنتَ تَرْعَى بالبَادية . قال : فَيخْرُجون كاللؤلُؤ فى رقابهم الخَواتيم يعرفُهم أهلُ الجنّة . هؤلاءَ عُتَقاءُ الله الذين أدْخَلهم اللهُ الجنَّةَ بغَيرِ عَملٍ عَمِلُوه ، ولا خيرٍ قَدَّمُوه ثم يقول : ادْخُلوا الجنةَ فما رَأيْتُموه فهُوَ لكم .

فيقولون : ربَّنَا أعطيْتَنَا ما لم تُعْطِ أحَداً من العالمين فيقول : لكُمْ عندى أفضلُ من هذَا . فيقولون يا ربَّنا أىُّ شىَءٍ أفْضَلُ من هذا فيقول: رِضَاىَ فَلَا أسْخَطُ عليكُمْ أبداً » .

الحوض والميزان والصراط

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمـدية ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراط مما لم يفصَّـلْ لأمة سابقة .

وأما الحوض فـهو طويل جداً مسافـةُ طوله نحو سير شهـر بمركب مسرع ، ونواحيه واسـعة متساوية . أطيب ريحـا من المسك ، وأحلى من العسل وأبيض من اللبن ، وأبرد من الثلج من شـرب منه شربة لم يظمـأ بعدها أبداً ، ولـم يَسودَّ وجهـه ، يجـرى فيـه ميزابان يمـدانه من الجنة ، أحدهمـا من ذهب والآخر من ورِق (فضة)، وأكوابه كعدد نجوم السمـاء، وأهله من تمسك بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبدلوا ولم يغيروا ومن لم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصـحابه . أما من غيّـر أو بدّل فإنه يطرد عنه كالمرتد والمخالف لجـماعة من المسلمين كالخوارج والروافض والمعـتزلة والظلمة الجائرين. والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصي ، وأهل الزيغ والبدع والكفار.

وأول الناس وروداً عليه فقراء المهـاجرين ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض ينتظر من يرد عليه من الأمة .

« وأمـا الميـزان فـهـو خلق عظيم من خـلق الله لو وُزِنَتْ فـيْـه السَّـمٰـوات والأرض لوسعت ، به ملك موكل فإذا جيء بابن آدم وقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ذلك الملك بصوت يُسمع الخلائق : سَـعدَ فلان سعادةً لا يشقى بعـدها أبداً ، وإن خف ميـزانه نادي ذلك الملك بصـوت يُسـمع الخلائقَ : شـقى فلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبداً » .

وأما الصراط : فهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف مَدْحَضَة مَزَلَّةٌ (أى مزلقة) عليه كلاليب (أى خطاطيف من حديد) من نار يخْطَف بها ، فَمُمْسَك يهوى فيها ومصروع ، ومنهم من يمر كالبرق فلا يَنْشَبُ (أى يقع فيما لا مخلص له منه ولم يلبث) ذلك أن ينجو . ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ، ثم كرمَل الرِّجْل . ثم كمشى الرِّجْل.

« وقد ذكرت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها النارَ فبكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما يُبْكيك ؟ فقالتْ : ذكَرْتُ النّارَ فبكَيْتُ فهل تَذْكُرون أهْليكم يومَ القيامة؟ فقال: أمَّا فى ثلاثة مَواطنَ فلا يَذْكُر أحَدٌ أحَداً . عند الميزان حتى يَعْلَمَ أيخفُّ ميزانُه أم يَثْقُل ؟ وعند تَطايُر الصُّحُف حتى يعلَم أين يَقَعُ كتابُه فى يَمينه أم وَراء ظَهره ؟ وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهرَىْ جَهنَّم حتى يَجُوز » .

وقد سأل أنس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يَشْفَع لهُ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنَا فاعلٌ إن شاء الله .. يقول أنسٌ : قلتُ : فأيْنَ أطْلُبُك؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : أوّلَ ما تَطْلُبُنى على الصِّراط. قال أنسٌ : قلت : فإن لَمْ ألْقَاك على الصِّراط ؟ قال : فَاطْلُبْنى عندَ الميزْان . قال : قلتُ : فإن لَمْ ألْقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : فاطلبْنِى عند الحَوْضِ فإنى لا أُخْطِىءُ هذِه الثَّلاثةَ مَواطِنَ .

اختصاص نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشفاعة العظمى

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو شافع ذلك الموقف .

« كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دَعْوَة ، فرُفِع إليه الذِّرَاعُ ، وكانتْ تُعْجبُه فَنَهَس منْهَا نَهسةً وقال : أنا سَيّدُ الناس يومَ القيامة ، هل تَدْرُون مِمَّ ذاك ؟ يَجْمعُ الله الأوّلين والآخرين فى صَعيْد وَاحد فيُبْصرهُم النّاظرُ ويَسْمَعُهم الدَّاعى وتَدْنُو منهم الشَمْسُ فَيبلُغُ الناسَ من الغَمّ والكَرْب مَا لايُطيقُون ولا يَحْتَملُون. فيقول الناسُ : ألا تَرَوْنَ إلى ما أنْتُمْ فيه ، وإلى ما بلَغكُمْ ألا تَنْظُرون مَنْ يَشفَعُ لَكُم إلى ربّكُمْ ؟ فيقولُ بَعْضُ الناسِ إلى بَعْض، أبُوكُم آدَمُ . فَيأتُونَهُ فيَقُولُون : يا آدَمُ أنْتَ أبُو البَشر ، خلَقَكَ الله بيده . ونَفَخ فيكَ منْ رُوْحه وأمَر الملائكةَ فسَجَدُوا لك ، وأسْكَنكَ الجَنَّةَ . ألا تَشْفَعُ لنا إلى ربّك . ألاَ تَرى مَانَحْنُ فيه وما بَلَغَنا . فقال : إنّ ربى غَضب اليَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْله مثْله، ولا يغْضَب بعدَه مثْلَه ، وإنّه نَهانى عن الشَّجَرة فعَصَيْتُ نفْسى نَفْسى نفْسى . اذْهَبُوا إلى غَيْرى . اذهبُوا إلى نوح . فيأتُون نُوحاً فيَقُولُون : يا نُوْحُ أنتَ أوّلُ الرسُلِ إلى أهلِ الأرْضِ ، وقَدْ سَمَّاكَ الله عبداً شَكُوراً . ألا تَرى إلى ما نحنُ فيه ، ألا ترى إلى ما بلغَنا ، ألا تَشْفعُ لنا إلى ربّكَ ؟ فيقولُ : إنَّ ربِّى غضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يغضَبْ قَبْلَه مثْلَه ولن يَغضَب بَعْدَه

مثْلَه وإنّه قد كانَ لى دَعْوَةٌ دَعوْتُ بهـا على قَوْمى . نفْسى نَفْسى نَفْسى . اذْهَبُوا إلى غَيْرى . اذهَبُوا إلى إبراهيم . فيـأْتُون إبراهيم فيَقُولُون : أَنتَ نَبىُّ الله وخَليْلُه منْ أهْلِ الأرْضِ اشْفَعْ لَـنا إلى ربّك ألا تَرى إلى ما نحنُ فيـه ؟ فيَـقُولُ لَهم: إنَّ رَبِّى قد غضب الْيوْمَ عَضباً لم يَغْـضَبْ قَبْلَه مثْلَه ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مثْلَه ، وإنّى كنتُ كذَبْتُ ثلاثَ كـذَبات فَذَكَرها. نفْسى نَفْسى نَفْسى . اذْهَبُوا إلى غَـيْرى . اذهَبُوا إلى مُـوسى . فيَأْتُونَ مُوسى فـيقولُون: يا مُوسى أنت رَسـولُ الله فضَّلَك اللهُ برسَالاته وبكلامه على الناسِ . اشْفَعْ لنَا إلى ربّك أمَا تَرى إلى ما نَحْنُ فيه . فيَقُولُ إن رَبّى قـد غَضبَ اليومَ غضباً لم يَعْضَبْ قَـبْلَه مثْلَه ، ولَنْ يَغْضَب بَعْده مثلَه ،وإنى قَـدْ قتَلْـتُ نَفْساً لَـمْ أُومَـرْ بقَتْلها . نفْسى نَفْسى نَفْسى . اذْهَبُوا إلى غَيْرى . اذهَـبُوا إلى عيْسى . فـيَأْتُونَ عيسى فَـيقُولُـون : يَاعيـسى أَنت رَسُوْلُ الله وكَلمتُه أَلقَاها إلى مريَم وَرُوحٌ منْهُ وكلَّمْتَ النَّاسَ فى المَهْـد. اشْفَعْ لَنَا إلى رَبك. إلا تَرى إلى مَـا نحنُ فيـه ؟ فيَـقُولُ عيـسى : إنّ رَبّى قـدغَضبَ اليـومَ غضبـاً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مثْلَه ،ولن يَغْضَبَ بَعْدَه مـثلَه ، ولم يَذكُرْ ذَنْباً . نَفْسى نَفْسى نَفْسى . اذْهَبُوا إلى غَيْرى .اذهَبُوا إلى محَمْد صَلى الله عليه وآله وسلم فيأْتُونَنى فَيقُولُون : يامُحَـمّدُ أَنْتَ رسُولُ الله ، وخَـاتَمُ الأنْبيـاء ، وقَدْ غفـرَ اللهُ مَـا تقـدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ . اشْفَعْ لَنا إلى رَبك. إلا تَرى إلى ما نحـنُ فيه ؟ فأنْطلـقُ فآتى تَحْتَ العرش ، فـأقَعُ ساجـداً لربِّى ثم يَفْتَـحُ اللهُ عـلَىَّ من مَحَامـده وحُسْنِ الثَّناء عَـليه شيئاً لـم يَفْـتَحْهُ علىَ أحد قبْلى ثمّ يُقَالُ يامحـمدُ ارفَعْ رأَسكَ سَلْ تُعْطَهْ واشْفَـعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَـعُ رأْسى . فأقُولُ : أمتـى يارَبِّ أمتى يارَبِّ أمتى يارَبِّ . فيُقَالُ : يا محمدُ أدْخلْ منْ أُمَّتكَ مَنْ لا حـسَابَ عليهم مـن الباب الأيمَـنِ من أبْواب الجنَّة وهُـمْ شُركَاءُ النَاسِ فـيما سوى ذلك منَ الأبوَاب . ثم قـال : والّذى نفسى بيده إنّ ما بيْنَ المِصْراعَيْنَ مـنْ مَصاريعِ الجنَّةِ كما بَيْن مكـة وهَجَـرَ . أوَ كما بَيْنَ مَكَّةَ

وبُصْرَى » [(١)].

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُوضَعُ للأنبياء مَنابرُ من نُور يَجْلسُون علَيْها ويَبْقى منْبَرى لا أجْلسُ علَيْه . أو قـالَ : لا أقْعدُ علَيْه ، قـائما بين يدَىْ ربى مخافَـةَ أن يُبْعَثَ بى إلى الجنَّة وتَبْـقَى أُمتى بَعْـدى فأقُولُ : يارَبِّ أمـتى أمتى . فـيَقُـولُ اللهُ عزَّ وجل: يامُحَمّـدُ ما تُريدُ أن أصنْعَ بأمتك ؟ فأقُـولُ : يارَبْ عَجِّلْ حسَابَهُمْ . فـيُدعى بهمْ فَيُحـاسَبُون. فَمنْهُم مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ برحْـمتَه ، ومنهُم مَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ بشَـفَاعَتى. فما أزَالُ أشْـفَعُ حتى أُعطَى صكَاكاً برجال قَدْ بُعثَ بهـم إلى النَّار حتَّى إن مالكاً خازنَ النار لَيَقُولُ : يامحّمدُ ما تَركْتَ لغَضَبِ ربِّكَ فى أُمَّتك من نقِمة » [(٢)].

وعن على بن أبى طالب رضـى الله تعالى عنه أن رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قـال : « أشْفَعُ لأمتـى حتى يُنَادينى ربى تبـارك وتَعالى فـيقـولُ : أقَدْ رضِيتَ يامُحَمّدُ؟ فأقُولُ : أىْ ربِّ قَدْ رَضِيتُ » [(٣)].

عن عبـد الله بن عمـر رضى الله تعالى عنهـما عن النبى صلى الله علـيه وآله وسلم قال : خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّـفاعَة أو يَدْخُلُ نصفُ أُمتى الجنةَ فاخْتَـرْتُ الشَّفاعة لأنَّها أعَمُّ وأكْفى ، أمَا إنّها ليستْ للمـؤُمنين والمُتقدمين (أى السلف الصالح). ولكنّها للمُذْنبين الخَطَّائيْنَ المُتَلوّثيْنَ ».

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى فى البعث .. ومعنى الصكاك . الكتاب .

(٣) رواه البزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

النـار وأحوال أهلهـا

ومما أكـرم الله تعـالى به هذه الأمـة المحمـدية أن وفّـر حظهـا من العلم التفصيلى بالنار وأحوال أهلها ، وذلك بلسان النبوة الصادقة .

روى عن عـمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنه قال : « جـاء جبـريلُ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حـين غير حينِه الذى كـان يَأتيه فيه فـقَام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

يا جبْريل مالى أراك متغيِّر اللَّون ؟ فـقال : ما جِئتُك حتى أمرَ الله عزّ وجل بمَنافخِ النار . فـقال رسـولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلم : يا جبـريلُ صِفْ لى النار وانعَتْ لى جهَنَّم فقال جبريلُ : إن الله تبارك وتعالى أمَر بجهنم فأُوقد عليها ألف عَامٍ حـتى ابيضَّتْ ثم أمَـر فأوقـدَ عليهـا ألفَ عام حـتى احمـرتْ ثم أمر فأوْقدَ عليـها ألفَ عام حتى اسودَّتْ . فهى سَـوداءُ مظلمةٌ لا يُضىء شَرَرُها ولا يُطفأَ لَهَبُهاَ ، والذى بعـثَك بالحقّ لو أنَّ قدْرَ ثَقْبِ إبرة فُتِح من جهنَم لماتَ مَن فى الأرضِ كلُّهم جميعاً من حَـرّه ، والذى بعثَك بالحَقّ لَو أنّ خازنا من خزَنَةِ جهنَّم برَز إلى أهلِ الدنيـا لماتَ مَنْ فى الأرض كلُّهم من قُبْحِ وجـهِه ومِن نَتْنِ رِيحـه . والذى بعثَك بالحقّ لو أن حَلْقةً من حلَق سلسلة أهلِ النار التى نعتَ الله فى كتابه وُضعتْ على جبال الدنيا لارْفَضَّتْ (تَدكْدَكَتْ) وما تَقَارَّتْ (أى لم يوجد لها قـرَار) حتى يُنتـهَى إلى الأرضِ السُّفْـلى . فقـال رسولُ الله صلى الله عليـه وآله وسلم : حَسبِى يا جـبريلُ لا يَنصَدِع قلبِى فأمُـوتُ . قال : فنظرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبريلَ وهُو يَبكى . فـقال : تبكِى ياجبريل وأنتَ من الله

بالمَكان الذى أنتَ به ؟ فقال : ومَا لى لا أبكِى ؟ أنا أحَقُّ بالبكاء لَعلِّى أكَونُ فى علمِ الله على غيرِ الحالِ التى أنا عليها وما أدرى لَعَلّى أُبْتَلى بما ابتُلى به إبليسُ . فقد كان من الملائكةِ وما أدرى لعلى أُبتلَى بما ابتُلى به هارُوت ومَاروتُ . قال : فبكَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبكَى جبريلُ عليه السلام فما زالاَ يَبكيان حتى نودِيَا أنْ ياجبريلُ ويامحمدُ إن الله عز وجل قد أمَّنَكُمَا أن تَعْصياه. فَارْتَفَعَ جبريلُ عليه السلام وخَرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمَرّ بقومٍ من الأنصار يَضْحَكُون ويَلْعبون فقال : أتَضْحَكون ووراءكم جهنَّمُ فلو تَعْلَمونَ ما أعلَمُ لضحكْتُم قليلا ولبكَيْتُم كثيراً ولَمَا أسَغْتُمْ الطعامَ والشَّرابَ ولخرجتُمْ إلى الصَّعَدات (أَى الطُّرق) تَجْأرون إلى الله (أى تَلجؤون إليه وتتضرعون بإزالة كَرْبِكم » [(١)].

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يؤتى بالنارِ يومَ القيامة لها سبعون ألفَ زمام (أى ناحيةٍ أو ثَغرةٍ مفتُوحةٍ فيها) مع كُلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ ملك يَجُرُّونَها » [(٢)].

« أما شدة حرها فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : نَارُكم هذه مما يوقِد بنو آدم جَزءٌ واحدٌ من سبعين جزأً من نار جهنَّم قالوا والله إنْ كانتْ لكافيةً . قال : إنها فُضِّلَتْ عَليها بتسعة وستين جُزءاَ كلُّهن مثلُ حَرِّها » [(٣)].

وفى رواية : « وضُرِبتْ بالبحرِ مرَّتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعةً لأحدٍ» [(٤)].

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى.

(٤) رواها أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى.

وفى رواية : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : تَحسبون أنَّ نارَ جهنـم مثلُ ناركم هذه ؟ هيَ أشـدُّ سواداً من القَـار، هى جُزءٌ من بَضـعَةٍ وسِتّين جُزْءًا منها أو نيِّفٍ وأربعينَ »[١].

وقال صلى الله عليـه وآله وسلـم : « ولو كان فـى هــذا المسجـد مائةُ ألف أو يَزيـدُون وفيهم رجُلٌ من أهل النــار فتنفَّسَ فأصابهـم نَفَسُـه لاحترَقَ المسجدُ ومَن فيه »[٢].

وفى جهنم وَاد من قَيـحٍ ودمٍ يُسمى (مَوبِقـة) وهو الذى ذكره المولى بقوله (وجعلنا بَينهم موبقاً) .

وفى جهنَم واد تتعـوْذ منه جهنم كُلَّ يوم سبعين مرة أعـدّه الله تعالى للقُراءِ المُرائينَ يُسمّى (جُبَّ الحزَنِ) .

وفى جهنم قصر يقال له : هَوًى ، يُرمَى الكافرُ من أعلاه أربعين خَرِيفاً قبل أنَ يبلُغ أصلَه ، وهو المُشارُ إليه بقوله تعالى: { ومن يَحلِلْ عليه غضَبِى فقد هَوى } أى نردَّى وهلَك .

وفى جهنم واد يُدعى (أثامًا) فيه حَياتٌ وعَـقاربُ إحداهن مقدارُ سبعين قلَّة سُمٍّ ، والعَـقربُ منهن مـثلُ البَغْلـة الموكَفَـة (أى الضَـخْمـة السمـينة) تَلدَغ الرَّجُل ، ولا يُلهِيه مـا يجد من حَرّ جهنم عن حَمْـوَةِ لَدْغَتِهَا (أَى مادّة سُـمِّها) فهو لمن خُلِق له .

وفى جـهنم سبـعون داءً كُل داء مـثل جزء من أجـزاء جهنم وفى جـهنم سبعون ألفَ وادٍ وفى كل وادٍ سَبعـون ألفَ شِعْبٍ وفى كِلّ شِعبٍ سبعون ألفَ

---

(١) رواه البيهقى.

(٢) رواه ابو يعلى.

جُحرٍ وفى كل جُحرِ حَيّةٌ تأكُل وُجوهَ أهْلِ النّار.

وفى رواية : فى كلِّ شِعبِ سبعون ألفَ دارٍ . فى كل دار سبعون ألفَ بيت فى كل بيت سبعون ألفَ بئرٍ . فى كل بئر سبعون ألف ثُعبان ، فى شِدْق كلِّ ثُعبْان سبعون ألفَ عقربٍ لا ينتَهِى الكافر أو المنافِقُ حتى يواقِع ذلِكَ كلّه .

وإنّ فى النار حيات كأمثالِ أعناقِ البُخْت (الإبل) تَلْسع إحداهُنّ لَسْعَةً فيَجد حَرَّها سبعين خَريفاً .

وإن لجهنَّم لجَبَاباً (أى أباراً) فى كل جُبّ ساحِلا كساحلِ البحر فيه هوامٌّ (أى حشرات) وحَيّاتٌ كالبُخاتِى وعقاربُ كالبغَال .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لو أن غَرْباً من جهنَم جُعِل فى وسَط الأرض لأذى نتنُ ريحه وشدَّة حَرّه ما بَين المشرِق والمغرِب، ولوأنّ شَرارةً من شَررِ جهنَّم بالمشرِقِ لوُجد حَرُّها من المغرب »[1] . والغرب بفتح الغين المعجمة واسكان الراء بعدها باء موحدة هى الدلو العظيمة .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لماّ خلق اللهُ الجنةَ والنارَ أرسلَ جبريلَ إلى الجنّة. فقالَ: انظرْ إليها وإلى ما أعدَدْتُ لأهلها فيها . قال : فجاءَ فنظرَ إليها وإلى ما أعدَّ اللهُ لأهلها فيها. قال: فرجَع إليه قال: وعزّتكَ لا يَسمعُ بها أحَدٌ إلا دَخَلها . فأمر بها فَحُفَّتْ بالمَكاره فقال : ارجعْ إليها وانظُرْ إلى ما أعددتُ لأهلها فيها . قالَ : فرجَع إليها . فإذا هى قد حُفَّتْ بالمَكاره فرجَع إليه فقال: وعزّتك لقد خفْتُ أن لا يَدخُلَها أحدٌ . وقال : اذهَبْ إلى النار فانظُرْ إليها وإلى ما أَعْدَدْتُ لأهْلَها فيها . قال : فنظَر إليها

(١) رواه الطبرانى .

فإذا هي يَركبُ بعضُها بعضاً . فرجَع إليه فقال : وعزتك لا يَسمع بها أحدٌ فيدَخُلَها. فأمر بها فحُفَّتْ بالشَّهَوات . فقال ارجعْ إليها. فرجَع إليها فقال : وعِزتك لقد خَشيتُ أن لا ينجُوَ منها أَحَدٌ إلاّ دَخلها » .

وفي جهنم واد يسمى (ويل) يهوى الكافر فيه أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعرَه وفيها جبل من نار وهو الذى أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله (سأرهقه صَعوداً) يتصعّد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوى به كذلك أبداً .

وفي جهنم واد يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات يسمى (غيا) وهو الذى أشار إليه المولى جل شأنه بقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وقلوبهم وما شاء الله من ذلك فتَكْشطُها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران ويُسلَّط عليهم الجربُ حتى إنَّ أحدهم لَيَحُكُّ جلده حتى يبدوَ العَظْمُ فيقال : يافلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم فيقال له : ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين .

أما شرابهم فالحميم . كما قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وإنه ليُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فَيَسْلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان ويسقون من ماء صديد. كما قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ ﴾يُقَرَّبُ إلى فيه فيكرهه فإذا أُدْنِى منه شوَى وَجْهَه ووقعت فروة رأسه . فإذا شربه قطَّع أمعاءهم حتى يخرج من دبره كما قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وقال : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ ولو أن دلوا من غساق يُهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا، والحميم

والغساق : هو ما يسيل من جلود أهل النار .

أما طعامهم فالزقوم : ولو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معائشهم فكيف بمن يكون طعامه.

ومن طعامهم شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج وهو ما ذكره تعالى بقوله : وطَعاماً ذا غُصَّةٍ .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يُلقَى على أهلِ النار الجُوع فيَعدل ماهم فيه من العَذاب فيَسْتغيثون فيُغاثون بطعامٍ من ضَريعٍ لا يُسْمِنُ ولا يُغنى من جُوعٍ فيَستغيثون فيُغاثون بطعامٍ ذى غُصّة فيذكرون أنهم يُجيزون الغصَص فى الدنيا بالشَّراب فيَستغيثون بالشرابً فيُدْفَع إليهم الحَميم بكَلاليب الحديد فإذا دَنتْ من وُجوههم شَوَتْ وجُوهَهم. فإذا دخَلتْ بطونَهم قطَعتْ ما فى بَطونهم فيقولُون: اُدعُوا خزَنَةَ جهنم فيقولون: ﴿ أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ ﴾ قال : فيقولون : ادعواُ مالكا فيقولُون : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فيُجِيبهُم : إنكُم ماكِثون .

قال الأعمش : « نُبِّئْتُ أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إيَّاهم ألفَ عام — قال : فيَقولُون : اُدعُوا ربكم فلا أحدَ خيرٌ من ربّكم فيقولُون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قال: فيُجيبهُم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾قال : فعند ذلك يَئيسوا من كلِّ خيرٍ ، وعند ذلك يأخُذون فى الزَّفير والحَسْرةِ والويلِ »[1].

---

(١) رواه البيهقى والترمذى.

الزفير: تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ، والحسرة : تقطع الأنفاس وزيادة الملل والضجر.

ويتفـاوت أهل النار فى العذاب فأهونهم عذابا رجـلٌ منتعل بنعلين من نار يغلى منهمـا دماغه مع أجزاء العـذاب ، ومنهم من فى النار الى كعبيـه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد اغتمر (أى عم جميع جسمه) .

ويقول صلى الله عليـه وآله وسلم فى الحديث : « يا أيهـا الناسُ ابكـوا فإن لم تبكوا فـتَبـاكَـوْا، فإنّ أهلَ النــار يَبكُون فى النـار حتى تَسِيلَ دمـوعُـهـم فـى خدُودهم كأنّها جداولُ (أى أنهارٌ) حتى تَنقطعُ الدمُوعُ فيَسِيل يعنى الدمَ فيُقرِح العُيونَ.

تعريف الأمة المحمدية بالجنة وأحوالها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن وفَّرَ حظَّها من العلم المُفَصَّل عن الجنة وصفتها بلسان النبوة المطهرة ، إذ أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ أبوابَ الجنة ثمانيةٌ ولكلِّ أهلِ عَملٍ بابٌ من أبواب الجنة .يُدْعَوْن منه بذلك العمل فللصائمين بابٌ خاص يسمى باب الريان . يَدخلُ منه الصائمون يوم القيامة لا يَدْخُل معهم غيرُهم . يقال : أين الصائمون . فيدخلون منه . فإذا دخل آخرهُم أُغلِق فلم يدخل منه أحدٌ .

وهناك باب يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا يُديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابُكم فادخُلوا برحمة الله.

وهناك بابٌ خاص لا يَدخُل منه إلا من أطعم مؤمناً حتى يُشْبِعه لا يَدخُل معه إلا مَن كان مثله .

وهناك باب الصلاة ، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة.

وهذه الأبواب تفتح كلها لبعض أرباب الأعمال فى الدنيا فمن توضأ وأسبغ الوضوء ثم قال : اشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .. إلخ .. فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

وفى رواية بزيادة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا

عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق .

ومن مات له ثلاثة من الولد دون البلوغ تتلقاه أولاده من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

والمرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلى من أى أبواب الجنة شئتِ .

ومن كان له ابنتان أو أختان أو عمتان أو خالتان وعالهن فتحت له ثمانية أبواب الجنة .

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال: ذُكِرَ لنا أن ما بين المصراعَيْنِ من مَصاريع الجنة مُسِيرةُ أربعين سنةً ولَيأتِيَنَّ عليه يَومٌ وهو كَظِيظٌ من الزحام.

وفى رواية يقول صلى الله عليه وآله وسلم :«والذى نفسُ مُحَمَّد بيده إنَّ ما بين مِصْراعَيْن من مَصاريعِ الجَنَّة لَكَما بَيْنَ مكَّةَ وهَجَر. أوْ كما بَيْنَ مكَّةً وبُصْرى.

يقول قادة رضى الله تعالى عنه : هى أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها : انفتحِى انغلقى.

وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم بما تلاه علينا من القرآن الكريم فى كثير من آياته ــ عن الجنة وأوصافها العامة . فأخبرنا أنها جنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ، وفيها الروح والريحان والنعيم المقيم ، وأن عرضها السموات والأرض وهى معدة مهيأة للمتقين مفتحة لهم الأبواب .

وكذلك تحدث صلى الله عليه وآله وسلم عن الجنة وأوصافها العامة فى كثير من الأحاديث النبوية والقدسية وأقسم برب الكعبة أنها نُورٌ يَتَلألأ وريْحانٌ

وقصرٌ مَشيْدٌ ونَهْرٌ مطّردٌ وثمرةٌ نَضيجةٌ وزَوجةٌ حَسناءُ جميلة وحُلَلٌ كثيرةٌ ومُقَامٌ فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخَضِرة وحَبرة ونعمة فى محلة عالية بَهيَّة لا تقاس بالدنياً بمافيهــا . فأقلُّ شيء فى الجنة هو أعظم من أعظم شيء فى الدنياً . بل إن موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها .

وإن قاب قوس واحد من أهل الجنة فيهـا خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ولـو أن رجلا من أهل الجنة طلع فـبدت زينتـه وحليته وأسـاوره لَطمس ذلك ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولا يَستطيع العقل البشرى مهما اتسعت مداركه وآفاقه العلمـية أن يتصور حقيقة ما فى تلك الدار من أنواع النِعِّم وموائد الكرم ولذة النعـيم ومتعة النـظر إلى الوجه الكريم ولطائف الأنس فى حظيرة القدس ، لأن الله تعـالى نفى وجود العلم الكامل التام بحقيـقة ما فى ذلك المقام ، فـقال : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ وهذا هو الذى أشـار إليه النبى صلى الله عليـه وآله وسلم فيـما يرويه عن رب العـزة جل جلاله : « أَعْـدَدْتُ لِعِبـادِى الصالحين مـالا عَيْنٌ رأَتْ ولا أذُنٌ سَـمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلْبِ بشَرٍ » .

ولذلك فـإن الإنسان إذا رأى ذلك النعـيم وانغمس فـيما أعـده الله له من خير ومقـام وانصبغ فى الجنة صبغة يمتلـئ قلبه ونفسه بالبهجـة والحبور والفرح والسرور ويـنسى ما كان فـيه فى الدنيـا من بؤس وشدَّة وتعب وضنك حـتى إنه ليـقال له : يا ابنَ آدمَ هل رَأيْتَ بُـؤْساً ؟ هل مَـرَّ بِكَ شِدَّةٌ ؟ فـيقـول : لا واللهِ ياربِّى ما مَرْ بِى بُؤْسٌ قطّ ولا رَأيْتُ شِدَّةً قط .

ففى هذا السبيل تبـذل المهج وتباع الأنفس ويتسابق المجـدون ولأجل هذه السلعة الغـالية يسارع المؤمنون مـعتقدين أن مـن خاف أدلـج ، ومن أدلـج بلـغ

المنزل ، وإن المنزل هو سلعة الله الغالية ، وإن سلعة الله هى الجنة فلا يصل إلا الموفق المحفوظ والمؤيد الملحوظ الذى لا تغره الشهوات المحيطة بالنار ولا تضره المكاره التى حفت بالجنة .

لأن الله تعالى لما خَلق الجنَّةَ قال لجبريل : اذْهَبْ إليها فذهبَ فنظَرَ إلَيْها فقال : أىْ ربّ وعزَّتكَ لا يَسْمعُ بها أَحَدٌ إلا دخَلها ثم حَفَّها بالمَكارِه . ثم قال : يا جبريلُ اذهَبْ فانْظُرْ إليها فذهب فنَظَر إليها ثم جاءَ فقال : أى ربِّ لقَدْ خَشيتُ أنْ لا يَدخُلهَا أحَدٌ فلما خلَق اللهُ النّارَ قال ياجبريلُ إذهَبْ فانظُرْ إليها فذهَبَ فنَظَر إلَيْها ثم جاءَ فقال : أىْ ربِّ وعزتك لا يَسمَعُ بها أحدٌ فيدْخُلُها فحفَّها بالشَّهوَات ثم قال : ياجبريلُ اذهَبْ فانظُرْ إلَيْها فذَهَب فنظَرَ إليْها فقالَ: أىْ رَبِّ وَعزِّتكَ لَقدْ خَشيتُ أَن لا يَبقى أَحَدٌ إلاَّ دَخَلها .

ولَمَا خلق اللهُ تعالى الجنة ودلَّى فيها ثمارَها وشقَّ فيها أنْهارها نظر إليه فقال لها : تكَلَّمى فقالتْ : طُوبى لِمَنْ رَضيتَ عَلَيه قد أَفْلَحَ المُؤْمنون فقال : وعِزَّتى وجَلالى لا يُجاورُنى فيك بخيلٌ ، فَلا يَصلُ إليها بسلام وأَمان إلا المُفْلِحون ولا يُفلِحُ إلاّ المؤمِنُونَ الَّذين رضِىَ الله عنهم ورَضُو عَنْه .

ولما كان الإنعام والإكرام الأخروى فى الجنة متفاوتا لاختلاف أعمال الناس اقتضى ذلك أن تكون منازلهم فى الجنة أيضا على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتَة ليظهر فضل الفاضل وسبق الكامل وجهد العامل .

وأعلى هذه الدرجات وأعظمها هى الفردوس .

فالفردوس أعلاها درجة وفوقه عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة .

ولذا فقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سألْنَا الجنة أن نسألَ

الله الفردوسَ ، وبيَّنَ لنا سبيلَ إدراكِ أعلى هذه الدرجاتِ وطريقَ الوُصُول إلى أشْرفها وأبوابَ الارْتِقاءِ فيها وهى :

إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

ومن تلك الأبواب ـــ الجهاد فى سبيل الله وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته وإسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وإكثار من ذكر الله وكلمة طيبة ترضى الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يلقى لها بلا ، وصبر جميل على بلاء مكروه عظيم وشفاعة حسنة عند ذى سلطان فى دفع مكروه أو مبلغ بر وعفو عمن ظلم وإعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع ، وقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الناس بدرجات معينة لا ينالها غيرهم ولا يدركها إلا من عمل بعملهم ، فهناك درجات مخصصة لا ينالها إلا أرباب الهموم والتفكير فى السعى على العيال بالحلال .

وإن العبد ليرفع بصره وهو فى الجنة فيلمع له برق فيتعجب الناظر ويأخذه الفزع من ذلك اللامع الذى كاد يخطف بصره ويقول ماهذا ؟ فيقول : هذا نور أخيك فلان ، فيرى نوره أعظم من نوره ودرجته أعلى من درجته فيقول : أخى فلان كنا نعمل فى الدنيا جميعا فكيف قد فُضل على هكذا؟ فيقال له : إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل فى قلبه الرضا حتى يرضى .

وإن الرجل وعبده يدخلان الجنة فيكون عبده أرفع درجة منه فيقول : يارب هذا كان عبدى فى الدنيا فيقال : إنه كان أكثر ذكراً لله منك .

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر الأمم يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : إنّ أبوابَ الجنة هكذا بَعضُها فوْقَ بعض ، ثم قرأ

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ إذا هُم عندها بشجَرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليها نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم قرأ : ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينظلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول : أنت رأيته ؟ فتقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكئ إلى سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر . ثم يرفع رأسه إلى سُمك بيته فلولا أنه خلق له لالْتَمع بصره . فيقول﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ معنى بديع ورائع ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلت عليهم أبوابها ، كما قال الله تعالى:﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى ، مطبقة مغلقة ومنه سمى الباب وصيداً ، وهى مؤصدة ﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ قد جعلت العمد ممسكة للأبو اب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضا فإن فى تفتيح الأبواب له إشارةً إلى تصريفهم وذهابهم وإيابهم

وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا ودخول الملائكة عليهم فى كل وقت بالتحف والألطاف ودخول ما يسرهم عليهم فى كل وقت .

وأيضا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك فى الدنيا . قال فيه : ولما كانت درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التى تحتها . وكلما علت الجنة اتسعت ؛ فعاليها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة .

ولعل هذا وجه الخلاف الذى جاء فى مسافة ما بين مصراعى الباب ، فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

وقد تحدث صلى الله عليه وآله وسلم عن صفة دخول أهل الجنة الجنة فقال : « والذى نفسى بيده إنّهم إذا خرَجُوا من قُبورهم استُقبلوا بُنوق بِيْض لَهَا أجْنحةٌ عليها رحَالُ الذَّهَب، شُرُكُ نعالهم نُورٌ يتلألأ كُلُّ خَطْوَة منها مثْلُ مَد الْبصَر ، ويَنْتَهُون إلى بابِ الجنّة فإذَا حَلْقَة حَمْراءَ على صَفَائحِ الذَّهَب ، وإذَا شَجَرَةٌ عَلى باب الجنة يَنْبَع منْ أصْلها عيْنَان فإذَا شَربُوا من أحَدهما جرَتْ فى وُجُوههمْ بنَضْرة النَّعيم وإذَا توَضَّؤُوا من الأخْرى لَمْ تَشْعَثْ أشْعَارُهُم أبَداً فيَضربُون الحَلْقَةَ بالصَّفيحة (فلو سَمعتَ طَنينَ الحَلْقَة ياعليُّ) فيَبْلُغ كُلَّ حوْرَاءَ أنَّ زوْجَها قد أقْبَلَ فتَسْتَخفُّهَا العَجَلةُ فتَبْعَثُ قيِّمَهَا (أى خادمَها والقائم بأمْرِها) فيَفْتَحُ لهُ البابَ ، فلولا أنّ الله عز وجل عرَّفَهُ نفسَه لخَرَّ لَهُ سَاجداً ممّا يرى من النُّور وَالْبَهاء . فيَقُول : أنا قَيِّمُكَ الْذى وُكِّلْتُ بأمْرك فيَتْبَعه فيَقْفُو أثَرهُ فيَأتى زَوْجَتَه فتَسْتَخفُّها العَجلَةُ فتَخْرُجُ منَ الخيْمَة فتُعَانقُه وتَقُولُ : أنْتَ حبّى وأنَا حبُّك ، وأنا الرَّاضيَةُ فلا أسْخَطُ أبَداً . وأنا النَاعمَةُ فلا أبْأسُ أبداً ، وأنَا الخالدَةُ فَلا أظْعَنُ أبداً فيَدْخلُ بيْتاً مِنْ أسَاسِه إلى سَقْفِه مائَةُ ألف ذِراعٍ مبنيٌّ على

جَنْدَل اللؤْلُؤ والياقوت طَرائقُ حُمْرٌ ، وطَرَائقُ خُضرٌ ، وطَرائق صُفْرٌ . ما منْها طَرِيْقَةٌ تُشَاكلُ صَاحبتَها فيَأتى الأريكَة (ما يتكأ عليه من فراشٍ وَثير) فإذَا علَيها سَرِيرٌ عَلَى السَّرير سَبْعُون فراشاً . عَلَى كلّ فراش سبعون زوجةً . على كلّ زوجة سَبْعُون حُلّةً . يُرى مُخُّ سَاقها منْ باطن الحُلَل . يَمضى جماعهُنّ فى مقدارِ لَيْلة تَجْرى منْ تحتهم أنهارٌ مطَّردَةٌ . أنْهارٌ من ماء غير آسن (أى لم يتغير طعمه وريحه) صاف لَيْسَ فيه كَدَرٌ ، وأنْهارٌ من عَسَل مُصَفّى لم يَخْرُج منْ بُطون النَّحْلِ وأنْهَارٌ منْ خَمْرة لَذّة للشّاربين لم تَعْصِرْه الرِّجَال بأقْدامها ، وأنْهارٌ منْ لَبَن لَمْ يَتَغَير طَعْمُه لَم يُخْرَجْ من بُطُون الماشية. فإذَا اشْتَهَوْا الطَعَام جَاءتْهُم طَيْرٌ بيْضٌ فترفعُ أجْنحَتَها فَيأكُلون من جُنُوبِها من أىْ الألوان شَاءُوا ثم تطيْرُ فَتَذْهَبُ ، وفيها ثمارٌ مُتَدَلّيَةٌ إذَا اشتَهَوْها انْبَعثَ الغُصْنُ إليهمْ فَيأكلُون منْ أىّ الثمار شَاءوا إن شَاءَ قائماً وإن شاء مُتّكئاً ، وذلك قولُه تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ وبَينْ أيديهم خَدَمٌ كاللُؤْلُؤ » .

ويَدخُل أهلُ الجَنة الجنةَ جُرْداً مُرْداً مكَحَّلين بَنى ثلاث وثلاثين لا يُفْنَى شَبابُهم ولا تَبْلى ثيابُهُم لا يُبزُقُون فيها ولا يَبولُون ولاَ يَمْتَخطُونَ ولا يتغَوطُون آنيتُهم الذهَب ، ورَشْحُهم المِسْكُ ، ومَجامرهُم الألُوّةُ.

« أمَّا أدْنَاهم منزلةً فيها فرجلٌ كان مُخَلّطًا فى الدنيا يمر على الصراط وهو يحبو على وجهه ويديه ورجليه تَخرُّ يَدٌ (أى تسقط) وتُعلَّقُ يَدٌ وتَخرّ رجلٌ وتُعلَّق رجلٌ وتُصيبُ جوانبَه النَّارُ . فلا يَزال كذلك حتى يَخْلُصَ . فإذَا خَلَص وقَفَ عليها فقال: الحمد لله الذى أعْطانى ما لم يُعْط أحداً إذ نَجّانى منْهَا بعد إذْ رأيتهَا . قال فَيُنطَلقُ به إلى غَدير (أى نهر) عنْد بابَ الجنة فيَغْتَسل ، فيَعُود إليه رِيحُ أُهلِ الجَنَّة وألْوانُهم فيرَى ما فى الجنّةِ من خَلَلِ البابِ . فيقولُ رَبِّ أدْخلنى

الجنّةَ فيـقولُ : له أتَسـألُ الجنَّةَ وقَدْ نَجّـيْتُكَ من النَار؟ فـيقولُ : رَبِّ اجْـعَلْ بَيْنِى وبَيْنَها حِجَاباً لا أسْمعُ حسيسها . قال : فَيدْخُل الجنّة ويَرى أو يُرفَع له مَنزِلٌ أمام ذَلك كأنَّ مـا هو فيـه إليه حُلْمٌ (أى رؤيا فى المنـام) فيقـول : رَبِّ أعْطنى ذَلك المَنْزِلَ . فيَقولُ : لَعلَّك إن أعْطَيْتُكَه تَسْألُ غيْرَه فيقولُ : لا وعزَّتكَ لا أسألُكَ غيره وأىُّ مَنْزِل أحسَنُ منه ؟ فيُعْطَاه فيَنْزلُه ، ويَرَى أمَامَ ذلَك مَنْزِلا كأنَّ مَاهُو فيه حُلْمٌ قالَ : ربِّ أعْطنى ذلكَ المنزلَ فـيَقُولُ اللهُ تباركَ وتعـالى لَه : فَلَعلَّك إن أَعْطَيْتُكَه تَسْألُ غيرَه ؟ فيَقولُ : لا وعـزتك يارَبِّ . وأىُّ مَنْزل أحْسَنُ منه ؟ فيُعْطَاه فَينزلُه ثم يَسْكُت فيَقولُ الله جَلّ ذكْرُهُ : مالَكَ لا تسْأل؟ فيقولُ : ربِّ قد سَألْتُكَ حتَّى استَـحييْتُكَ وأقـسمْتُ حتّى اسْتَحْيَـيْتُكَ . فـيَـقُـولُ اللهُ جـلَّ ذكْرهُ : ألم تَرْضَ أن أُعطيك مثلَ الدنيا مُنْذ خلَقْتُها إلى يومِ أفنيَتُها وعشرةَ أضْعافه ؟ فيقول : أتهْزَأُ بى وأنتَ ربُّ العزّة ؟ فيَـضحك الربُّ تبارَك وتعالى من قوله قال : فَـرأيتُ عبدَ الله ابن مسعود إذا بلغَ هذا المكان من هذا الحديث ضَحك حتى تبدُوَ أضْراسُه ، قال: فـيقـول الربُّ جلَّ ذكـرهُ : لا ولكنّى على ذلك قـادرٌ . سَلْ . فـيقـول : ألحـقْنى بالنّاس. فيقولُ الحَـقْنى بالناس. فينطلق يَرمُل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رُفع له قَصرٌ من درة فَيخرّ ساجداً فيقال له : ارفَعْ رأسك . مالَك ؟ فيقول : رأيتُ ربى أو تَراءى لى ربِّى فيَقالُ : إنما هو مَنزلٌ من مَنازلك . قال : ثم يَلْقَى رجـلا فيتَهيَّأُ للسُجود له فيُـقالُ له : مَهْ . فيقول : رأيتُ أنّكَ مَلكٌ من المَـلائكة . فيقولُ : إنما أنا خازنٌ من خُـزَّانك وعبدٌ من عَـبيدك تحت يَدىَّ ألفُ قَـهرْمَان على مـا أنَا عليه قال فيَنطَلِق أمامَه حَتى يُفتَح له القصرُ قال : وهو من دُرَّةٍ مجوَّفةٍ سَقائفُها وأبوابُها

وأغلاقُها ومَفَاتيْحُها منها تَستقبله جَوهرةٌ خضراءُ مُبَطّنةٌ بحمراءَ فيها سبعون باباً كلُّ بابٍ يُفضِي إلى جَوهرة خضراءَ مُبطّنة . كلُّ جوهرة تُفْضِى إلى جَوْهرة على غيرِ لونَ الأخْرى فى كلّ جَوهرة سُرُرٌ وأَزواجٌ ووصائفُ (أى إماءٌ) أدناهن حَوْراءُ عَيناءُ عليها سبعون حُلّةً يُرى مُخُّ ساقِها من وراءِ حُلَلِها كَبدُها مرآتُه وكَبدُه مرآتُها إذا أعْرَض عنها إعراضةً ازدادَتْ فى عيْنيه سبعين ضَعفاً . فيقال له أشْرِفْ . فَيُشْرِفُ فيقال له : مُلكك مَسيرةُ مائة عامٍ يَنفُذُه بَصرُك قَال : فقال عُمر : ألاَ تَسْمَعُ مَا يُحدثنا ابنُ أمِّ عبدٍ ياكعبُ عن أدنى أهل الجنة مَنزلا فكيف أعْلاهم ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين . ماَ لاعَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ . إن الله جلّ ذكرُه خَلَق دَاراً جعَل فيها ما شاءَ من الأزواج والثمرات والأشربَة ثم أطْبَقها فلم يَرها أحدٌ من خَلقه لا جبريلُ ولا غَيرُه من الملائكة ثم قَرأ كعبٌ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال : وخلقَ دُون ذلك جنّتَين وزيّنَهما بما شاءَ وأراهما مَن شاء من خَلقه ثم قال: من كَان كتابُه فى علّيّيْنَ نَزلَ فى تلك الدار التى لم يَرها أحدٌ حتى إن الرجُلَ منأهلِ عليين لَيَخْرُجُ فَيَسيرُ فى مُلْكه فلا تَبقى خَيمةٌ من خيَم الجنة إلا دخَلها من ضَوء وَجهه فيَستبشرون بريحه . فيقولون : وَاهاً (أى عجبا) لهذا الريح . هذا ريحُ رجلٍ من أهل علّيّيْنَ قد خَرج يَسيرُ فى مُلكه قال : وَيْحَك ياكعبُ إنّ هذه القلوبَ قد استَرسَلَتْ فاقبضْها. فقال كعبٌ : إنّ لجهنّم يومَ القيامة لَزَفْرةً (أى نفسا) مامن مَلَك مقرَّب ولا نبيٍّ مرسَل إلا خَرَّ لرُكْبَتَيه . حتى إنّ إبراهيمَ خليلَ الله لَيَقولُ : رَبِّ نفسى نفسِى . حتى لو كان لكَ عَملُ سبعين نبياً إلى عملك لظننتَ أن لا تَنجُوَ » [(١)].

(١) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والحاكم .

وأما غناء حور العين فقد جاء فى الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن أزواجَ أهلِ الجنة لَيُغَنِّيْنَ أزواجَهُن بأحسنِ أصوات ما سَمعها أحَدٌ قط . إن مما يُغَنِّيْنَ به (نحنُ الخَيِّراتُ الحسان .. أزواجُ قوم كرامٍ .. يَنظُرون بقُرَّة أعيان) وإنّ مما يغنّين به : (نحنُ الخَالداتُ فلا نَمُتْنَهْ .. نحنُ الآمِنات فلا نَخَفْنَهْ .. نحن المُقيماتُ فلا نَظعَنَّهْ) »[1].

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط . .

سوق الجنــة

عن سعيد بن المسيَّب أنـه لقى أبا هريرة رضى الله تعالي عنه فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . قال سعيد: أو فيها سوق؟ قال : نعم . أخبـرنى رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قـال : « إن أهل الجنة إذا دَخلوا نزَلوا فيها بفـضلِ أعمالهم فيُؤذَن لهم فى مقدارِ يوم الجـمعة من أيام الدنيا فَيـزُورون الله ويُبرِزُ لهم عَرشَه ويَتبدَّى لهم فى رَوضةٍ من رياض الجنة فتُوضَع لهم منابرُ من نُور ومنابرُ من لـؤلُؤ من ياقوت ، ومَنابرٌ من زَبَرْجَـد ، ومَنَابرُ من ذهب ومَنابر من فضـة ، ويَجْلسُ أدناهـم وماً فيـهم دنـيءٌ على كُثْبـانِ الـمسك والكافـور (أى على القطَع المجتـمعـة الكبيـرة مثل كـثيبِ الرمل) مـا يَروْن أنّ أصحـابَ الكراسيِّ أفضلُ منهم مـجلسا . قال أبو هريـرة : قلت يارسول الله هل نرى ربَّنا؟ قال : نعمْ هل تَتمارُوْن فى رُؤية الشمسِ والقمر ليلةَ البدرِ؟ قلنا : لا، قال : كذلك لا تَتمارون فى رؤُيةِ ربكم عزّ وجل ولا يَبقى فى ذلك المجلس أحدٌ إلا حاضَره الله (كلَّمـه) محاضَرةً . حتى إنّه ليـقول للرجل منكم : ألا تَذكُر يا فـلان يومَ عـملتَ كـذا وكـذا؟ يُذكِّـرُه بعضَ عَـدراتـه فى الدنيـا (أى هفـواته وعصيانه) فـيقول : ياربِّ أفلم تغفر لى ؟ فيـقولُ : بلى فبسَعَة مـغفرتى بلَغتَ منزلتَك هذه . فبينما هم كذلك غشيَتْهم سحابةٌ من فَوقهم فأمطَرتْ عليهم طيباً لم يجـدواُ مثلَ ريحـه شيْئاً قطّ . ثم يـقولُ ربُّنا تبـاركَ وتعالى : قُومُوا إلى مـا أعدَدتُ لكم من الكَرامة فخذُوا ما اشتَهيتُمْ قال: فنَأتى سُوقاً قد حَفَّت به الملائكة فيه ما لـم تَنظُر العُيونُ إلَى مثله ،ولم تَسمعْ الآذانُ ، ولم يَخْطُرْ على القلوب قال: فَيُـحْمَلُ لنا ما اشتَـهيْنا ليس يُباع فـيه شيءٌ ولا يُشتَـرَى ، وفى ذلك السوقِ يَلقَى

أهلُ الجنَّة بَعضَهم بعضاً قال : فيُقْبل الرجلُ ذُو المنزلةِ المُرتفعة فيَلقَى مَن دُونَه وما فيهم دَنيءٌ فيرُوعُه (أى يُزعجه) ما يَرى عليه من اللباسِ فما يَنقضى آخر حديثه حتى يَتمثَّل عليه أحسنُ منه ، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها . قال : ثم نَنْصرِف إلى مَنازلنا فتتَلقَّانا أزواجُنا فيقُلْن مرحباً وأهلاً لقدْ جئتَ ، وإنّ بك من الجمال والطيب أفضلَ مما فارقتَنا عليه . فيقولُ : إنا جالَسنا اليوم ربَّنا الجبارَ عز وجل ، وبحقنا أن نَنْقلب بمثل ما انقلَبنا »[١].

ومن نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب (أى الجمال الطوال الأعناق) وأنهم يُؤتون فى الجنة بخيل مُسْرَجة ملجمة لا تَروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل .

وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ فيشتَاق الإخوانُ بَعضُهم إلى بعضٍ فيَسير سَريرُ هذا إلى سَريرِ هذا وسَريرُ هذا إلى سريرِ هذا حتى يجتمعا فيتَّكئُ هذا ويتكئُ هذا فيقول أحَدُهُما لصاحبه : أتَعلمُ متى غفَر الله لنا ؟ فيقولُ صاحبُه : نعمْ يومَ كُنّا فى موضع كذا وكذا فدعَونا الله فغَفر لنا »[٢].

« وعن عبدالرحمن بن ساعدة رضى الله تعالى عنه قال : كنت أحبّ الخَيلَ فقلتُ يارسول الله هل فى الجنة خيلٌ ، فقال .إنْ أدْخَلك الله الجنةَ يا عبدَ الرحمن كان لك فيها فرسٌ من ياقوتٍ له جنَاحان تَطيرُ حيث شئتَ »[٣].

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار.

(٣) رواه الطبرانى ورواته ثقات .

رؤية رب العالمين جل جلاله الجنة

ومن نعيم أهل الجنة أنهم يتشرفون بزيارة الحق سبحانه وتعالى يأتيهم ملك فيناديْهم ويقول : ان الله يأمُركم أن تزُورُوهُ، فيَجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام . فيَرفع صوتَه بالتسبيحِ والتهليلِ ثم تُوضع مائدةُ الخُلد قالُوا يارسول الله : وما مائدةُ الخُلد ؟ قال : زاويةٌ من زوَايَاها أوسَعُ مما بين المَشرق والمَغربِ فيُطْعَمُون ثم يُسقَوْن ثم يُكسَوْن فيقولُون لم يَبق إلا النَّظر فى وجه ربِّنا عزَّ وجل ، فيتَجلَّى لَهُم فَيَخِرُّون سُجَّداً فقال لَستُمْ فى دارِ عملٍ ، إنَما أنتُم فى دارِ جَزاء »[1].

فلما تجلى لهم الحق تعالى فى عظمته العظيمة قالوا : ربَّنا أنت السلام ومنك السلام ولك حقُّ الجَلالِ والإكرامِ . فقَال لهم ربُّهم : إنى أنا السلامُ ومنِّى السلام ولى حقُّ الجلال والإكرام فمرحباً بعبادى الذين حَفظوا وَصيَّتى ورعَوْا عَهدى وخافُونى بالغَيب وكانُوا منِّى على كلِّ حال مُشْفقين . قالوا : أمَا وَعزَّتك وجَلالك وعلوِّ مكانك ما قَدَّرْناك حق قدرك ولاَ أدَّينا إليك كلَّ حقك فَأذَن لنا بالسُّجود لك ؟ فقَال لهم ربهم تبارك وتعالى : إنى قد وضعتُ عنكم مُؤنة العبادة وأَرَحتُ لكم أبدانَكُم فطالَما أنصبتُم (أتعبتم) الأبدانَ وأعنَيْتم الوجُوهَ فالآن أفضَيتُم إلى رَوْحى ورَحمتى وكرَامتى . فسَلُونى ما شئتُم وتَمنوا علَىَّ أُعْطكُمْ أمانيَكم. فإنى لن أجزيَكم اليومَ بقدرِ أعمالكم ولكنْ بقَدرِ رَحمتِى وكرَامتِى وطَوْلى وجَلالى وعُلوِّ مَكانى وعظمةَ شأنى . فما يَزالون فى الأمانى والمواهبِ والعَطايا. حتى إنّ المُقَصِّرَ منهم ليتَمَنَّى مثلَ جميعِ الدنيا منذُ يومَ

(١) رواه أبو نعيم فى صفة الجنة .

خَلَقَها الله عز وجل إلى يومِ أفْناها . قال ربُّهم : لقد قَصَّرتُم فى أمانيكم ورضيتُم بدُون ما يَحقُّ لكم . فقدْ أوجبتُ لكم ما سألتُم وتَمنَّيتُم وزدتُكم على ما قصُرتْ عنه أمانيكم فـانظُروا إلى مواهبِ ربِّكُمْ الذى وهَبَ لكم . فإذا بقبـابٍ فى الرَّفيعِ الأعلى وغُـرَف مَبنيَّـة من الدرِّ والمَرجـان أبوابُهـا من ذهب وسُرُرُها من ياقُـوت وفُرشُـها من سُنْدُسٍ وإستَبْـرَق ومَنابرها من نور . يثُور (يـنتشر) من أبـوابها وأعـراضهـا نورٌ كشُـعـاعِ الشمسِ مـثلُ الكوكبً الدُّرِّىِّ فى النَّهـار المُضىء وإذا قُصُورٌ شَامـخةٌ في أعلى عليينَ من الياقُوتِ يَزْهَرُ نُورُها فلولا أنّه سُخِّرَ لاَلْتَمعَ الأبصارَ فـما كان من تـلك القُصور من اليـاقوت الأبَيضِ فـهو مَفْـروشٌ بالحريرِ الأبْيضِ ، وما كـانَ منها منَ اليَاقُوْت الأحْـمَرِ فهو مـفْروش بالعَبْقَـرىِّ الأحمر ، وما كان منهـا من الياقوتَ الأخضر فَـهو مَفروشٌ بالسُّنْدُس الأخْضَـر ، وما كان منها من الياقـوت الأصفَرَ مَفروشٌ بالأرْجُـوان الأصفَر مُمَوَّهٌ بالزُمُّـرُّد الأخضر والذهب الأحَمرِ والفضّة البَيْضاء. قواعدُها وأركانُها من الياقوت وشُرَفُها (أي أعاليهـا) قبابُ اللؤلؤ . وبُروجُهَـا غُرَفُ المرجان (أي أماكنهـا ومأوَاها) . فلما انصرَفُـوا إلِي ما أعطاهم ربُّهم قُـرِّبَتْ لهم بَراذينُ (خَيلٌ مطهـمةٌ) من اليـاقوت الأبيضِ منفـوخٌ فيهـا الرُّوح يَجْنُبهَـا (يقودُها) الوِلْدان المخَلَّدُون وبيـد كل وَليد منهم حَكَمَةُ برْذَوْن ، وَلجُـمُها وأعنَّتُها من فـضة بيضاءَ مُتطَوقَـة (أي مُحاطة) بالدُّر والياقوت وسُرُجُها سُرُرٌ مَوْضُـونةٌ مفَروشةٌ بالسُّنْدُس والإسْتَبْرَق فانطلَقتْ بهم تلك البَراذين تَزُفُّ بهم وتَنظُر رياضَ الجَنَّة فلمـا انتَهَوا إلي منازلهم وجَدُوا فيها جميعَ مـا تَطوَّل به (أي تفضل به) ربُّهم عليهم مما سأُلوه وتَمنَّوْا ، وإذا على بابِ كلِّ قـصـر من تلك القُـصـور أربعُ جنان . جَنتَـان ذَواتا أفنـان ، وجنّتـان مدُهامَّتَـان (أي خضراوان) وفيـها عينان نَضَّاخَتَـان (فوّارتان) وفيـهما من كل فاكهةٍ زَوجانِ (صِنفان) وحُورٌ مَقصورَاتٌ في الخِيامِ فلما تَبوَّءُوا منازلَهم واستَقرَّ

بهم قَـرارُهم قال لـهم ربُّهم: هل وَجدْتُم مـا وَعَـدكم ربُّكم حـقّاً ؟ قـالُو : نعمْ رضـينا فَـارْضَ عنّـا قـال : برِضَـاي عنكم حلَـلتُم دارِي ونَظَرْتم إلي وَجـهِي وصَافَحتْكُم ملائكتِي فهنِيئاً هنيـئاً عَطاءً غيرَ مَجْذُوذ ليس فيه تَنغيصٌ ولا تَصريدٌ فعند ذلك قالُوا : الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّـا الحَزنَ وأحلَّنا دارَ المُقَامة من فَضله لا يَمسنُّـا فيهـا نَصَب (أي تعب) ولا يَمسنُّا فـيهـا لُغوبٌ (ملَل) إن ربَّنا لَغَـفورٌ شكَورٌ »[1] .

ومن نعيم أهل الجنة أنهم يتـشرفون بالنظر إلي المولى جل شـأنه قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : إذا دخلَ أهـلُ الجنة الجنةَ يقـولُ الله عـزَّ وجل : تُرِيدون شيـئاً أزيْدُكُم ؟ فيـقولُون ألم تُبيِّضْ وجُـوهَنَا . ألَمْ تُدخلْنا الجَنَّةَ ، وتُنَجِّنَا من النار؟ قال : فيُكشَفُ الحجابُ فما أُعْطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلي ربِّهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[2] .

وقد قال العـلماء إن الحسني هي الجنة والزيادة هي النظر إلي الحق سـبحانه وتعالى..

فنسـأل الله تعـالى أن يختـم لنا بخاتمـة السعـادة ويجـعلنا من أهل الحـسنى والزيادة ..

* * *

انتهي بـحمد الله مـا تيسـر لنا من الجمع في هذا الموضـوع . ولم نلتزم فـيه بالأحاديث الصحيـحة بل إننا توسعنا فيه بالنقل اعتمادا على قـبول الضعيف في فضائل الأعمال . وقد نـص على ذلك الإمام النووي في التقريب ، والعراقي في

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم .

(٢) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

شرحه على ألفيته وابن حجر العسقلاني في شرح النخبة والشيخ زكريا الأنصاري في شرح ألفية العراقي والحافظ السيوطي في التدريب وابن حجر المكي في شرحه على الأربعين .

وللعلامة اللكنوي رسالة تسمَّى الأجوبة الفاضلة له فيها بحث مستفيض في ذلك ولسيدي الإمام الوالد السيد علوي المالكي رحمه الله رسالة خاصة في أحكام الحديث الضعيف وعلى هذه القاعدة جرينا في كتابنا هذا .

نفع الله تعالى به وجعله خالصا لوجهه الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه

السيد محمد ابن السيد علوي المالكي الحَسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

مكة المكرمة

١٧ رمضان ١٤٠٤هـ

محتويات الكتاب

رقم الإيداع

١٥٣٢٩/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولى

I-S-B-N

977-418-024-3

